

1920

مكتبة جامعة بغداد - كلية الآداب - قسم التاريخ

مستشار مكتبة

الرقم ٥٦٧/١٠٠

الرقم ٥٦٧/١٠٠ / ٩٥٦٣٧٨

٢٠٠٠ / ٢ / ٢٣

حصار الموصل

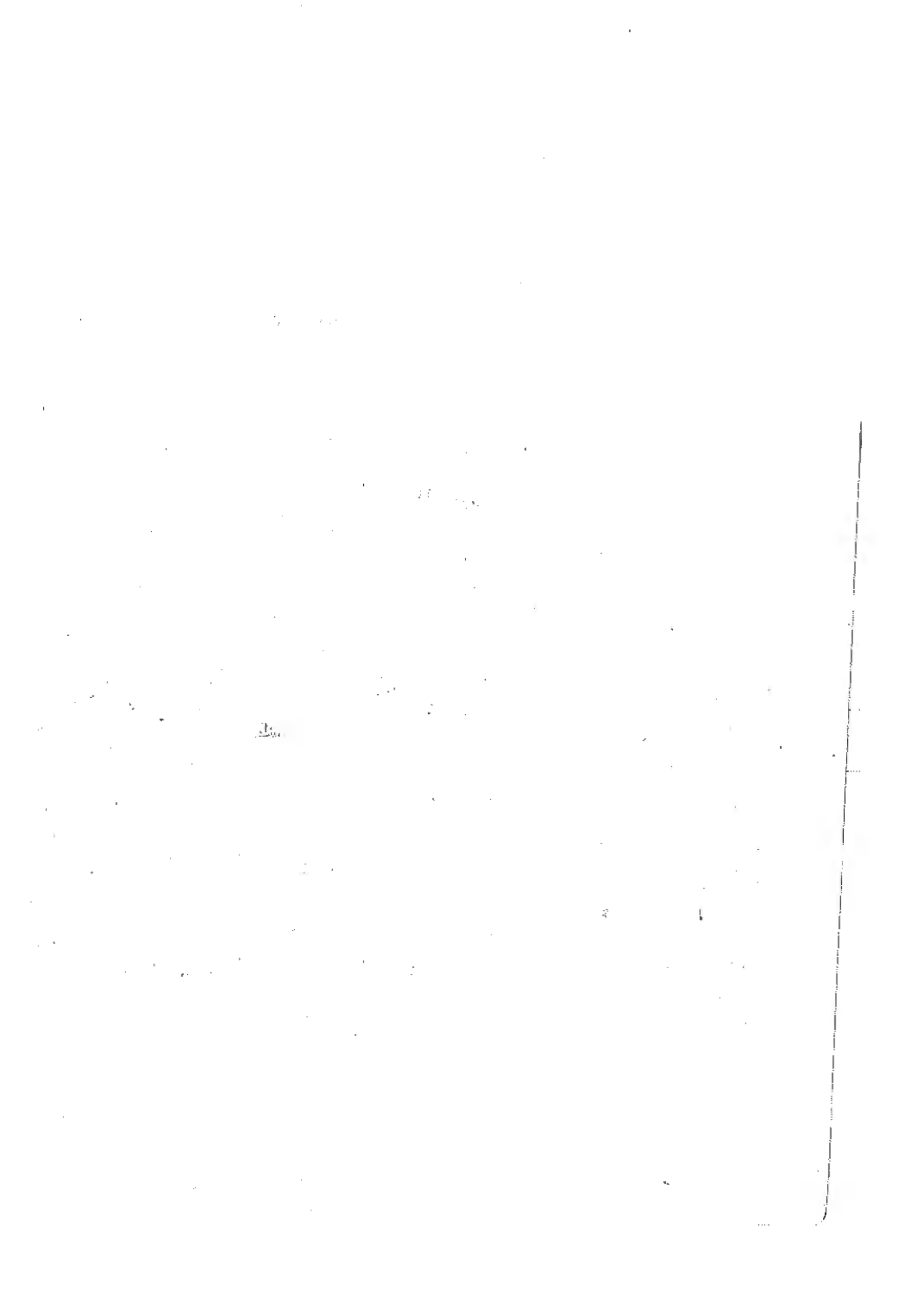
الصراع الاقليمي واندحار نادرشاه

(صفحة لامعة في تكوين العراق الحديث)

الدكتور سيار كوكب علي الجميل

الإهداء

إلى أُنّي



تذكير وعرفان

مضى على كتابتي لهذا الكتاب اكثر من عشر سنوات، عندما كنت اعيش في خارج العراق، فبقى طوال هذه المدة حبيس بعض المكتبات العامة والخاصة في نسخ قليلة منه مطبوعة على الرونيو، ولم يكن ابدا جزءا من متطلبات أية درجة علمية. وقد وجدت من المفيد اليوم، وبعد عودتي الى وطني الحبيب، ان اقدمه لابناء العربية كي يسدي خدمة متواضعة لثقافتنا التاريخية في وطننا الحبيب، وليشارك في بنائه وتقدم اجياله.

ولا بد لي ان اقدم كلمة شكر وتقدير لبعض الاساتذة العلماء والزملاء القدماء الذين اسهموا بشكل أو آخر بمعلوماتهم وآرائهم في هذا العمل، وأخص بالذكر كل من المستشرق البروفيسور ر. ب. سارجنت رئيس معهد الدراسات الشرقية بجامعة كيمبرج البريطانية سابقاً، والاستاذ الدكتور صالح احمد العلي رئيس المجمع العلمي العراقي لقراءته الكتاب قبل عدة سنوات ثم الاستاذ الدكتور محمود الجليلي عضو المجمع العلمي العراقي لتقدميه بعض الآراء والمعلومات التاريخية. ولا أنسى ايضاً المواقف العلمية التي خصني بها كل من الاستاذ الدكتور عبد الجليل التميمي عميد مركز الدراسات والبحوث العثمانية والموريسكية والتوثيق والمعلومات في تونس، والاستاذ الدكتور خليل ساحلي اوغلو في كلية الاقتصاد بجامعة اسطنبول. وثنائي الى زملائي القدماء: الأنسة غبريلا نورودو والدكتور مابك جيمس والدكتور ياسر سليمان اعضاء قسم الدراسات اللسانية بجامعة سانت اندروس البريطانية، على جهودهم في ترجمة الوثيقة الدولية الايطالية الى اللغة الانكليزية (الملحق رقم ١).

اليهم جميعاً وإلى جميع العاملين الذين ساعدوني في اروقة المكتبات العامة التي استخدمتها في الخارج كل الشناء. واشكر ايضاً مطبعة جريدة الحداثة بالموصل، وأخص بالذكر الأنسة رائدة حميد على دقتها وصبرها في تنفيذ الكتاب وهوامشه. واخيراً علي ان اذكر تقديري لمؤسسة بيت الموصل في سبيل نشر هذا الكتاب.

د. سيار الجميل

قسم التاريخ/ كلية الآداب

جامعة الموصل

١٩٩٠/١/٢١

كان يوماً تاريخياً حاسماً من عمر العراق، ولم تبخل الشمس بأشعتها الساطعة على أسوار الموصل التي تحطمت عليها جماجم الأعداء، وعلى أرض المعركة التي شربها الدم، وصيفها الأحمر... كان الموصليون جميعاً في حلبة الصراع الهائل قائمين، وقد شاركوا فيه بمختلف فئاتهم دون كلل أو تعب أو إرق بعد أسبوعين كاملين من القصف المدفعي الشديد وآثاره الفتاكة، وكانت المعنويات عالية، وقاتلهم ضروس وكانوا ينشدون أغاني الكلبند الصوفية التي تخرج فيها التكبيرات الدينية والتهاليل القدسية... كانت هذه الموسيقى والغامها تنبعث ضاجة نارية ورخيصة أخرى من جنبات المدينة وأسوارها فتحيل الأعداء رغم قوتهم وأعدادهم إلى ضعف وخور أما ما يسمعون، بمشاركة طبول الحرب وعزفها الذي تشاركه أصوات المناظر وأجراس الكنائس، واستمرت أغاني الكلبند والتهاليل تقض مضاجع الأعداء حتى طلب نادرشاه نفسه أن يتوقف عنها أصحاب ذلك قبيل رحيله فأبوا ذلك. وقد سجلت في هذه المعركة جهود وبطولات عدت من المفاهيم الحربية اللاحقة.

والملف،

عن (الفصل الثالث من الكتاب).

المحتويات

الاهداء

تذكير وهران

المحتويات

المقدمة

مدخل منهجي

نقد المصادر والمراجع

الفصل الاول:

مقدمة في الجغرافية - التاريخية لنشوء العراق الحديث:

ستراتيجية العراق وأثرها في نشوء الصراع العثماني - الإيراني

- مجال البحث ومصادره

- استراتيجية العراق وبوابة العصر الحديث:

١ - مكانة العراق بين امتدادات ايران والمصالح العثمانية

٢ - جذور الصراع وبداياته

٣ - دخول شمال العراق في المجال العثماني سنة ١٥١٦ م.

- السيطرة العثمانية على العراق سنة ١٥٣٤ م ونتائجها:

١ - اوضاع العراق الداخلية وأوليات الموقف.

٢ - تحركات السلطان سليمان القانوني ودخوله بغداد

- استنتاجات تاريخية:

١ - تحليل المواصفات العثمانية لعراق القرن السادس عشر

٢ - استراتيجية العراق بين الصراع المتواصل والاهداف الايرانية

- هوامش وتعليقات

الفصل الثاني:

مقدمات حصار الموصل: صفحات تطور العلاقات السياسية للعراق الحديث

- الأسبقيات التاريخية والاقتصادية لعراق القرن السابع عشر

١ - السيطرة العثمانية الثانية على العراق وآثارها التاريخية

٢ - الروابط الاقتصادية وتوظيفها

- استراتيجية الموصل الجغرافية والاقتصادية والبشرية

من هو نادرشاه؟

١ - حياته الاولى

٢ - تطوره السياسي

٣ - تسمياته التاريخية

العراق في خضم القرن الثامن عشر: البدايات الاولى

١ - الاوضاع الدولية لمنطقة الشرق الاولى

٢ - ولادة الادارة الاقليمية للعراق

٣ - اوضاع العراق الداخلية وتفاقم حدة الصراع مع ايران

٤ - الاحتلال العراقي لممدان وأحوال ايران

٥ - ايران تستعيد أنفاسها من جديد

العراق والمهد النادري الايراني العاني

١ - أوليات الموقف

٢ - حملة نادر قولي خان على العراق سنة ١٧٣٢ - ١٧٣٣ م

٣ - حملة تركيز خان على الموصل سنة ١٧٣٣ م / ١١٤٥ هـ ونتائجها

٤ - حصار بغداد ونتائج المحزنة

٥ - الوزير طوبال عثمان باشا ينقذ بغداد العريقة وأطرافها

٦ - مصرع طوبال عثمان باشا وموقف والي بغداد

٧ - المعاهدة العراقية - الايرانية ودور والي الموصل

٨ - الانتكاسة العثمانية الجديدة

٩ - شروط نادرشاه وألتهاب الموقف السياسي

استنتاجات تاريخية

ملاحظات ونقدات

الفصل الثالث: الحملة الايرانية الكبرى على العراق:

حصار نادرشاه للموصل سنة ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ

١ - العلل والمسببات التاريخية

٢ - الزحف الايراني على العراق وموقف والي بغداد

٣ - تركيبة الجيوش الايرانية وعدتها الاستراتيجية

٤ - أبعاد الزحف الايراني على العراق:

١ - البداية الاولى

٢ - أكتساح الخط الاستراتيجي - الشمالي

٥ - السيطرة الإيرانية على أطراف العراق ونجومه

- ١ - الخط الداخلي
 - ٢ - الخط الخارجي
 - ٣ - أطراف الموصل
 - ٤ - الأنداز الإيراني الأول وموقف الموصل
 - ٥ - موقف البلاط العثماني
 - ٦ - استعدادات الموصل الكبرى:
 - ٧ - الأعداد الروحي
 - ٨ - الأعداد الدفاعي
 - ٩ - الأعداد العسكري
 - ١٠ - الأعداد الاقتصادي
 - ١١ - معركة الكوماندوز البطلة ودروسها
 - ١٢ - الأنداز الإيراني الثاني ومواصلة الزحف نحو الموصل
 - ١٣ - تطويق الموصل وبدء الحصار العالي
 - ١٤ - الهجوم الإيراني الكاسح على الموصل
 - ١٥ - القصف المدفعي الشديد
 - ١٦ - الثغرة وعلاجها الحاسم: اللحظة التاريخية الحرجة
 - ١٧ - موقف الموصل ودور قيادتها
 - ١٨ - الحرب الاقتصادية
 - ١٩ - محاولات إيرانية أخرى
 - ٢٠ - محاولة تفجير أسوار الموصل والافتحام الإيراني
 - ٢١ - معركة السلام والأسوار
 - ٢٢ - المعركة النهائية الفاصلة وانتصار الموصل: المصير
 - ٢٣ - المفاوضات
 - ٢٤ - رحيل نادرشاه وتقهقر الإيرانيين
 - ٢٥ - نادرشاه بعد فشل الحصار - برواية شاهد عيان
 - ٢٦ - ملاحظات ونقدات
- الفصل الرابع: نتائج الحصار وآثاره: الدروس التاريخية
- أصداء الانتصار
 - وقفة عند بطل الحصار

— مقارنات ودروس

— الآثار الداخلية

— الآثار الخارجية :

١ - أثر حصار الموصل وفشله على تاريخية كيان العراق

٢ - عروبة دفاع الموصل وأثر فشل الحصار الايراني على الشرق العربي

٣ - أثر فشل الحصار الايراني للموصل على الامبراطورية العثمانية

٤ - أثر فشل الحصار الايراني للموصل وانتصارها على اوضاع ايران

— استنتاجات واجتهادات في بحث تاريخ الحصار

— ملاحظات ونقدات

— الخاتمة

— الملاحق :

ملحق رقم (١) : تحقيق وترجمة وثيقة دولية باللغة الايطالية عن

حصار الموصل

مقدمة

الاهمية الدولية للوثيقة

النص الايطالي (الاصل)

النص الانكليزي

النص العربي

ملاحظات وهوامش

ملحق رقم (٢) : مسالك الموصل الاستراتيجية وخطوطها الاقليمية العراقية

المسالك

مصادر ومراجع

دايكرام جغرافي

ملحق رقم (٣) : الأنداز الايراني الاول لحكومة الموصل

— نص الوثيقة

— مصادر الوثيقة

ملحق رقم (٤): جواب حكومة الموصل على الأنداز الإيراني الأول

- نص الوثيقة
- مصادر الوثيقة
- الخرائط

- المصادر والمراجع :

- الوثائق
- المخطوطات
- المصادر الموسوعية
- ١- الأنسكلوبيديات
- - الموسوعات التاريخية
- ٣- التقارير والمذكرات الرسمية
- - المعاجم والفهارس
- المصادر العربية والمعرية
- المصادر التركية
- المصادر الإيرانية
- المصادر الغربية
- الدوريات
- المراجع المساعدة

لَنْ يُكْتَبَ لَأَعْدَائِنَا إِلَّا الْهَزِيمَةُ

**الرئيس القائد صدام حسين
(حفظه الله)**

لقد كان موضوع حصار الموصل سنة ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ وتفصيلاته، سبباً في دراستي لتاريخ تطور العلاقات السياسية في نشوء العراق الحديث. وإن أقدم بعض الجوانب في العلاقات الاقتصادية التي حكمت تطورات الأحداث، وأن أبحث جوانب هامة في جغرافية العراق التاريخية، مركزاً بشكل واضح على استراتيجية المنطقة التي جرت عليها الأحداث، هادفاً من خلال معالجاتي إياها إلى تحقيق العوامل غير المباشرة التي انضجت الصراع المزمّن بين كل من القوى الامبراطورية الايرانية والقوى الاقليمية العراقية التي مثلت صيغة اللامركزية في حكم العثمانيين ارض العراق. هكذا سنعلم بأن حصار الموصل وانتصارها على نادرشاه، هو خاتمة لذلك الصراع المبرر لفترات طويلة ارتاح فيها العراق من الآلام والمآسي التي سببتها له ايران.

يتألف هذا الكتاب من اربعة فصول واربعة ملاحق، ويضم بعض المقدمات والخرواط . . يبحث الفصل الاول في جغرافية العراق التاريخية خلال القرن السادس عشر الذي توالدت خلال عقوده الاولى، حلقات الصراع العثماني - الايراني. وقد كان هذا الفصل قد نُشر نصه مقالاً تحت عنوان: «استراتيجية العراق وأثرها في نشوء الصراع العثماني - الايراني» في مجلة «أفاق عربية» الصادرة ببغداد، العدد (٨) سنة ١٩٨١. اما ملاحظاتي وتعليقاتي عليه فلم تنشر هناك، وقد ضمنتها في هذا الكتاب.

ويبحث الفصل الثاني في الاسبقيات التاريخية للصراع المبرر، وتوضيح طبيعة العلاقات الاقتصادية التي حكمت العراق إبان القرن السابع عشر، وشرح طبوغرافية الموصل والسمات الجغرافية لشمال العراق، كونها البقعة التي جرت عليها وقائع الحملة الايرانية الكبرى، وأحداث حصار الموصل؛ وما قادت اليه مؤثراتها الى نتائج تاريخية. وقدست أيضاً ملخصاً عن نادرشاه، وبجملاً في تطور اعماله الكبرى، كي أوضح للمقارئ فترات أحداث العراق خلال العهد النادرى منها الى غيرها من أحداث منطقة الشرق الأدنى. ثم تكلمت عن سلسلة التهاب الصراع، وتطور تاريخ العراق في ظل أحداثه، ورجاله البارزين، منتهياً بشروط نادرشاه التعجيزية، دينية كانت ام سياسية؛ والتي وضعها امام العثمانيين بعد انتصاراته المتوالية عليهم، ليقود بعد ذلك حملته الكبرى على العراق قاصداً احتلاله واختراقه نحو العاصمة العثمانية اسطنبول، بعد السيطرة على كل من الشرق العربي والاناضول.

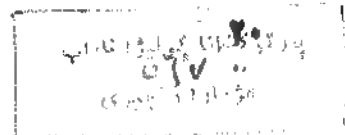
ويبحث الفصل الثالث في تفاصيل الحملة الايرانية الكبرى، ومواقف الاطراف المعنية بها، واستعدادات الموصل... ثم اكتساح نادرشاه للعراق، وتطويقه للموصل ثم حصاره لها، ذلك الحصار الذي دام اكثر من اربعين يوماً، سجلته في تاريخها البطولي بكل ما رافقه من معارك وهجومات، ثم قصصها بآلاف القنابل، ثم دفاعها العظيم في معارك ضارية مع الايرانيين. قاد استيصالها، وسمود اهاليها الى فشل نادرشاه في افتتاحها لها، وفنكه بسكانها، كما توعدتهم في انذاراته لهم لتسجل عليه انتصارها المين.

ويبحث الفصل الرابع في نتائج الحصار، وآثاره التي تعتبر دروساً تاريخية لا يمكن تجاهلها. وقد توقفت في هذا الفصل، في ابرز ما لقيه انتصار الموصل من الاصداء الخارجية سواء في العاصمة اسطنبول. او في دوائر الدبلوماسية الاجانب كاهتمام بريطانيا ووزارة خارجيتها به، من خلال نائب سفيرها في اسطنبول استانبول اسپينول S. Aspinwell. ولقد خرجت من بحث والحصار بنتائج عديدة منها ما يختص بمدينة الموصل ذاتها، ومنها ما يختص بالعراق والشرق العربي، ومنها ما يختص بمصالح كل من العثمانيين والايرانيين على حد سواء. ان النتائج التاريخية هي دروس قيمة افترضتها هذه التجربة الحية الخالدة التي عاشها العراق قبل قرنين ونصف القرن من الزمن.

لقد ضم الكتاب، مدخلاً منهجياً، ونقداً للمصادر والمراجع في مستهله، وخاتمة للبحث في نهايته، مرفقاً به اربعة ملاحق، عني الملحق الاول بتحقيق وترجمة وثيقة دولية نادرة عن حصار الموصل باللغة الايطالية، وهي الوثيقة المرفقة مع رسائل نائب السفير البريطاني اسپينول في العاصمة اسطنبول، اما الملحق الثاني، فيوضح مسالك الموصل الاستراتيجية، وخطوط اتصالاتها مع العالم، وهي المسالك الجغرافية التي عرفت منذ القدم، كحلقة وصل بين الشرق والغرب حتى سنة ١٨٦٩ م حين افتتحت قناة السويس، فانهارت أهميتها الدولية من الناحية الاقتصادية. كما وألحقت في نهاية الكتاب، وثيقة الانذار الايراني لحكومة الموصل والوثيقة الجوابية عليه في الملحقين الاضافيين الثالث والرابع. . ناهيك عما سيجده القارئ المختص للعديد من الملاحظات والتعليقات والنقادات التي افردتها في نهاية كل فصل من فصول البحث.

لقد كتبتُ نثراً، ونظمت شعراً، ونشرت عن هذا الحصار الشهير*، أو ما لم ينشر الى حد اليوم، العديد من الاعمال الادبية، والوثائق السياسية، والكتابات التاريخية المعاصرة لاحدائه او البعيدة والمتأخرة عنه. وعلى كلا الجانبين من العالم شرقاً وغرباً، وبلغات عديدة.. وقد أولته بعض الدراسات الاكاديمية الحديثة عناية خاصة بشكل مفصل أو مقتضب، نظراً لما قلادت اليه اهمية الحدث الاستراتيجي من الناحية السياسية في التاريخ الحديث للشرق الادنى، ثم ما تركه كل من الحصار والانتصار.. هكذا معاً، من آثار سوسيولوجية وسايكولوجية بدت واضحة جميعها في قلوب واعمال الادباء والمؤرخين الذين حفظوا من خلال ذلك متفرقات الحدث ومجرياته المسهبة والموجزة.. وتكاد تغطي المصادر المحلية، معظم تفاصيله اليومية، تلك الكتابات التي تركها لنا السلف الراحل من الادباء والمؤرخين المواصل، ويقف في مقدمتهم كل من الاخوين العمريين الخطيبين: ياسين ومحمد امين. ثم هناك محمد القادري في ارجوزته «ملحمة الموصل»، والشاعر يونس الموصل في قصيدته عن «الحصار» بالتركية وغيرهم. ولا يمكننا ان ننسى الكتابات الرسمية للولاية وقيادتها معاً، وقد ابرزتها بالتركية «سالتامة الموصل»، ووثيقة مخطوطة عن «الحصار» بالتركية تحتفظ بها مكتبة المتحف البريطاني.. هناك ايضاً كتب الرحالة من الغربيين، كمدونات اساسية في المعلومات التاريخية والجغرافية، واشهر الرحلات، هي التي سجلها كل من: كرستيان نيبور، وجاكسون، ولتزا، وايفز، واوتيه.. وكان الاخير قد زار الموصل قبل حصارها بأيام. وشاهد استعدادات اهاليها في حفر الخنادق وترميم الاسوار، فوضح بشكل ملفت للنظر اسباب الحرب وعملها ومقدمات الحصار.

* ان اول مقالة تاريخية نشرت عن موضوع «الحصار» كانت بقلم الاديب الموصل رشيد الخطيب تحت عنوان: «الواقعة الشهيرة ببلدنا الموصل بواقعة طهماسب»، وقد نشرها في جريدة «الموصل» / ١١ نيسان ١٩١٩؛ (أي أثناء الاحتلال البريطاني).



هناك أيضاً تسجيلات الفناصل كرسائل تحريرية او عن طريق الشفرة المرسلة من اماكن مختلفة الى الدوائر السياسية الاوربية، وخصوصاً انكلترا وفرنسا وايطاليا... من خلال سفارات هذه الدول في العاصمة اسطنبول، او بطريق مباشر. وتعتبر رسائل استانبول الدبلوماسية، من اهم الوثائق في هذا الميدان، اضافة الى ذلك، فان الكتابات والدراسات التاريخية الحديثة، قد كشفت عن المزيد من الجوانب والروابط والتحليلات لهذا الحدث التاريخي الكبير. . ويقف في مقدمة هذه الدراسات: كتاب المؤرخ روبرت اولسن Olson عن «حصار الموصل سنة ١٧٤٣ م»، واطروحة الزميل برسي كيمب P. Kemp عن: «الموصل والمؤرخون الموصلية في العهد الجليلي». الخ وستكشف صفحات هذا الكتاب عن المزيد من الكتابات التاريخية العربية والاجنبية التي تفيد في بناء دراسات اخرى عن تاريخ العراق الحديث.

انني اذ اقدم هذا العمل، والذي جاء رغم ضيق وقتي مترافقاً مع تدريسياتي وأعمالي الاكاديمية في بحوث ودراسات اخرى، أود أن اوضح بأن موضوع هذا الكتاب لم يكن جزءاً من متطلبات أية درجة علمية، وأن الذي دفعني لكتابته حقاً هو شعوري ان أقدم خدمة متواضعة لوطني العزيز وانا بعيد عنه، نظراً لما يتطلبه حاضره وحاجة ابنائه في فهم تاريخ وطنهم العريق على درجة من اللقائه والاهتمام. آملاً أن يسد هذا البحث مجالاً يتطلبه وطني... وسواء أصبت ام أخطأت في عرض المادة أو في ملاحظاتي أو استنتاجاتي، فأني سأكون مسروراً لو نبهت الى اشياء غفلت عنها، او جوانب أخطأت فيها، سدد الله الخطى لما فيه ازدهار العراق ونصرة امتنا العربية وتقدمها وارتقائها وبناء مستقبلها المنشود.

سيار الجميل

كلية سانت سلفيتز المتحدة/ جامعة سانت اندروس

بريطانيا ٢١/١/١٩٨٢

مدخل منهجي

ان اصعب مهمة تواجه المؤرخ الجاد في دراسته لتاريخ العراق الحديث، هي فهمه لطبيعة هذا التاريخ، ودعيه بتركيبه وهنصره، وسيطرته المعرفية على مصادره ومراجعته قبيل التوغل في كتابة وتحرير أي نص عنه، أو إبداء أي استنتاج فيه. فلقد تفردت مراحلها بميزات خاصة، ومتغيرات متشابكة، وظواهر فارقة قلما ظفر بها تاريخ أي منطقة في الشرق الاذن عبر العصور الحديثة.

تبدأ الصفحات الاولى لتاريخ العراق الحديث مع ولادة العقود الاولى للقرن السادس عشر الميلادي، لتنتهي ببدايات القرن العشرين التي بدأ منها - كما اصطلح على تسميته - بتاريخ العراق المعاصر، وخصوصاً بعد ان توحد العراق سياسياً في ظل كيان دولي واحد ضم ولاياته القديمة ولواحقها من التخوم والديار والبوادي، رغم فقدانه للعديد من اطرافه الجغرافية شمالاً وشرقاً...

ان طبيعة تاريخ العراق الحديث غنية بالاحداث الجسام التي وقعت على مسرح العراق واطرافه الجغرافية خلال حقبات مختلفة من عصوره الحديثة، وتميزت تركيبة تلك الاحداث التاريخية بالتراكمية، في حين كانت صفاتها تتغير أو تتلون من حين الى آخر، نظراً لتشابك العوامل المختلفة التي ساعدت على خلقها من النواحي الاقتصادية والجغرافية والسكانية والدينية. كما أثرت في بنية هذا التاريخ سياسياً، وعلى نحو خطير، نوازع الصراع بين كل من الامبراطوريتين العثمانية والایرانية، وما قادت اليه احداث ذلك الصراع المرير من نتائج على العراق بشكل خاص، وعلى المشرق العربي عموماً.

تميزت طبيعة تاريخ العراق الحديث بمقومات اصيلة واساسية مضادة، حفظت هذا البلد الكلاسيكي العريق ورقعته الجغرافية الاستراتيجية العظمى بمدنها وانهارها ومسالكها وجبالها وبراريها. من عوامل القهر أو الدمار والموت، فبقي العراق حياً رغم كل ما عصفت في حياته عبر القرون المتأخرة من متغيرات تاريخية قاهرة، وتيارات غربية، ونكبات طبيعية، أو هزات اقتصادية مريرة من مجاعات وفيضانات واورثة. ثم ما ناله من استعدادات خارجية ايرانية، أو من قسوة الولاة والحكام الاتراك، وما جرى في بنيته الاجتماعية من انشطارات سكانية، ونزاعات محلية، وقلاقل قبلية... بفعل السياسات الاجنبية الغربية

وعوامل السيطرة، ولكن رغم كل ذلك، فقد بقي العراق ملتئماً في اقتصاده، ومخالفاً على كيانه الجغرافي الابوي الموحد، وثقافته العربية الاصيلة.

اما من ناحية تركيبه التاريخي الحديث، فان القرن الثامن عشر يشكل فجوة زمنية متوقدة في حياته، شهدت أخطر الاحداث، وأبرز الرجال ساعدوه فيها سياسياً وعسكرياً بفعل كفاح الشعب العراقي في درثهم امتدادات ايران واطماعها في العراق، وخصوصاً خلال عهد نادرشاه.. كما وشهدت تلك الفجوة الزمنية زهواً مشهوداً في الثقافة العربية والتجارة، والصناعات مقارنة بأحوال اقاليم اخرى في المشرق العربي والاناضول، كانت تعيش جميعها في سبات عميق وسكونية بائسة.

ان دراسة أية حقبة زمنية في تاريخ العراق الحديث، يجب ألا تقتصر على توضيح الجوانب السياسية، أو علاقاتها المؤثرة في الادارة والحرب، ويجب ألا تكتفي أيضاً بالمرور على الاحداث التاريخية وسردها، أو الاعمال وذكرها ثم نجردها جميعاً عن واقعها وأرضيتها، وعن المسببات والعلل والنتائج، بل يستوجب البحث في العوامل الاقتصادية التي رافقت وساعدت في خلق الاحداث.. التي أثرت كثيراً في تركيب البنية السوسولوجية للعراق؛ ناهيك عن دور المؤثرات الجغرافية التي تفاعلت في صنع تلك الاحداث وإكسابها طبيعتها والوانها...

وماذا ايضاً؟

هناك الوضع السكاني والبنية الاجتماعية، وتراكيبها الطبقيّة، ومقومات حياتها، تلك البنية التي تعتبر قاعدة للواقع الانثروبولوجي العراقي المعاصر. هكذا، فإن اهم ما يحتاجه عراق اليوم هو دراسة جغرافيته التاريخية وترسيخها بنوياً وسوسولوجياً على نحو رصين، وتوثيق ارض العراق بماضيها عبر العصور، لاكتساب نتائج هامة ومفيدة، اهمها ربط الحاضر بالارض عبر الماضي وتحليلاته.. وهذا ما تتصف به دراسات معاصرة عديدة متقدمة لتواريخ امم وشعوب واحداث وحروب ومجتمعات وثقافات.. الامر الذي يوظف التاريخ توظيفاً تاريخانياً وعقلانياً لخدمة الحاضر وبناء المستقبل.

44

في خضم كهذا، فإن دراسات تاريخية جادة وأصيلة، ستفيدنا حتماً في تشكيل هذا النهج المعرفي، أو رسم خطوات وابعاد غاية في الاهمية كبدائيات على الطريق... دراسات كتلك التي كتبها وليم ماركيز ومكسيم رودنسون وألن ولسترنج وروبرت مانتريان وخليل انجليك وستانفورد شو ومحمد شفيق غريبال وأسد رستم وعبدالله العروي وروبرت اولسن وكارل باربير وغيرهم وقبل ان نسأل: كيف ذلك؟ دعونا نقصص عن المزيد من المقاربات..

ليس هذا الكتاب محاولة على الطريق، بقدر ما يتوجس رؤية جديدة في كتابة تاريخ العراق الحديث، والوقوف ملياً عند اهم حدث تاريخي بارز في الحياة العربية خلال القرن الثامن عشر. تكمن هذه الرؤية، باعادة مؤلفه لطرح المزيد من التساؤلات، ومحاولة ايجاد اجوبة شافية عليها من خلال الاستنتاجات التاريخية التي يريد الوصول اليها. انه يتجاوز صيغة تركيب الاحداث والوقائع في دراسة التاريخ، بغرض ترتيب العلاقة الجدلية بين الماضي والحاضر وذلك من خلال منهج يقوم ويستند في مبعثه الاساسي على عاملين اثنين:

١ - ندرة الدراسة التاريخية الجادة والدقيقة عن الفترات التاريخية التي عاشها العرب في ظل السيطرة العثمانية، وبالاخص تلك الدراسة «العربية» عن تاريخ العراق الحديث، رغم ما تبدى الى حد هذا اليوم من «كتابات» تبدو قبل كل شيء انها مغرقة في الفذلكة والتراثية والخمول. دون الوصول الى ما يمكن تسميته بـ «النتائج المعرفية» سواء تلك التي تقوم على «التركيب»، فكيف نسو بيناء دراسات معرفية متقدمة تقوم اساساً اليوم على «التفكيك»؟ اي - بأختصار - اعادة النظر في الرؤية والمنهج!

٢ - ضرورة اعادة النظر في الموضوعات التاريخية المتنوعة في تاريخنا العربي الحديث، اقول اعادة النظر، واختيار تصورات جديدة كجزء من فلسفة اعادة تفسير التاريخ، لأن مراحل مختلفة من تاريخنا العربي - وخصوصاً الفترات الحديثة - لم نجد الى حد هذا اليوم من يستلهم منها، تلك التجارب الخلاقة التي تسعى في معالجة الحاضر وبناء المستقبل... إن العرب ما زالوا يمثلون ادوارهم من خلال معاشتهم لكل رواسب التاريخ وتوجهاتهم الماضية. لقد بنيت آراء ومواقف ونظريات وافكار... على عموميات خاطئة

في تاريخنا، نظراً لجهل المثقفين العرب بهذا التاريخ، ويسبب ضمور بعض أحداثه، أو غيابها، أو سردها بلا معالجة أو معاناة أو تشخيص أو معاشة معرفية... ناهيك عن ركाम المناهج المضطربة ذات الخلل الفاضح في الكتابة الخاطئة، واحتجاب الرؤية والحقيقة التاريخية في زحمة هذا الاضطراب الذي تمثله إشكاليات لا حصر لها..

دعونا نفصح عن اشكالية «المنهج» بالتوقف عند موضوعنا التاريخي «
لنكتشف المزيد من ضوابط الاشكلة في فضائه المعرفي..

يمكنني أن افصح منهجياً عن بعض المعانيات النقدية الاساسية التي اجدها اليوم من الامة يمكن أن تطرح لآثاره النشاط الذهني. وذلك للكشف عن اهمية الاحداث التاريخية الكبرى في تاريخنا الحديث، وهو التاريخ الذي ولدت في رحمه تكويناتنا الوطنية والقومية في آن واحد. دعونا نبين هذه المسألة على جانب من التفكير. فمن ندعو الى معرفة تاريخنا من اجل بناء نقدي لحاضرنا ومستقبلنا، فإن ذلك لا يتأكد بالصورة المثل، الا من خلال المعاناة به، ومعانيته بواسطة الوعي والعقل... وعدا ذلك فانا نكون قد سجلنا صفحات من الممارسات السطحية التي لا تتفق والمنطق السليم والنتاج المفيد.

ان النزوع العروبي في دراسة التاريخ ومعاناته لا يتجلى في نتائجه، الا عندما تزود «الاشكلة المعرفية» بجوانب من «الادلجة القومية» لكي يعبر عن موقف تكثر حوله وعنه المزيد من التساؤلات المتنوعة. وهكذا، فإن موضوعاً كالذي يتدارسه هذا الكتاب (حصار نادرشاه للموصل عام ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ)، هو من المواضيع التي لا بد ان تقف الاجيال العربية القادمة عندها، موقف التأمل والدارس معاً، وعليهم - دوماً - ان يطرحوها على انفسهم لكي يكتشفوا قيمة النتائج التاريخية التي خرج بها ذلك الحدث الدراماتيكي الرهيب.

لقد رغبت في تقديم موضوع «الحصار» كجزء من فاعلية علمية تحتاجها هذه المرحلة العربية، وان أسعى في الوقت نفسه الى تبني موقف إعادة فهم التاريخ وتفسيره ضمن اختيار التفكير النقدي في صفحاته المتنوعة، ومزاوجة التاريخ

بالجغرافية، وذلك في البحث عن اسباب لا مفكر فيها، بحيث تؤشكل الاسباب التقليدية التي درج عليها اغلب المؤلفين والمؤرخين في فهم طبيعة العلاقات التاريخية بين العراق وايران من طرف، وبين العرب وجيرانهم من ذوي الشراكة التاريخية كالفرس والأتراك من طرف آخر. وليس ذلك بأمر عارض، بل انه امر يتفق مع المطالبة باعادة فهم الذات، وفهم المجتمع بكل ما حفل به من ركامات وترسبات تاريخية يعيش ازمته ونقلها واشكالياتها ابناء الحاضر... هكذا، تفتح «الدراسة» الطريق للافضاء الى بناء فهم معرفي من نوع جديد، يفسح المجال امام بناء نظم وافكار واخلاق وممارسات ومؤسسات... تشكل بينها وبين ما هو مألوف ومتواتر من سليات وخطايا في بنية المجتمع التقليدي، قطعة تاريخية من اجل حالة انطلاق جديد.

ومن البديهي ان هذا النوع من الاعتبارات المنهجية يسعى دوماً، لكي يفسر الدوافع التي من اجلها تثار الحماسة عن احداث تاريخية بطولية ناصبة في جبين الامة... بعد ان حافظت الثقافة القديمة على ما هو مألوف بالتكتمات والتغطيات عليها بحجة «ظلامية» الفترة التاريخية وشللها، ذلك الشلل الذي يعبر عنه بالموت. وثبتت الدراسة ان المجتمع العربي قد اتصف بالتخلف والسكونية ابان العصور العثمانية... اننا عندما نسأل عن طبيعة انفجار النزوع العربي والوطني بوجه نادرشاه خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر، فإن ذلك هو الدليل الكافي، والدافع الذي يؤكد حيوية ذلك النزوع بعد الاحداث التاريخية التي تعاقبت على المجتمع بعد ذلك... والتتاجات والمعطيات التي كرسها ضد الغزاة الاشرار بجانب التضال ضدهم.

اننا نعتقد بأن الاوان قد آلى لكي يكتب تاريخنا العربي الحديث من خلال فهم جديد، ومسح وثائقي شامل... لا تخفى جوانبه المضيئة ومساحاته الحقيقية على حساب الفكرة المسيطرة والقائلة بـ «الظلامية» أو «العصور المظلمة» Dark Ages كمصطلح استخدمته الثقافة الاوربية نتيجة لما عانت منه اوربا في احقاب العصور الوسطى. هكذا اذاً، نقول بمصطلح «سكونية» العصور العثمانية، ولا نقول بـ «ظلاميتها»... ان ذلك يمنحنا الثقة بأجراء حوار ممكن مع حوادث ذلك التاريخ السكوني، أو حسبما عبر عنه المؤرخ البروفيسور مجيد خلدوري بـ «الفترات المسكونية»، فهو التاريخ الذي لم يعد من وقائع لامعة عاشت في

نخضعه. ان ذلك يمنحنا - أيضاً - قدرة البحث عن شرعية التلاحم السوسولوجي والاثربولوجي - العربي في ظل الاحكام المركزية أو اللامركزية العثمانية على امتداد التاريخ الحديث.

ان التجارب العلمية الخلاقة والجادة، هي التي تدحض الافكار المسيطرة على الذهنية العربية، سواء تلك التي تمجد «التاريخ العثماني» تحت شعار «اسلاميته» أو تلك التي تقتصر منه بسبب «ظلاميته»! ان تلك التجارب المعرفية القائمة منهجياً على التركيب أو التفكيك، سوف لن تنجح الا من خلال اعادة النظر في ترسيخ «اشكلة التاريخ»، ونقد «أدلجة الحاضر».

ان السياق الذي يجمع مختلف النقاوض من الكتابة التاريخية - العربية المعاصرة، يتلاقى دوماً مع الاخفاقات التي يجيها المجتمع العربي - الحديث، والذي يجمع كل التناقضات بمعزل عن الارهاصات التي كان قد بدأها المفكرون العرب خلال فترة ما بين الحربين العظميين في التحديث، ونضوج الفكر القومي - العربي. هكذا، سيكون الخطاب التاريخي العربي - المعاصر، بلا شك، هو المعبر الاول عن ذلك الواقع الاجتماعي بجملة تلك التناقضات المكنية فيه. والتي لم تنمر الى حد هذا اليوم، بالرغم من الاحتجاجات الصارخة التي طالبت بكشف ما هو منظور وواضح، دوغما البحث عما هو مخفي ومستور في اللاوعي الداعي، أو ما وراء الواقع الاجتماعي... لقد بقي اذن، كل من المخفي والمنظور يشكلان حراجة تاريخية قاتلة في مشروعات النهضة العربية الحديثة. ان مفاهيم الفلاسفة والنقاد المعاصرين كميثال فوكو والتوسبروباشلار وغرامشي ودريدا... وغيرهم كفيلة بألقاء المزيد من الطروحات الفكرية والمنهجية في هذا الصدد، لاغناء الفكر العربي المعاصر ايمستمولوجياً.

ان التساؤلات النقدية التي يمكنني طرحها في هذا المجال، قد لا تؤخذ بجديّة تماماً لصعوبة ممارستها كونها متجاوزة للزمن، ولكنها على الاقل، اهميتها في الميدان المعرفي الذي لا شك بأنه الوحيد القادر على خلق حالة التجاوز كبداية لعملية انتاج المعرفة الاجتماعية أولاً. وان العملية بعد ذاتها، هي حالة اقصاح لما يكمن في الحاضر المألوف من جنود قديمة راسخة يستقدمها كل جيل ضمن سبقه، وهذا امر يرتبط بالارث التاريخي كجزء من الطبيعة الانسانية بكل ما حفلت به من

سوسيولوجيات واركيولوجيات وفولكلوريات... تشكل جميعها في كل من الوعي
واللاوعي الانساني والاجتماعي حلقة من حلقات الواقع العربي الحديث.

لا يشكّل هذا الكتاب (حصار نادرشاه للموصل سنة
١٧٤٣ م/ ١١٥٦ هـ)، تجربة معرفية مجردة تنبئ الافكار المنهجية التي يوظفها
هذا «المدخل» الايستمولوجي، وهو المدخل الذي يطرح اساساً المنهج
التفكيكي، الذي تؤلفه - عندي - خطوات بحث رؤيوية ومفاهيمية، وقد
افصحت عنها في مقدمة كتابي الآخر في قسمه الاول *، في حين يمثل هذا الكتاب
الذي بين يدي القارئ تجربة في التركيب، تتوقف عند اعظم حدث تاريخي بارز في
حياة العراق الحديث. وهو ايضاً، معالجة في التحليل التاريخي لاستنباط بضعة
نتائج فاعلة في الحياة العربية المعاصرة، وبالتالي اغناء لتاريخ العرب الحديث من
خلال منهجية التاريخ المحلي The Local History للموصل، ومساهمة فيه
بصورة مطولة. ومن ناقل القول، التوضيح هنا، ان هذه المساهمة، لا تعني على
الاطلاق التأكيد على الاقليمية والتعصب لها، بقدر ما تعني ابراز لتلك الحقائق
التاريخية التي لم تزل الى حد هذا اليوم لم تتحدث عن نفسها على يد المؤرخ العربي
المعاصر، كونها كامنة بين طيات المخطوطات والاراجيز الشعرية والآثار والقصائد
والوثائق والرسائل الاجنبية وكتب الرحلات القديمة... «ان المؤرخين
المروقيين... يحاولون ربط بعضها ببعض ووضع كل حادثة في اطار عام يستطيع
القارئ بمقتضاه ان يميز بين الحدث السابق والحدث اللاحق بين السبب والنتيجة،
بين العام والخاص، اذا اقتنع القارئ بما يقرأ وتتابع لديه الاحداث بكيفية
منتظمة مرضية قال عنها المؤلف: هذا مؤرخ حق نقدي الاخبار وتوصل الى ابراز
المنطق المتضمن فيها» - على حد تعبير المؤرخ المغربي عبدالله العروي -.

ثم ماذا ايضاً؟

من خلال هذا الاقتراب لصياغة اشكاليات متنوعة يحتويها هذا «المدخل»
بصورة مختزلة، نوضح على وجه التحديد بعض الارتسامات الاساسية في البحث
التاريخي، ولكن كيف؟

■ انظر: سيار الجميل: العلمانيون وتكوين العرب الحديث: من اجل بحث رؤيوي معاصر، مؤسسة
الابحاث العربية، بيروت - ١٩٨٩.

ليست النصوص التاريخية التي تتركب منها بحث موضوع هذا الكتاب، إلا معلماً على الطريق الصعب والطويل، من أجل تشكيل مفاهيمية مفتوحة وتطبيقية لتاريخية العرب في العصر الحديث، اقصد، إعادة النظر في منتجات هذا التاريخ الذي اشتركت فيه عناصر متباينة، وإعادة الرؤية في معطياته السوسيولوجية والاقتصادية والثقافية... بشكل يتجاوز الحدود التي فرضتها علينا الأدبيات التقليدية. أي باختصار، بناء رؤية جديدة لتاريخنا العربي عموماً، ضمن مناهج معرفية، لا تنفك جامدة باشتراكها كأدوات في يد المؤرخ الجاد والبعيد النظر، ان تمارس البحث والتفكير عن اجابات تطرحها تساؤلات متنوعة يفرضها الباحث والمؤرخ نفسه فرضاً على موضوعه لأقامة تنابعية مستمرة بالحجة والدليل، من البحث الحمي الذي يفكر ويتأمل في قضايا الاشكالية دوماً، وذلك عبر المواجهة الشفوية والتحريرية في فضاء من الفرضيات المتشظية في كل ما يمكن دراسته في الحاضر. ثم باختصار، تشخيص الرواسب التاريخية الكامنة في اعماق حاضرتنا، والتي افترتها القرون المتأخرة بشكل خاص.

اريد القول ايضاً، بأن هذا العمل، لا يعبر ابداً عن التوجه الرؤيوي الذي انتويه اليوم، فقد مضت سنوات على كتابتي له... ولو قدر لي وكتبته من جديد، فسيفرج بغير الصيغة التي أنشره عليها اليوم. نظراً لما افرزه عندي التكوين المعرفي الذي نقلني من طور «التركيب التاريخي» الى «التفكيك المعرفي» ضمن المنهجية الرؤيوية التي رسمت كتاباتي المتأخرة على انساقها الايستمولوجية. كيف يتم الكشف عن خطوط ذلك؟

كي افصح بشكل واضح عن المفارقات التي تميز «التفكيك» (لتحديد الرؤية) عن «التركيب» (لتتابع الاستعارة والتقليدية)، أود ان تكون هذه «المنهجية» مبعثاً لأنشطة فكرية فاعلة من خلال الاستنتاجات التاريخية التي ينتهجها البحث، وسوف اعالج ادناه بعض الخصائص التي تحدد اساليب العمل في التفكيك المعرفي كأطار من أطر المنهجية الرؤيوية:

- ١ - الاستناد على الفرضية الموضوعية التي تقول بأن الحوادث التاريخية المتنوعة، ذات بنية متماسكة وثابتة، وانها ذات دلالات ومعان لا تموت بأنتهاء الحدث التاريخي أو الواقعة اليومية، اذ تتخلف عنها «رواسب تاريخية»، علينا بالكشف عنها.

٢ - تشخيص كافة التناقضات بعقلانية مجردة، وحياد تام.. دون العمل على إخفاء التناقضات ضمن حجج متباينة.. وتكون القراءة واعية تمام الوعي لكشف المزيد من الحقائق، وتستبعد - هنا - القراءة الخالية من الوعي.

٣ - الاستناد على «المرجعية» المنهجية التي تقوم أساساً على روح المعرفة والتي تزاوجها العديد من الأفكار والتفسيرات والتي تريد سحب جملة التاريخ إليها لتغلفه بأرديتها. ان المعرفة تتسامى فوق كل شيء بعيداً عن كل الثيولوجيات والمشاكل الايديولوجية المتنوعة.. انها المستمرة بقوة البرهان (= العقل)، والمؤسسة على الروح الانتولوجية السامية.

٤ - ان التفكير المعرفي / الايستمولوجي لصفحات معينة من التاريخيات المتنوعة لا يتعزز إلا بالاستبطان وقراءة ما يمكن وراء الاحداث والنصوص وانعكاسات ذلك على البنى المستقبلية لتلك التاريخيات، أي الربط الجدلي بين السوابق واللاحق. ولكن لا يمكن ممارسة النقد والتفكير قبل اتباع وممارسة المنهج التركيبي، الذي يسمى لتوفير مناخ بنيوي في دراسة التواريخ، شريطة أن يتسم ذلك بالدقة والاختزال والعقلانية، وممارسة الروح المعرفية، من اجل تقديم ما تتطلبه الاجيال العربية الحديثة من نصيب الثقافة الاصلية والانفتاح على التحديث والعصرية، أي من اجل التقدم والارتقاء.

من الضروري، في النهاية، القول بأن الكتابة التاريخية حول حدث تاريخي بارز في حياة أمة، هي مهمة عسيرة، لا سيما اذا كان ذلك الحدث يمثل قفلة تاريخية فاصلة بين عهدين سياسيين، أو عصرين تاريخيين، ومهمة صعبة ايضاً ان يفرد لحدث تاريخي واحد كتاباً كالذي بين يدي القارئ! انه الحدث الذي يعتبر نقلة كيفية في تغييرات اصاب المجتمع في بنيته وعلاقاته وادارته واقتصاده وثقافته في الصميم.. نقلة تاريخية أثرت في التكوينات السياسية والروابط الاقتصادية ومستوى المعيشة لذلك المجتمع.. وسيكون العمل صعباً، اذا ما بحث المؤرخ في الفوارق الدقيقة والتميزة كجملة من المتغيرات لجميع فئات المجتمع وطبقاته بعد انتهاء ذلك الحدث ومؤثراته الدولية والاقليمية والمحلية على حد سواء.

ان اول ما يستهدفه الباحث والمؤرخ ورجل العلوم الاجتماعية، هو في تقديري، نجاحه معرفياً ومنهجياً على حد سواء، ويكمن ذلك في اتباعه للانساق والمفاهيم، وممارسته لذلك في عمله كما يحصل على المزيد من الاستنتاجات التي لا مناص من توظيفها معرفياً في ارساء الوعي السياسي والوطني والعروبي، وتكوين رؤية سليمة في التفسير المقارن للتاريخ من اجل الوصول الى معرفة اسمى بأوضاعنا العربية المعاصرة. تكشف الاستنتاجات ايضاً، عن محاولة لتوفير جذور التحديات التي نواجهها كمرب في ايامنا المعاصرة، وخصوصاً بالنسبة للعلاقات التاريخية المتأزمة بيننا وبين الأمم الاخرى، ومنها ايران التي اشتركت معنا في تاريخ متأزم يمثل صراع طويل وعميق الجذور والأبعاد، انه تاريخ مشترك طويل من الصراع السايكلوجي والاستراتيجي المزمّن. فكيف سيكون الحال اذا ما درست تواريخ تفصيلية عن طبيعة العلاقات المتوترة والساخنة سياسياً وثقافياً ومذهبياً وايدولوجياً؟

هكذا سنصل الى نتائج غاية في الغرابة والتعجب اذا ما درست حالات الصراع الدموي في الحصارات والحروب والقتالات الشرسة. . من اجل قبر الطموحات والأمال الميته لايران التي تريد السيطرة على العراق والمشرق العربي، كي تصل بيدها الى سواحل البحر المتوسط وقد اثبتت صفحات التاريخ، ان ذلك لم يتحقق ابداً على امتداد التواريخ الوسيطة والحديثة، ومنذ العصور الكلاسيكية المندثرة.

ان هذا كله يدفعنا لتحديد جملة من مفاهيم المعرفة، واجراء تطبيقات دقيقة من خلالها في دراستنا الاجتماعية كافة. . ومن اجل الارتقاء بأوضاعنا العلمية والبحثية مما هي عليه اليوم! وهذا لا يتم مطلقاً دون ان تترن الاجيال العربية المعاصرة والقادمة عليها، ومن خلال مزاجتها مع التجارب التاريخية المريرة والساطعة في حياة الامة العربية، كي نحقق الممكن التاريخي الذي يتطلبه مستقبلنا قبل كل شيء.

ان المناهج المتقدمة والمفاهيم المعاصرة لم تزل بعيدة كل البعد عما يمارسه العرب من كتابات وتجارب. . . فلا بد من معطيات جادة على الطريق كي نخدم حاضرتنا العربي المعاصر وبشكل يوفيه حقه من البحث عما يتمفصل في دواخله ثقافياً وسوسولوجياً وتراثياً والسنياء. . الخ من اجل بناء مجتمع عربي جديد لم تزل اجيالنا القومية تسعى للنهوض به من خلال بعث زمرة التاريخ. . . وعند ذاك ستكون قد بلغنا درجة الحداثه!

نقد المصادر وتحليلها

قبل تدارسنا حصار نادرشاه للموصل سنة ١٧٤٣ م، في اسبابه (الفصل الثاني)، وتفاصيله (الفصل الثالث)، ونتائجه (الفصل الرابع). نجمل ادناه - وقبل ان نخوض في غمار نقد المصادر والمراجع وعلى وجه التحديد - مدونات الحصار الاساسية التي تتميز بأهميتها البالغة من ناحية تفاصيل رواية احداثه التاريخية. . ولولاها لضاعت علينا معلومات غزيرة، ولخفيت عن اعين المؤرخين والقراء والمهتمين فقرات كاملة من تفاصيل الاحداث التي ضمها الفصل الثالث من بحثنا هذا. . اضافة الى نتائج الاحداث التي اعتنى بها الفصل الرابع. ان اهم مدونات تفاصيل احداث الحصار ونتائجه المباشرة هي على التوالي:

- ١ - وثيقة القازوقجي الرسمية.
- ٢ - رواية كتاب «المنهل».
- ٣ - رواية ارجوزة «ملحمة الموصل»، وارجيز وقصائد اخرى.
- ٤ - رواية كتاب «الدر المكنون».
- ٥ - وثيقة الحصار الدولية (باللغة الايطالية).
- ٦ - معلومات كل من نييور ولانزا وايغز وأوتيه.
- ٧ - رواية الحصار في المخطوط التركي (المتحف البريطاني).

ان المصادر اعلاه قد اقتصت بتدوين احداث الحصار التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية. . على نحو شمولي، وسوف تدارسها ادناه مع غيرها من المصادر والمراجع الحديثة. ان النقد التاريخي لمصادر احداث الحصار، أو أية احداث تاريخية هامة يفرض على المؤرخ ان يقف عندها ناقداً بعد ان قدم مادته من خلالها، وان عملية كهذه لا بد لها من مقايسة ومقارنة بين المصادر، وتوضيح سماتها الموضوعية التي تميزها.

ان رواية الاحداث التاريخية لحصار الموصل، والمعلومات التي كتبت عنه، والآثار والادبيات التي نسبت اليه او الكتابات التي عنت فيه تتوزع ضمن الحقول التالية:

١ - شروحات التقارير والمذكرات والوثائق الرسمية .

٢ - الرواية التاريخية الاصلية .

٣ - الرواية الشعرية والصور الادبية .

٤ - معلومات واخبار الرحلات الاوربية .

٥ - الكتابات التاريخية الحديثة .

٦ - الدراسات الاكاديمية .

ان الحقول الموضوعية اعلاه قد شملت جملة من الكتب والوثائق والمخطوطات والاوراق وبعض المقالات والقصائد والاراجيز والتواريخ الشعرية . . وقائمة المؤلفين والقادة الرسميين والادباء والرحالة الاوربيين تشير كون هؤلاء قد طرقوا موضوع حصار الموصل على نحو موضوعي مباشر فيما سجلوه وكتبوه عن احداثه . . وهناك قائمة اخرى من الكتاب والمؤرخين والشعراء ■ مروا على ذكره او الاشارة به في معرض كتاباتهم عن مواضع اخرى متصلة به او متبعية فيه او متلافة عنه . ويمكننا التفصيل في نقد مصادره والوقوف ملياً من خلال الحقول المارة الذكر على التوالي :

١ - شروحات التقارير والمذكرات والوثائق الرسمية :

تشملها تلك التسجيلات الحكومية والدبلوماسية والدولية، وقد ظهر العديد منها الى حد هذا اليوم، وربما ستظهر أو تكتشف اشياء اخرى في قبال الايام . ففي المذكرة الحكومية المحلية لولاية الموصل «سالتامة الموصل» تسجيلات رسمية عديدة اهمها ما كتبه وذيله بتوقيعه والي الموصل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي، اضافة الى معلومات السالتامة التاريخية نفسها ثم وثيقة الوزير القازوقجي محافظ الموصل التي تسجل تفاصيل احداث الحصار على نحو رسمي ، وقد برزت فيه نواح كثيرة واوجزت في اخرى بمقارنتها مع روايات تاريخية اخرى عن الحصار مثل رواية «المهمل» . وعلى المؤرخ ان يعتمد عليها نظراً للميزات التالية التي تتحل بها :

١ - انها تقرير حكومي رسمي موقع من قائد رسمي كان له دوره في الاحداث وعلى نحو بارز .

٢ - ان موقعها الوزير القازوقجي (محافظ الموصل) لم يكن موصلياً، او احد مستوطني الموصل، او انه قد قضى في ربوعها عهداً طويلاً في الادارة، بل عين محافظاً لها في ظروف الحرب وهو والي حلب.

٣ - ان الوثيقة نفسها كانت مرسلة الى البلاط العثماني في اسطنبول هدفها اطلاع السلطان العثماني وهو اعلى سلطة في الامبراطورية على تفاصيل احداث حرب الحصار بصورة رسمية.

■ - ان هذه الوثيقة هي اقرب مصدر حي الى عمر احداث الحصار، فقد كتبت بعد انتهاء حصار الموصل مباشرة ورحيل نادرشاه عنها.

ان الوثيقة الاساسية المهمة الثانية عن حصار الموصل هي تلك الوثيقة الدولية التي كتبت باللغة الايطالية وارسلها المستر استانبوب اسبينول نائب السفير البريطاني لدى البلاط العثماني الى وزارة الخارجية البريطانية. وقد فصلت في شرح اهميتها في تحقيقي وترجمتي لها. (راجع الملحق رقم (١) في هذا البحث).

وهناك الرسائل الدبلوماسية لاسبينول نفسه، والتي كان يرسلها الى حكومة دولته ثم الرسائل الدبلوماسية التي كان يرسلها القنصل الفرنسي في بغداد عمانوئيل سانت البرت الى الحكومة الفرنسية. . ورغم قلة معلومات هذه الرسائل عن الحصار بالذات، الا ان البعض من رسائل استانبوب اسبينول توضح ابعاد الحصار وآثاره في كل من العاصمة العثمانية ومواقفها السياسية ثم توضح لنا من طرف آخر اوضاع حلب (١) . . في حين ان رسائل ع سانت البرت توضح لنا اوضاع نادرشاه ومواقف بغداد تجاه الحملة الايرانية العاتية الثانية تحت قيادة نادرشاه نفسه، (٢) وأهم ما في هذه الوثائق المعلومات الجديدة التي اوضحت لنا موقف الوزير احمد باشا ابن حسن باشا والي بغداد من الحملة الايراني على العراق وهجوم نادرشاه على الموصل.

وهناك ايضاً، رسائل حرب الموصل ضد الهجوم الايراني عليها والمتبادلة بين نادرشاه - حسين باشا الجليلي، والمرفقة بنصوصها الكاملة ضمن ملاحق هذا الكتاب. وتعتبر هاتان الوثيقتان الرسميتان ذات اهمية بالغة في توضيح ابعاد اسبقيات الحصار التاريخية بأيام منه، ثم توضح بصورة لا تقبل الشك قوة وشراسة الهجوم الايرانية في التهديد الايراني الذي احتوته الوثيقة الاولى، من جانب آخر نتلمس الموقف الحديدي الصلب للموصل بقيادة (شعباً في الرسالة الجوابية على الانذار الايراني الاول (راجع ملحق رقم ٣ وملحق رقم ٤).

اضافة الى كل ذلك، فان هناك معلومات اساسية مساعدة تتضمنها سجلات ولاية الموصل الحكومية وهي ارشيفات عثمانية رسمية يتواجد قسم منها في اسطنبول، (٣) وهناك دفاتر مصورة عن سجلات حكومية تحتفظ بها مكتبة الدراسات العليا في جامعة بغداد (٤). . . اضافة الى ما يحويه مركز الوثائق الوطني في بغداد. وتحتفظ الموصل نفسها بالعديد من الفرامين الرسمية والحقانيات والمستندات، ووقفيات الجوامع والاراضي والقرى. . . وذلك في مكتبات خاصة.

٢ - الروايات التاريخية الاصلية:

تنقسم روايات حصار الموصل التاريخية في هذا الجانب الى نوعين من حيث التفاصيل واهمية المعلومات وهما:

١ - الرواية المحلية:

وهي الرواية التاريخية التي تتميز باهميتها البالغة التي تشكل تراكيبها من المعلومات الاساسية عن الاحداث « العمود الفقري لقصة حصار نادرشاه للموصل وتفاصيله وخصوصاً من النواحي الحربية ومعارك الدفاع العديدة بعد الهجوم المدفعي وقصف المدينة بألاف القنابل ثم الهجوم الايراني البشري الكاسح الذي انتهى فاشلاً . . ثم تفاصيل المفاوضات وانتهاء الحصار . . وما يعزز من قيمة الرواية المحلية لهذا الحصار كونها قد كتبت من قبل مؤرخين محليين من ابناء نفس البلد الذي عصفت بمقاديره تلك الاحداث الكبرى . . ثم ان مدوناتهم التي يقف عليها المؤرخ هذا اليوم، هي المدونات المخطوطة التي كتبوها بأيديهم انفسهم . وان الذي كتبوه من الاحداث يتوضح صدق روايتهم فيه نظراً للعوامل التالية:

١ - ان هذه الرواية تتطابق على نحو واضح مع الشروحات الوثائقية .

٢ - ان عمر هذه الرواية قريب من زمن الاحداث .

٣ - ان من كتب هذه الرواية قد شهد احداث الحصار أو تلمس آثاره .

٤ - ان هذه الرواية معززة في كثير من الوقفات بالاستشهادات والاقوال للعديد من

القادة والعلماء والشعراء ممن عاشوا خضم الاحداث بصورة عملية، كما

واعتمدت هذه الرواية في تسجيلات نصوصها على الذين شاركوا في صنع

تلك الاحداث التاريخية .

أ - ان اهم رواية محلية تحكي التفاصيل التاريخية بأسلوب دراماتيكي وحقيقي لأحداث حصار الموصل وعلى نحو مسهب واف هي رواية المؤرخ والعالم محمد امين الخطيب العمري الذي ضمنها في صفحات عديدة من كتابه المشهور «منهل الاولياء» . «٥» ولا غبار من الناحية النقدية تجاه رواية هذا المؤرخ بعد مقارنتها بالرواية الرسمية، فكان صادقاً فيها ومخلصاً واميناً في تسجيلها ايضاً . ومن المؤكد بأن حصار الموصل واحداثه الرهيبة كان له التأثير البالغ عند هذا المؤرخ، اذا ما علمنا بأنه قد شهد وعمره ست سنوات، (٦) فكانت تلك الانطباعات المترسخة عنده تجاهه قد قادته لكي يقدم خدمة جليلة لبلده وتاريخها واجيالها من بعده من خلال كتابته لتلك التفاصيل عنه بحيث اعتبرت روايته المحلية احد امهات المصادر عن الحصار، ويتلمس المؤرخ فيها من المعلومات ما لم يتلمسه ويجده عند اي مصدر آخر من امهات المصادر على نحو شامل . لقد كان اسلوب هذا المؤرخ مبسطاً خال من تعقيدات الزخرفة اللفظية، وقد وردت بعض الكلمات باللهجة العامية الموصلية . ومن الجدير بالملاحظة بأن موضوع كتاب المنهل هو (التراجم)، وقد نجح مؤلفه في ابراز النواحي المهمة لمن ترجم لهم، كما ويعتبر هذا الكتاب غزير في مادته ومعلوماته وخصوصاً عن الرجال الذين انجبتهم الموصل أو الذين عاشوا في كنفها خلال القرون المتأخرة . وقد وردت بعض الاخطاء التاريخية في حديث المؤلف عن حوادث تاريخية عديدة. (٧)

ب - الرواية المحلية عن الحصار للمؤرخ الشهير ياسين افندي الخطيب العمري، وتتميز هي الاخرى بتفاصيلها التاريخية الوافية والواضحة من النواحي السياسية والحربية والاجتماعية . . ونراها متوزعة بشكل بارز في العديد من كتب هذا المؤرخ، واهمها تلك الرواية التي تضمنها كتابه الشهير «الدر المكنون» . «٨» وعلى الاخص ما احتوت عليه النسخة الثانية من هذا الكتاب الذي لم يزل مخطوطاً. (٨) ان معلومات هامة ومفيدة عن حصار الموصل تحتويها النسخة الاولى، ولكن هذا المؤرخ اجفى على الثانية مواد تاريخية جديدة اخرى بعد كتابته لها بخط يده وبعد سنوات عديدة من كتابته للنسخة الاولى من كتابه «الدر المكنون» . «٩» اضافة الى ما كتبه عن الحصار في كتابه الآخر «الآثار الجليلة» الذي اختصر زبدته الدكتور دؤود الجلبلي وضمت

هذه «الزبدة» .. معلومات موجزة وهامة عن حصار الموصل . إضافة الى كل ذلك فان المؤرخ ياسين العمري قد كتب رواية الحصار في مختصرات عديدة احتوتها كتبه الأخرى وأهمها «مخلاصة التواريخ» - مخطوط - وكتاب «قرة العين» .. - مخطوط -، وكتاب «منية الأدياء» .. - محقق -، وكتاب «غايا المرام» .. - مطبوع -.

يظهر لنا جلياً من دراسة نصوص رواية المؤرخ ياسين الخطيب العمري انه قد اعتمد في بعض مادته على كتاب (المهمل) لأخيه محمد أمين، إضافة الى تسجيل ما كان قد سمعه من الرواة والشيوخ الذين كانوا قد عاشروا أحداث الحصار واشتركوا فيها ومنهم استاذ في التصوف الشيخ عثمان الخطيب الاسود . ويبدو لنا ان المؤرخ ياسين قد كتب في جوانب وأثار الحصار أكثر من معالجته لتفاصيله كما هو عليه نص رواية الحصار في «المهمل» . من طرف آخر فان هذا المؤرخ لم يشهد أحداث الحصار بنفسه، لأنه ولد بعد هذا الحصار بسنة ونصف السنة، ^(٩) وهكذا فقد نشأ هذا الرجل منذ بدايات حياته الأولى وجميع الناس في مدينته تلهج بذكر الحصار ووصف عملياته وآثاره . ان أسلوب هذا المؤرخ مبسط جداً وتتخلله العديد من الألفاظ الغريبة والتراكيب العامة، وبالقياص الى غيره من الأساليب الأدبية الفخر كانت رائجة ثقافياً عصر ذلك في مدينته بصورة راقية، نجده ضعيفاً جداً . ومع كل هذا وذاك فان ياسين العمري يعتبر - اليوم - من أشهر المؤرخين العراقيين ابان عصره نظراً لغزارة مادته التاريخية التي قدمها لنا في اعمال تاريخية أساسية تروى على (١٥) كتاباً، والتي تميزت عناصرها بالتنوع سواء على مستوى الموضوع أو المعلومات، فهو المؤرخ العراقي الوحيد خلال المجهود الحديثة الذي نوع مواضيعه التاريخية فكتب في تاريخ الدول والتاريخ المحلي والتاريخ المحلي لمدينة العراق وأقرب التراجم .. وغيرها. ^(١٠) ونجد في معظم كتبه، معلومات جديدة عن العراق لا نجدها عند غيره وخصوصاً المعلومات السياسية والاقتصادية والإدارية.

ج - رواية الحصار المحلية في مخطوط «روضة الأخيار» لمؤلفه علي بن ياسين العمري، وهي رواية تاريخية مختصرة، من المؤكد ان المؤلف قد كتبها نقلاً عن إحدى روايات سابقة لها، او انه نسخها من أحد كتب المؤرخ ياسين افتندي الخطيب العمري .

لابد لي ان اشير الى القيمة التاريخية التي تتحل بها الرواية المحلية في كتابة احداث حصار الموصل اذ لولاها لضاعت عن الدارس مساحة واسعة من تراكيب تلك الاحداث ومعلوماتها المختلفة. ويعود الفضل في تسجيلها وحفظها الى كل من الاخوين العمريين ياسين ومحمد امين. . . وحسبنا ان نذكر بان المصادر التاريخية التي اعتنت بتاريخ بغداد ووزرائها في الفترة المختصة قد تضاعف فيها حجم المعلومات عن الموصل بل تحفت وتندر في اغلبها على قلتها وكتابتها. أي المصادر - بالتركية وليس بالعربية - وقد يعزى السبب في ندرة معلومات الحصار عندها كون بغداد لم تشترك في فصوله لا من قريب ولا من بعيد بل اشتركت في اسبابه على يد واليها.

■ - الرواية الاجنبية :

وهي رواية تاريخية موجزة، وليست لها تفاصيل عن احداث الحصار، ولكن معلوماتها لا تخلو من فوائد للباحث المتقصي الذي يريد ان ينتهي الى نتائج تاريخية مهمة وعديدة من خلال فهم الاسباب والعلل التي بلورت الاحداث، ثم موازنته بينها من خلال بحثه بأسلوب مقارنة المعلومات ومقايستها زمنياً ومكانياً، والاحاطة بجوانبها المتباينة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً وسكانياً وعسكرياً. . ان اهم هذه الروايات، هي رواية المؤرخ القديم المستشرق النمساوي الفون هامر بورجشتال^(١) الذي اعتمد في كتابته لها على المصادر التركية ومقارنتها مع روايات تاريخية كتبها عن احداث اخرى تضمنها صراع العثمانيين مع نادرشاه في اقاليم عديدة سواء كانت تلك الاقاليم عراقية ام تركية ام ايرانية او في اماكن عديدة من اذربيجان او تركستان او ارمينية او قوقاسيا. . نجد ان معلوماته عن الموصل وحصارها تتميز بالشحة البارزة للعيان. ويعمل السبب في ذلك، ان الروايات التاريخية الاصلية المسهبة عنه قد كتبت باللغة العربية، والتي بقيت مخطوطة وحبيسة في الموصل ان لم تكن العراق ولفترات طويلة. . اضافة الى ان هذا المؤرخ قد اعتمد كلياً على المصادر التركية، وعلى الاخص روايات صبحي، في كتابته كتابه الشهير في «تاريخ الامبراطورية العثمانية» الذي تميز بمطولاته في مجلداته العديدة، ويرى بعض المؤرخين الاتراك ان المؤرخ الفون هامر قد وقع في اخطاء عديدة في كتابه هذا. من ناحية اخرى فقد وجدت ان هذا المؤرخ لم يعتمد على مصادر عربية في تعامله مع احداث الاقاليم العربية، رغم معرفته واجادته اللغة العربية ورسوخ علومه في ادابها وفنونها وكتابته لمجلدات عديدة لكتاب شهير

له قبيل وفاته تحت عنوان «تاريخ الادب العربي» وقد يعود السبب ان تلك المصادر العربية كانت قليلة ومحلية وغير ذائعة الانتشار. اما المصادر الايرانية فلم نجد لها ذكراً عنده، والتعليل انها كانت بعيدة عنه وعن فهمه لأن ثقافته الكبرى كان قد كرسها استشرافياً في العربية والتركية.

أما رواية الحصار في المصادر التركية فهي الأخرى غير موفية بأغراض بحث جوانبه على نحو مشبع ومبرز، ويعود السبب - فيما اعتقد - الى ان دفاع الموصل كان دفاعاً اقليمياً - عربياً ضد غزو إيراني، اذ لم تشترك في ذلك الدفاع اية فصائل من جيش امبراطوري - عثماني، ذلك الجيش الذي كان يقوده عادة الوزير الاعظم للامبراطورية او ان يمثله فيه سردار اقاليم الشرق، كما وفرت المصادر التركية من معلومات تاريخية غزيرة عن اعمال كل من الوزير طوبال باشا والوزير عبدالله باشا الكويرلي وغيرهم من الوزراء العديدين. واهم المصادر التركية في باب رواية حصار الموصل او ذكر معلومات عنه هي تاريخ صبحي^(١٢) وتاريخ احمد واصف «محاسن الآثار»^(١٣)، وتاريخ عاصم «تاريخ جليلي زاده»^(١٤)، ومعلومات كل من احمد راسم^(١٥) وعلي اميري^(١٦) واحمد جودت^(١٧) والآخر هو المؤرخ الرسمي لدائرة الامبراطورية. . . وهناك المؤرخ التركي الآخر مصطفى نوري باشا الذي تكلم عن حملة نادرشاه وحصار الموصل، وذكر بأن هزيمة كبرى قد لحقت بنادرشاه.^(١٨)

أما المصادر الايرانية القديمة فاهمها كتاب الاسترآبادي «جهانكشاري نادوي»، والذي ذكر حصار الموصل بعجالة دون ان تتوضح من خلال الكتاب اية اسباب سياسية أو اقتصادية أو دينية لحملة نادرشاه الثانية الكبرى على العراق وحصاره للموصل. . . علماً بأن الاسترآبادي قد توسع في تدوينه لمعلومات أخرى لنادرشاه ايران في مراحل زمنية متقاربة من تاريخ ايران، وعملياته الحربية الكبرى.

٣ - الرواية الشعرية والصور الادبية :

وهو حقل هام واساسي لكل من المؤرخ والنقاد والاديب ودارس الفن والشعر. . . فلقد افرزت تجربة حصار الموصل تراثاً ادبياً - شعرياً كبيراً، شارك في صنعه العديد من ادباء الموصل وعلمائها وشعرائها وشيوخها. . . واغلب ما احتواه

هذا الحقل هو العدد الكبير من قصائد المديح بحق بطل الدفاع، اذ شمل هذا الغرض الشعري نصيباً كبيراً من الاعمال، وتفاخر الشعراء من خلاله بالانتصار الذي حققته الموصل على نادر شاه ايران. وكانت هناك الارجوزة الشعرية التي احتلت موقعا هاما وبارزا على مستوى النتاج والفائدة التاريخية، ومن الاهمية بمكان ان نعالج عن كتب هذه المواد الادبية ومواردها على النحو ادناه:

١ - الارجوزة الشعرية:

تتميز بعددها وتنوع اغراضها، وما احتواه بعضها من المواد التاريخية الهامة التي لا يمكن للمؤرخ ان يستغني عن استعمالها بأي حال من الاحوال. ان اهم ارجوزة شعرية من الارجوز السبع، هي ارجوزة الاديب السيد فتح الله القادري الموصل التي نظمها بعد حصار الموصل. وتتميز كونها رواية شعرية وافية ومفصلة عن الاحداث المبررة التي مرت بالموصل وانعكاسات تلك الاحداث على الجبهة الداخلية للمدينة المحاصرة، فلقد كانت بصدق «ملحمة الموصل» كما اسمها محققها. . وما يزيد من قيمتها التاريخية هو ان ناظمها قد كان احد المشاركين في خضم اعمال واحداث الحصار نفسه، وقد رأى بأم عينيه كافة مجريات الاستعدادات القوية، وشراسة القصف بالقنابل والمعارك والعمليات الحربية في الدفاع. كما ووضحت معلومات هذه الارجوزة الاوضاع النفسية للسكان، كما وتلمس العديد من الجوانب الاجتماعية والاقتصادية. وعليه فان مؤرخ الحصار لا يمكنه ان يتجاهل التفاصيل التاريخية والاشارات الموضوعية للاحداث التي حصلت، وقد كان القادري صادقا في تسجيلها وحفظها بمقارنتها مع المصادر المعتمدة الاخرى. من جانب آخر، فقد كان الرجل ماهرا في صياغة الاحداث شعرا، وكان اسلوبه الادبي من الناحية الفنية هو الاسلوب التقليدي الذي لا يختلف في شيء عن اسلوب عصره واترا به. وقد بلغ عدد ابیات هذه الارجوزة (٤٥٩) بيتا شعريا. (١٩)

ولقد نظم ادیب آخر هو السيد خليل البصير ارجوزتين شعريتين (٢٠) بحث الاولى الى السيد عبدالله افندي الفخري ببغداد، والذي نظم هو الآخر ارجوزة شعرية طويلة وارسلها الى البصير. وتعتبر القصيدة الشعرية الثانية للبصير ذات خصائص فنية وموضوعية ومطلعيها:

أكفى الله اهل الموصل الشر اذ أتى عدو لهم من جانب الشرق ناهض

لما ارجوزة السيد عبدالله الفخري فقد بلغ عدد ابياتها (٦٩) بيتاً. ونظم الشيخ عبدالله السويدي البغدادي المتوفى سنة ١١٧٤ هـ، ارجوزة شعرية اخرى في موضوع حصار الموصل، عارض فيها ارجوزة السيد خليل البصير، وقد بلغ عدد ابياتها (١٦٨) بيتاً. ونظم الاديب يونس الموصللي ارجوزة شعرية اخرى باللغة التركية في موضوع حصار الموصل، ويبلغ عدد ابياتها (٢٩٩) بيتاً، وهناك ارجوزة اخرى في موضوع الحصار نظمها الشاعر حسن عبدالباقى.

ومن الجدير بالذكر ان السيد خليل البصير كان هو الآخر كظيره الاديب فتح الله القادري قد شهد فصول اعمال الدفاع القوية. وتغلب الصفات الفنية وغرض المديح والفخر على هذه الارجيز الشعرية المتعددة مقارنة بارجوزة القادري الموضوعية وملحمة الموصل. لقد نشر الشيخ محمد بهجة الاثري مجموعة من القصائد والارجيز لكل من عبدالرحمن السويدي و خليل البصير والسيد عبدالله الفخري الموصللي (انظر: محمد بهجة الاثري، فرائع المعصيات العنصرية في إثارة الحروب وحملات نادرشاه على العراق في رواية شاهد عيان، منشورات المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٨١).

٢ - القصائد الشعرية واعمال المدونات الادبية :

لقد حفلت المدونات الادبية التي كتبت او ألقت في فترات مختلفة من النصف الثاني من القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر في الموصل بعشرات القصائد الشعرية والاعمال الفنية التي اختصت بحصار الموصل، او كان نتاجها في المحصلة وليد مؤثراته النفسية والاجتماعية والحربية. وقد شملت تلك المدونات الادبية العديد من الكتب أو الرسائل أو المساجلات أو المجاميع الشعرية أو كتابات التواريخ الشعرية...

لقد غلب على القصائد الشعرية اغراض عدة هي المديح والفخر والتشبيب والثناء ثم التاريخ الشعري، وتلمس من قراءتنا للعديد منها تلك التأثيرات التي طبعت اصحابها الذين كان لأغلبهم نصيب بالمشاركة في اعمال الدفاع، أو كانوا في دائرة الادارة أو القيادة العسكرية أو المدارس العلمية أو التنظيمات النفاية.

ان جميع تلك القصائد الشعرية التي احتوتها تلك المذونات الادبية الشهيرة قد
نظمت وكتبت باللغة العربية، وقد صيغت بقوالب شنية امتاز بعضها بجودة
السبك والصياغة وقوة العبارة وعلى ناقد الادب ان يتحسس من خلالها سواء على
مستوى الشكل أو المعاني والمضامين، المكانة التي اوتقت لها الثقافة في الموصل،
تلك المكانة التي لا نجد لها في مدن عربية اخرى خلال القرن الثامن عشر في
المشرق العربي ولكن يتوضح لنا ان هناك تشابهاً كبيراً في مستوى الثقافة العربية بين
كل من الموصل المشرقية ومدينة فاس المغربية بما تحتويه كل منهما من تراث ادبي
عربي كبير يمثل نتاجات القرن المذكور اعلاه.

من جانب آخر نتلمس في ادبيات الموصل عروبة كل من الحس والنزوع
والثقافة، ولعل خير مثال في هذا الجانب ما نراه عند احد الشعراء الذين انجبتهم
هذه المدينة... يقول الاديب السيد عبدالله افندي الفخري في قصيدة شهيرة له في
مديح والي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي بطل دفاع الموصل ضد نادرشاه:

وإنا من العرب الكرام أولى العمل	وفينا الهدى والمجد والعلم والشعر
وما ضم حب المال قط صدورنا	فأموالنا عبد وأعرافنا حر
أبى المجد إلا أن نعيش بمعة	إذا لم يكن عز فمختارنا القبر
وإنا لفينا نخوة عربية	وإنا لنا جد به ينتهى الفخر (٢٢)

ان أهم الكتاب والادباء والشعراء الذين افادتنا نتاجاتهم واعمالهم
ومدوناتهم وقصائدهم هم:

١ - عصام الدين عثمان افندي الدفترلي العمري صاحب الكتاب الشهير
«الروض النضر» ١٠٠٠، ويعد هذا الكتاب من امهات كتب الادب والتراجم
في الثقافة العربية خلال القرن الثامن عشر وقد كوفى عليه صاحبه بأن نصبه
الوزير الاعظم للامبراطورية راجب باشا بمنصب دفتردار بغداد. وقد ألف
هذا الكتاب بالموصل سنة ١١٧٠ هـ، أي بعد حصار الموصل بأربعة عشر
سنة. ولقد تضمن الكتاب المزيد من المواد الادبية الفنية الخالصة والقصائد
الشعرية والعديد من الصور الادبية والاسماء والتراجم. وكان للمؤلف
فرصة المشاركة الفعلية في دفاع الموصل، وقدم خدماته للوالي نفسه ولازمه

ليل نهار اثناء ذلك واشاد بشجاعته وبذله. ولعل ما يثير الاعجاب في هذا الرجل المثقف والاديب انه كان احد فرسان معركة الكوماندوز البطلة (راجع الفصل الثالث من هذا الكتاب، موضوع هذه المعركة رقم ٨) حيث جاء على لسانه قوله (وكننت انا احد تلك الفرسان، وشاهدت من الهول ما لم يذكر بلسان). (٢٣) وكان سياسياً بارعاً حين اختارته القيادة ليكون احد اعضاء الوفد الرسمي الذي ارسلته الموصل بعد الحصار الى البلاط العثماني برئاسة الامير محمد امين باشا الجليلي لتقديم تفاصيل الاحداث وتقاريرها الى السلطان محمود الاول (٢٤) (راجع الفصل الرابع، موضوع رقم ١). . . اضافة الى كل ذلك فقد كان ادارياً قديراً في دفترايته لولاية بغداد بعد ان حنكته التجارب والاسفار وملازمته لوزراء الموصل من الجليليين، فكان موضع ثقة الوزير سليمان باشا والي بغداد، وبعد وفاة هذا الوالي اجتمعت اعيان بغداد وقادتها واقروا عثمان الدفتردار العمري قائمقاماً على بغداد وادارتها في غياب الوالي. . . وقد جرت عليه هذه الادارة بعد ذلك الانتعاب والواجع بين سجن وتشرد ونفي وعدة احكام متلاحقة بالقتل كان ينجو منها، وبقي ثابت الجأش والعزيمة والانفة والاعتزاز بالنفس بعد كل الذي لاقاه من علي باشا وعمر باشا والي بغداد وخصوصاً من الاخير الذي كان يضر له عداوة قديمة. . . وبعد سنين من المعاناة القاسية طلبت استانبول من العمري شهادته عن الوالي عمر باشا في تحقيق خاص بها حول عمارة سور بغداد فشهد بالحق لصالح خصمه الوالي فندم الاخير على افعاله تجاه ذلك الانسان العظيم فارسل له هدية ليشعره بذلك. . . ومات ذلك الرجل متأثراً بوباء الطاعون وبصورة مأساوية سنة ١٧٧٠ م - ١١٨٤ هـ، وكان قد عانى اثناء نفيه من شلل عضال. . . عاش ببيعون عاماً، كانت صفحة تاريخية لامعة في الشعر والادب والفروسية والادارة والسياسة والخدمات التي قدمها للعراق. . . وكانت صفحة موفقة ونقية ومتعبة ومريرة بعد ذلك من حياته الشخصية. (٢٥)

٢ - السيد عبدالله افندي الفخري الذي ولد ونشأ ودرس بالموصل، ثم قدم خدماته للوالي الحاج حسين باشا الجليلي، ثم سافر الى بغداد. وحظي عند واليها الوزير احمد باشا ابن حسن باشا وبعد وفاة الاخير عينه خلفه ابنه الوزير سليمان باشا بمنصب كاتب ديوان الانشاء ببغداد وبقي متمتعاً بمنصبه هذا في عهد كل من الوالي علي باشا وعمر باشا حتى وفاته سنة ١٧٧٤ م حيث خلفه

ولده اسعد افندي في كتابة ديوان افشاء بغداد. لقد كان السيد عبد الله الفخري كاتباً حاذقاً، وشاعراً ماهراً، يجسّن اللغة التركية وتترك العديد من القصائد والشروح والكتابات. (٢٦) وكان اخوه السيد يحيى الفخري مفتي الموصل ابان حصار نادرشاه للموصل والذي وجه اليه كتاب انذار نادرشاه الذي ارسله اليه ملا باشي علي اكبر المستشار الديني لنادرشاه، فأجابه الفخري بكتاب حكومة الموصل الذي حرره كل من الوالي والمحافظ (٢٧) (راجع الملحق رقم ٣ والملحق رقم ٤ من هذا الكتاب).

٣ - الحاج قاسم اغا الرونقي الذي ينتسب الى البيت الحلبي في الموصل التي ولد فيها سنة ١١٠٨ هـ وكان احد مرافقي الوزير الوالي الحاج حسين باشا في وقائع واسفاره نظراً لما اتصف به من صفات فقد كان مشهوراً بالفروسية، وله خبرة في الحرب ودهاء في السياسة واطلاع واسع في معارف شتى. . . وكان اديباً شاعراً، امتاز شعره بالجودة والرفقة وحسن المعاني. والرجل من ابطال جيش الموصل الذين هزموا حملة تركيز خان على الموصل في موقع جغرافي للمجنوب منها سنة ١١٤٥ هـ. (راجع الفصل الثاني من هذا الكتاب). من جانب آخر، فقد كان دور هذا الرجل كبيراً في الدفاع عن الموصل ضد نادرشاه اثناء حصارها وابل في ذلك بلاءً حسناً، وبعد انتهاء الحصار ومفاوضات سفراء الموصل مع نادرشاه الذين ارسلتهم الموصل بناء على طلب نادرشاه نفسه، اختار الوالي هذا الرجل الرونقي ليصحب هداياه الى نادرشاه فوصله وقدمها اليه فخلع نادرشاه عليه الخلع والاموال. (٢٨)

■ - علي افندي الغلامي، مفتي شافعية الموصل الخبير بالفتاوي ونظم الشعر والتدريس والافتاء، وكان يتمتع بمكانة لا تقه عند آل عبد الجليل، وقد تولى قضاء الموصل ثلاث مرات. . . وكان قد رافق الحاج حسين باشا الحلبي الى اذنه وقد اجاد في نصيدة تشوق الى الموصل ارسلها من هناك، ويتوضح فيها مدى تعلقه بوطنه وارضه. . . يقول فيها:

برق تألق في الظلام المسدل	فأثار في الاحشاء ذكر الموصل
اورى زناد الشوق بين جوانح	جنحت الى ذكر الحمى والمنزل
يا ايها البرق الولوع بمهجتي	وفقاً فديتسك بالفؤاد المبطل

هات الحديث عن العراق فاني
ابن العراق وساكنوه لمن هذا
حيا الحيا تلك الرحاب وان نأت
ما الروم دارى يا بريق ولا انا
اصبحت عن تلك البقاع بمعزل
بالروم يسأل كل ركب مقبل
عني لمذكراها حليف تخيلي
ممن تشد الى ذراها ارجلي (٣١)

ولكن من جانب آخر، كان متكبراً صلفاً على حد ذكر المؤرخ محمد امين الخطيب العمري في منهله. (٣١) اما موقعه في دفاع الموصل ضد نادرشاه فقد اختارته حكومة الموصل بعد حرب الحصار ليكون ثاني ثلاثة من رجال الموصل، قاموا باعمال المفاوضات مع نادرشاه وذلك في سرادق الشاه نفسه المقام على رابية القاضية مقابل مدينة الموصل في الجانب الشرقي من دجلة. وكان وفد الموصل الى نادرشاه برئاسة قاضي الموصل.

حسن عبد الباقي الموصلي، وهو الشاعر الشهير، ولد ونشأ بالموصل ثم حظي عند الوزير الحاج حسين باشا فقربه اليه ثم غضب عليه لشربه الخمر فرحل من الموصل الى بغداد، ومنها ذهب الى النجف وكربلاء وانحدر الى البصرة ثم عفا عنه، ولم يشهد هذا الشاعر حصار الموصل اذ كان في بغداد التي توفي فيها بعد عدة اشهر من الحصار وذلك في سنة ١١٥٧ هـ. اشعاره كثيرة وتتميز بلطف العبارة وجزالة الالفاظ، ويغلب عليها غرض المديح ثم التشويق والخمريات ومراثي الائمة، الحسن والحسين عليهما السلام. (٣٢)

٦- عبدالله افندي السويدي البغدادي، العالم والمؤلف الشهير الذي تنتسب اليه الاسرة السويدية ببغداد، ولقد نشأ في بغداد ثم ارتحل الى الموصل لطلب العلم واكمال تحصيله ومعارفه على ايدي علمائها الشهيرين ثم عاد الى بغداد واشتهر بالتدريس في مدارسها وتخرج على يديه العديد من العلماء. (٣٣) وتفيدنا المعلومات عنه انه نظم ارجوزة في حصار الموصل، ويظهر انه كان متابعاً لاجباره ووقائعه (٣٤). وكان لهذا الرجل دور اساسي وكبير في مؤتمر النجف الذي دعا الى عقده نادرشاه بعد فشله امام الموصل وانسحابه الى الجنوب لتتم فيه مناظرة بين علماء السنة وعلماء الشيعة، وقد نذب والي بغداد الوزير احمد باشا ابن حسن باشا الشيخ عبدالله السويدي ليدير شؤون واعمال المؤتمر بصورة رسمية، وقد دون الشيخ السويدي وقائع

المحاورة بتفاصيلها في محضر بالعربية وترجم منه نص الى الفارسية واخر الى التركية . لقد كان لهذا الشيخ دور بارز في ذلك المؤتمر الديني الذي انعقد بعد فشل حصار نادرشاه للموصل (٣٥) . . وللسويدي العديد من المؤلفات والرسائل ، توفي ببغداد سنة ١١٧٤ هـ . (٣٦)

هؤلاء هم اهم الرجال من الادباء والشعراء والسيوخ الذين قدمنا لهم اعلاه من الذين كان لهم نصيب بالمشاركة في احداث الحصار الكبرى او الذين تأثروا به او في نتائجه ، وهناك قائمة طويلة اخرى لآخرين ، يستطيع القارئ ان يجد معلومات منهم في كتب متنوعة بين مطبوع ومخطوط ، سواء بخصوص تراجمهم واثارهم . ومن الكتب «المهل» لمحمد امين العمري ، ثم «الشماسة» لمحمد مصطفى الفلامي ، وكتب المؤرخ ياسين العمري «النز المكتون - مخطوط -» ، «غاية المرام» ، «خلاصة التواريخ - مخطوط -» ، «قرة المينين - مخطوط -» ، «الآثار الجليلة - مخطوط -» وغيرها للمؤرخ ياسين ، ثم كتاب «سلك الدور» للمرادى ، «مخطوطات الموصل» للدكتور داق الجلبى ، وهناك العديد من الجامعات الشعرية .

٤ - اخبار الرحلات الاوربية ومعلوماتها:

ان اغلب تدوينات هذه الرحلات تقف ضمن شروحها عند الموصل ، فقلما يمر سائح اوروبي في الشرق دون ان يعبر نهر دجلة عند الموصل . وقد كتب الرحالة من الاوربيين المعلومات الواسعة عنها من النواحي الجغرافية والآثار والتاريخية والسكانية ، لا يمكن للباحث المعاصر ان يتجاهلها بأي حال من الاحوال .

ان اشهر تلك الرحلات التي افادتنا في رواية بعض الاحداث من حصار الموصل وتأثيراته الاجتماعية خصوصاً هي رحلة العالم الدانماركي الشهير كريستيان نيبور الذي زار الموصل سنة ١٧٦٦ م - ١١٨١ هـ ، اي بعد حصار الموصل بفترة تقرب من ٢٣ عاماً . وقد ترجمت رحلته الكبرى من الالمانية الى الفرنسية منذ عهد بعيد ، وتتميز اخباره عن الموصل بغزارة المادة الجغرافية والتاريخية سواء في وصف المدينة ذاتها أم قصباتها واطرافها من القرى والواحق . ويظهر ان تدوينات هذا الرحالة لم تقتصر على مشاهداته فحسب بل انه شرح

ما كان قد سمعه عن التقى بهم من الناس والمسؤولين في عدة أماكن من شمال العراق، كما ويظهر ان اغلبهم كانوا من مسيحي الموصل لأن معلوماته كثيرة نجماهم وعن قراهم واديرتهم. وفي الرحلة معلومات عن حصار نادرشاه للموصل، واغلبها عن تأثيرات ذلك الحصار عمرانياً وسكانياً في المدينة وانحائها. (٣٧)

وهناك رحلة الدكتورى. ايفز من ايران الى انكلترا عبر العراق وتركيا سنة ١٧٥٨ م وهو الطبيب الجراح في شركة الهند الشرقية، وتعتبر كتاباته عن الموصل هي اقرب كتابات رحلة اوردني عنها بعد حصار نادرشاه لها، وفيها بالفعل معلومات جديدة عن الحصار واستعدادات الموصل تجاهه واسبقياته ثم الآثار العامة التي تركها. (٣٨)

وهناك معلومات دومينيكو لانزا التي كتبها في مذكراته، وفيها جوانب هامة عن حصار الموصل. ومن المعتقد ان لانزا، المبشر الدومينيكي الذي سكن الموصل لفترة طويلة كان قد كتب معلومات تاريخية واسعة عنها ومن ضمنها حصار الموصل في ذكرياته المطولة التي كانت قد تلفت في ايطاليا وتمد اليوم من المدونات الضائعة. (٣٩)

ان اخبار الرحلات الاوربية ومعلوماتها كثيرة ومهمة وتوزع في كتب عديدة وفي لغات شتى وتحتفظ بطبعاتها القديمة مكتبات اوربا. ولا بد للباحث ان يطلع على اخبار ومعلومات اخرى في هذا الجانب كتبها آخرون منهم م. اوتيه في رحلته في تركيا وايران وكان وكيل الحكومة الفرنسية وتحدث عن الموصل وبغداد والبصرة. (٤٠) وهناك ج. جاكسون في كتاباته سنة ١٧٩٧ م، (٤١) ورحلة ج. أ. اوليفيه الفرنسية سنة ١٧٩١ م. (٤٢)

اما خلال القرن التاسع عشر فهناك رحلات كثيرة ذات معلومات مفيدة وواسعة في جوانب عامة منها رحلة ج. م. كينير في سنة ١٨١٠ م، (٤٣) ورحلة ج. س. بيكينكهام في سنة ١٨١٦ م واخص بالذكر كتابه «رحلات في بلاد ما بين النهرين» (٤٤)، ثم رحلة ك. ج. ريج المقيم البريطاني في بغداد سنوات ١٨٠٨ - ١٨٢١ م (٤٥) وغيرها كثير.

٥ - الكتابات التاريخية الحديثة :

وهي مجموعة الكتابات التي نشرت خلال هذا القرن ومن خلال فحص ما هو مهم منها نجد ان ما من مقالة أو دراسة أو كتاب في تاريخ العراق أو الموصل قد امتد في شروحاته عنها خلال القرن الثامن عشر من قريب أو بعيد ما لم يتعرض الى ذكر حصار الموصل وعلى نحو عابر أو سريع ، مقتضب أو مركز . وتنقسم هذه الكتابات التاريخية الحديثة الى نوعين من النتاجات هما :

١ - المقالات :

ان اهم المقالات التي تعرضت الى حصار الموصل هي كل من مقالة «الموصل» في الانسكلوبيديا الاسلامية . ومقالة «الموصل» في الانسكلوبيديا التركية . ومقالة «العراق» في الانسكلوبيديا الاسلامية في طبعتها الحديثة المتطورة . ورغم اننا لم نجد تفاصيل تاريخية عن الحصار في الطبعة القديمة للانسكلوبيديا الاسلامية ، الا انه من المتوقع - كما ارى - ان يكتب عنه وبصورة علمية وافية في مقالة «الموصل» القادمة في الابرازة الجديدة لمجلدات الانسكلوبيديا الاسلامية ، نظرا لزيادة اهمية حصار الموصل من الناحية الاكاديمية ، وبرز اكثر من دراسة علمية عنه في الغرب . ويتوقف الامر على من سيكتب في تاريخ الموصل الحديث لاحقاً في الانسكلوبيديا المذكورة اعلاه . اما الانسكلوبيديا التركية فقد تعرضت لذكر دفاع الموصل واشادت بقيادته واهله ضد الغزو الايراني ، اضافة الى ما تعرضت اليه في مقالاتها عن نادرشاه ايران ، وعلى نحو مختصر .

اضافة الى كل ذلك ، فان اقلماً عديدة قد كتبت عنه بصورة مختصرة في مقالات تاريخية وادبية نشرت جميعاً باللغة العربية في مجلات أو تقاويم أو دوريات أو جرائد محلية أو عراقية عديدة منها دورية «سومر» ودورية «المجمع العلمي العراقي» ، ومجلة «الجزيرة» الموصلية ومجلة «النجم» الموصلية ، وكثير غيرها .

التواريخ العامة :

من الاهمية بمكان ان اقدم رأياً نقدياً عليها بصورة عامة قبل الدخول في تحليل جوانبها ، نظراً لما ستفود اليه دلائلها عليها وعلى النوع الآخر من حقول المصادر وهو الدراسات الاكاديمية .

لم يكتب أي كتاب باللغة العربية عن حصار نادرشاه للموصل سنة ١٧٤٣ م، يخصص بتفاصيله واسبابه ونتائجه، رغم أهمية موضوعه ومادته التاريخية. ويصدق مثله على مواضيع تاريخية هامة في تاريخ العراق الحديث والتي لم يكتب فيها على نحو خاص تتمثل من خلال دراستها ابعاد ذلك التاريخ وطبيعته وتركيبه ومسرحه الجغرافي الذي جرت عليه الاحداث واثريها. وتنبع أهمية مواضيع هذا التاريخ الحديث الحديث للعراق في الاستفادة القصوى منها لأنها تشكل الاساسيات القريبة للحاضر بكل بنائه الاجتماعية والسكانية والثقافية في حين صرفت جهود كبيرة من قبل اغلب المؤرخين العراقيين في الكتابة عن تواريخ العصور الوسطى للعراق وفي اعجاده وعظمة رجاله. من ناحية اخرى فان اغلب ما كتب في تاريخ العراق الحديث باللغة العربية كان ذا نواقص وخطاه موضوعية، ويعود السبب في ذلك الى الصفة التي يتميز بها معظم المؤرخين من العرب عامة والعراقيين خاصة انه لا يميلون في الكتابة التاريخية الى اسلوب الوحدة الموضوعية بل يجهلون في كتاباتهم أو دراساتهم الى اسلوب الوحدة الزمنية. أو انهم يطرقون موضوعاً تاريخياً على نحو مختصر تستوعبه مقالة أو بحث صغير. ان الكتابة التاريخية التي يعتمد عليها اسلوب الوحدة الزمنية عندهم لا تقل بأي حال من الاحوال عن فترة قياسها قرن كامل من الزمن، وهذا ما يضيع من الموضوع أو المواضيع التاريخية التي يتعرضون لها للعديد من المعلومات الهامة، لأنهم من اجل قياس المواضيع على نحو متوازن ضمن تركيب اطارهم الموسع، تفتقد مجمل المواضيع الهامة لجوانب جديدة، وتحليلات اضافية، واستنتاجات تاريخية موفقة. لأنهم يكتفون في اغلب الاحوال بسرد الوقائع التي تناقلوها عن المصادر المتوفرة أو اختزلوها في اغلب الاحيان. وهذا ما نجده ايضاً عند الدارسين العراقيين المحدثين في النوع الآخر من المصادر (الدراسات الاكاديمية) -

من اشهر الكتب العامة التي يمكننا الوقوف عندها، كتاب المؤرخ عباس المزوي المحامي فرغم فوائد هذا الكتاب والمعلومات التي يحتويها «تاريخ العراق بين احتلالين» عن القرن التاسع عشر مثلاً في سبيل المقارنة، إلا ان نقولاته من المعلومات عن عراق القرن الثامن عشر تكاد تكون غير متكاملة اذ لم يتوقف هذا المؤرخ عند حصار الموصل وقفة يتطلبها موضوعه الذي يكتب فيه، والمعروف عن المزوي بدون شك انه كان يمتلكاً على نحو شخصي العديد من المصادر

المخطوطة عن ذلك الموضوع من خلال مكتبته الخاصة . . في حين نجد ان مؤرخاً انكليزياً وهو ستيفن هيمسل لونكريك يقف عند موضوع الحصار وقفة الباحث في كتابه المعروف «اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» بمساعدة باحث عراقي معروف هو يعقوب سركيس، ورغم الاخطاء التي وقع فيها لونكريك إلا ان كتابه هذا قد اطلع الغرب ولأول مرة بدون شك عن اربعة قرون خافية الاحداث من تاريخ العراق الحديث باللغة الانكليزية حين طبع كتابه في اكسفورد سنة ١٩٢٥ م. اما معلومات المؤرخ المحلي سليمان صايغ في كتابه «تاريخ الموصل» عن الحصار فقد تناقلها عن كتاب «المنهل» في رواية الاخير عن الحصار . . وهناك معلومات ضافية عن كنائس الموصل التي تعرضت للهجوم لم تذكر تفصيلاتها المصادر الاخرى، ومن المؤكد بأن صايغ كان قد استفاد في حصوله على تلك المعلومات من خلال خدماته الدينية في كنائس الموصل فقد كان قساً عندما كتب مجلديه الاول والثاني من تاريخ الموصل . ومن الملاحظ ان البعض من المؤرخين كان قد عول على المعلومات التاريخية التي احتواها المجلد الاول من تاريخ صايغ وذلك قبل ان يحقق وينشر مخطوط «المنهل» لمحمد امين الخطيب العمري سنة ١٩٦٧ م، في حين نجد ان بعض معلومات صايغ في تاريخ الموصل العام لا يمكن الاعتماد عليها حتى بصورة استثنائية غير اساسية، نظراً للفجوات التي تركها صايغ خالية من مواضيع التاريخ المحلي للموصل، اضافة الى بعض النواقص والاطعاء رغم اهمية وقيمة التاريخ المحلي والحوي للموصل الذي طرقة هذا المؤلف منذ عشرينيات هذا القرن. اما المؤرخ المحلي سعيد الديوه جي فقد بذل جهوداً واضحة في ادبيات الحصار يتلمسها كل من يبحث في هذا الموضوع، اضافة الى ما كتبه هذا المؤرخ في فقرات عديدة من آثاره الشخصية المنشورة عن موضوع الحصار. ان جهود الديوه جي في ادبيات الحصار قد تركزت بشكل واضح في تحقيقه ونشره للعديد من نصوصه الهامة بذل كتابته لتاريخه، فيعد بالنسبة لموضوعه اكثر منه مؤرخاً، اذ استطاع ان ينشر كتاب «المنية» . . لياسين العمري، واضفى عليه ملاحق هامة منها نشره لنص وثيقة الفازوقجي الرسمية. ثم حقق كتاب «المنهل» لمحمد امين الخطيب العمري واضفى عليه ملاحق هامة بالنسبة للحصار. ثم نشر «ملحمة الموصل» وهي ارجوزة القادري الخاصة باحداث الحصار . . وتعتبر الاعمال والادبيات والنصوص التي حققها الديوه جي من اهم روايات الحصار الاصلية. وتطرق مؤرخ آخر هو محمد امين زكي في كتابه «تاريخ الكرد والكرديستان» الى موضوع الحصار بصورة مختصرة.

كما كتب عنه المؤرخ جعفر خياط فصلاً كاملاً في تاريخه «صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة»، ويظهر أن هذا المؤرخ قد اعتمد في نصوصه عن الحصار على كل من صائغ ولينكريك. إضافة الى كل ذلك فهناك العديد من الملاحظات التاريخية عن حصار الموصل سجلها كل من كوركيس عواد^(٤٦) وبطرس نصري^(٤٧) والدكتور داؤد الجليبي^(٤٨) وصديق الدملوجي^(٤٩) والدكتور سليم النعيمي^(٥٠) وغيرهم. إضافة الى اهتمامات يعقوب سرکيس ومصطفى جواد.

من جانب آخر، فقد تطرق الى ذكر حصار الموصل وشرح بعض المعلومات بعض المؤرخين العرب مثل الدكتور عبدالعزيز نوار في كتابته لتاريخ العراق الحديث، وكذلك عبد الكريم رافق في حديثه عن الجليليين في كتابه «العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦ م»^(٥١). وقد اخفل ذكر الحصار كل من المؤرخين محمد فريد في كتابه «تاريخ الدولة العلية العثمانية»،^(٥٢) وساطع الحصري في كتابه «البلاد العربية والدولة العثمانية»^(٥٣) والدكتور محمد انيس في كتابه «الدولة العثمانية والشرق العربي»^(٥٤).

اما الكتابات التاريخية الاجنبية التي تحدثت عن الفترة بصورة عامة، فانها لم تتوقف عند موضوع حصار الموصل وقفة طويلة بالمقارنة الى وقعاتها المتعددة والمتميزة عند حصارات تاريخية شهيرة في التاريخ العثماني وعلى الاخص في شرق اوربا والبحر المتوسط، وهذا ما نجده عند العديد من المؤرخين الاجانب من الاوروبيين والامريكيين الذين كتبوا في التاريخ الامبراطوري العثماني باسلوب حولي مطول أو اسلوب موضوعي كمي أو اسلوب مرحلي مركز أو اسلوب سلافي.. كما هو الحال عند العديد من المؤرخين المشهورين ومنهم على سبيل المثال لا الحصر: كريسبي واللورد كنروس، وسبراي، ولاموج، وستانفورد شو، والمؤرخ التركي انالجيك - الذي يعيش في امريكا حالياً - إضافة الى المؤرخين الذين كتبوا في تاريخ ايران واشهرهم سايكس.

ولكننا نلاحظ من زاوية اخرى، ان هناك اشارات عديدة وواضحة عن حصار نادرشاه للموصل وموضوعه ودفاع المدينة أو عن بطله عند عدد كبير من المستشرقين ومنهم هاملتون كب، وباون، ولوكهارت، ولوك، وهولت، والبرت حوراني وجونز وغيرهم ممن كتب في باب الاستشراق عن مواضيع اختصت

بالدرجة الاساس في تاريخ الشرق العربي الحديث . من جانب آخر ، فان هنالك معلومات تاريخية قيمة في التركية الحديثة كتبها المؤرخ التركي اسماعيل اوزن جارجلي ، ولا يمكن لاي باحث في تاريخ العراق الحديث خلال القرن الثامن عشر الاستغناء عنها وخصوصاً في بحث الصراع العثماني - الايراني .

٦ - الدراسات الاكاديمية المحدثه :

لقد شهدت سبعينيات هذا القرن بروز اكثر من دراسة اكاديمية في تاريخ العراق الحديث بشكل عام وتاريخ الموصل المحلي بشكل خاص ، سواء كانت تلك الدراسات بالعربية أم بالانكليزية . وتعتبر دراسة البروفيسور روبرت اولسن عن حصار نادرشاه للموصل (٥٥) من أرقى الدراسات التاريخية التي تبحت في التاريخ العثماني ، كما وتعتبر من اجدر الدراسات التي بحثت في حصار الموصل والعلاقات العثمانية - الايرانية خلال ٢٥ عاماً من القرن الثامن عشر . وقد تميز كتاب اولسن بتحليله للاحداث ، وتقصيه العلمي للظروف التاريخية الخارجية التي بلورت الاسباب المباشرة لولادة تلك الاحداث الكبرى في المنطقة وعلى الاخص المناخ الايدولوجي المعقد الذي حكم طبيعة العلاقات السياسية والحربية بين كل من العثمانيين والاييرانيين ، ثم تبيان العلل الاقتصادية التي بدأ المؤلف بمعالجتها في فصله الاول منذ القرن السادس عشر . وأهم ما وضعه هو الالهية الاستراتيجية للموصل . وعالج أيضاً في فصل آخر ظروف العاصمة العثمانية ومشاكل البلاط التي كفلت بخلفها حركة العصيان التي قام بها بترونة خليل ونجاح السلطنة في استئصالها . ثم انتقل الى فصل آخر ليعالج ويحلل بأسلوب كيمي ظروف الحرب في العراق قبل الحصار الذي فرضه نادرشاه على الموصل ، في حين نلاحظ ان اولسن قد تكلم عن فترات زمنية وما توالت فيها من احداث ، وأهم تلك الفترات هي الفترة المحصورة بين حركة عصيان بترونة ومعاهدة ١٧٣٦ م ، وعشية الحرب نفسها عندما كانت استانبول تحباه ازمات عديدة . لقد درس اولسن علاقات الصراع العثماني - الايراني في كتابه على درجة من الرصانة والاهمية ، وقدم لنا معلومات جديدة في بابها ، ومادة تاريخية قوية مدعمة بملاحظات عديدة رغم انه قد فصل كثيراً في الاختلافات المذهبية التي حكمت علاقات كل من الامبراطوريتين وقد خصّ اولسن فصله الاخير لبحث حصار الموصل ، وقد ركز بحثه فيه على اهم احداثه ومجرياته وانتهى الى نتائج . . .

خدمت اولسن، العديد من المصادر الاجنبية، وعلى الاخص المصادر التركية في شرح وتحليل الظروف الدولية للامبراطورية العثمانية وظروف عاصمتها الداخلية والشئ الذي يؤخذ اولسن عليه كونه لم يطلع على العديد من المصادر المحلية ادبية كانت أم تاريخية ومنها مثلاً مخطوط «الدر المكنون...» لمؤلفه المؤرخ ياسين الخطيب العمري والذي تعتبر روايته عن الحصار من اوثق الروايات. ولكن يبقى كتاب اولسن عن حصار الموصل اشارة علمية بارزة، وارقى دراسة اكااديمية معاصرة في تاريخ العراق الحديث في الموضوع والمنهج والتحليل.

اما الدراسة الاكاديمية الاخرى فهي اطروحة دكتوراه «برسي كيمب» المعنونة: «الموصل والمؤرخون المواصل في العهد الجليلي» ولا تزال هذه الاطروحة التي قدّمها صاحبها في نهاية عام ١٩٧٩ الى جامعة اكسفورد مطبوعة على الرولفو، وتحتفظ بها مكتبة بودليان الجديدة في جامعة اكسفورد. اما ملاحظاتي على هذه الدراسة الاكاديمية، فيمكنني ان اركز ما يفيد القارئ المختص في المجال الذي يتوبه كتابي هذا... ان الباحث كيمب قد اختار موضوعاً غاية في الاهمية، ويغلب على هذه الدراسة توضيح الجوانب السياسية والاقتصادية في قسمها الاول الذي اختص بتاريخ الموصل المحلي، وقد طبق فيه الباحث الاسلوب التطبيقي بتقسيم العهد الى فترات محددة. اما القسم الثاني من الدراسة الذي اختص في بحثه النقد التاريخي عن المؤرخين المواصل خلال العهد المذكور فقد طبق فيه الباحث الاسلوب التحليلي، ودراسة كل مؤرخ من المؤرخين على انفراد، شاملاً بذلك تراجمهم الوافية، واثار كل واحد منهم على جانب من التفصيل. وتمتاز اطروحة كيمب كونها ابتعدت عن الاسلوب التقليدي في اكااديمية الدراسة التاريخية، وقد قدم لها مؤلفها باحثاً في الاستراتيجية الجغرافية للموصل، ثم اضاف خلاصة من النتائج في نهاية كل فصل من فصول دراسته، ونجح في استعماله للرموز والمختصرات واسمف البحث في قسمه الاول بالعديد من الحقائق المحلية لمدينة الموصل التي شملت مواضيعها نواح عديدة وهامة. اما في القسم الثاني فقد نجح الباحث في استعماله لعدد كبير من المخطوطات التاريخية والادبية التي تعد من اثار الموصل خلال الفترة المعنية، وركز في شرح بعض معلوماتها الجديدة. اما الشئ الذي ينتقد عليه الباحث كيمب هو كتابته لمعلومات اساسية لم يسعفها بالملاحظات والمصادر، وهناك نقداً موضوعية اخرى لن يسعفنا المجال هنا لذكرها واطروحة كيمب لم تنشر بعد... وأهم ما يفيدنا في بحثنا

هذا هو ذكر الجهد الذي قدّمه كيمب في ملحق باطروحته، فقد ترجم الباحث رواية المؤرخ محمد امين الخطيب العمري عن حصار نادرشاه للموصل الى الانكليزية، وهو جهد بارز وامين وناجح له اهميته الاكاديمية بالرغم من ناحيته الاستثنائية في الاطروحة اذ لم يكتب الباحث من الناحية الاساسية الجوانب التفصيلية عن الحصار المذكور واكتفى بالعرض له في تحليلاته التاريخية وخصوصاً في القسم الاول من دراسته.

وهناك دراسة اكاديمية اخرى وهي رسالة ماجستير قدمها صاحبها المؤرخ العراقي د. عماد عبدالسلام رؤوف الى جامعة القاهرة سنة ١٩٧٣ ونشرها سنة ١٩٧٥، وقد عني موضوعها البحث في تاريخ الموصل خلال العهد الجليلي، وبذل فيها جهداً بارزاً، وبدون شك فان كتابها المنشور تحت عنوان «الموصل في العهد العثماني: فترة الحكم المحلي» له فائدته لكل من يكتب ويبحث في تاريخ الموصل المحلي. لقد قسم الباحث موضوع رسالته الى قسمين رئيسيين، بحث في الاول التطور السياسي، وبحث في الثاني التطور الحضاري ثم اضاف عدة ملاحق مهمة في نهاية الرسالة. وقد كتب الباحث في حصار الموصل ولم يتوسع فيه وربما التزم الاختصار فيه نظراً لطول الفترة الزمنية التي عني بدراستها، والمواضيع المتعددة التي طرقتها، رغم اهمية حصار الموصل في تاريخها الحديث، ومع كل ذلك فقد وفق الباحث في بحثه عن العلاقات السياسية المحلية التي ربطت الموصل بالاقاليم العراقية، وكذلك في بحثه عن نظم الحكم والادارة مستخدماً لعدد من المخطوطات والمصادر المحلية. . ويعتبر هذا الكتاب مهماً ويحتاجه كل من يبحث في تاريخ الموصل الحديث.

ملاحظات نقدية:

ان ما يلاحظ على المدارس الاكاديمية المتطورة هو فرضها على طلبة الماجستير اختيار مواضيع محددة يراعى في كتابتها التركيز لمعلوماتها الشاملة سواء كانت الدراسة لفجوة زمنية صغيرة او حدث تاريخي عظيم او شخصية تاريخية مؤثرة. . ويكبر العمل في ابحاث الدكتوراه سواء في دراسة عهد تاريخي او فترة تاريخية يتراوح امدها النصف قرن، او دراسة نقدية وتحقيقي علمي لمخطوط هام ونادر، او دراسة نظم ادارية في عهد ما، او علاقات سياسية بين دول خلال فترة محددة. . . فأغلب الدراسات - مثلاً - قد اختصت بدراسة فترات زمنية مطولة وغلب التفرد

بدراسة احداث تاريخية كبرى في تاريخ العراق الحديث كامتدادات السيطرة والحملات العسكرية وحصارات المدن الكبرى . . أو دراسة شخصيات تاريخية كان لها تأثيرها في حقبات متباينة من العصر الحديث في العراق كالسلطان سليمان القانوني، والسلطان مراد الرابع وجفال زاده والوزير احمد باشا ابن حسن باشا والوزير الحاج حسين باشا الجليلي والوزير الاعظم طوبال باشا والوزير سليمان ابو لهله وداود باشا والي بغداد، ومدحت باشا والي العراق وغيرهم . . فهي جميعاً مواضيع اولى بالدراسة والتدقيق والربط والبحث عن مخفياتها التاريخية من دراسة فترات أو عهود طويلة عاشها العراق، ليس للباحث من عمل في الاخيرة الأجمع اكبر قدر ممكن من المعلومات المتوفرة، ويقتنها أو يختزل مواضيعها الهامة . . والأجدر من الناحية العلمية ان تناط مثل هذه الاعمال للرجال المتفرغين الذين سنحت لهم السنوات الاكاديمية الطويلة، والتجارب المكتيبة والسفريات والمؤتمرات العلمية واكتسابهم اكبر قدر من المعلومات لكي يؤلفوا في فترات عهود طويلة، في حين من المفروض ان يلزم الشباب من المحصلين في تجاربهم العلمية الاولى، الاقتصار في تقصي فترات محدّدة، أو احداث كبرى، أو شخصيات عظمى . . والاحاطة التاريخية في دراسة مختلف الاسباب المباشرة وغير المباشرة للاحداث، واستخلاص النتائج المفيدة.

ان تاريخ العراق الحديث في تركيبه الغني بالاحداث ومؤثراتها ونتائجها يفرض على من يبحث فيه ان تكون له القدرة للاجابة على التساؤلات التي تحتويها طبيعته التي عاشها من النواحي العديدة في حياة البلد سياسياً واقتصادياً وجغرافياً وسكانياً . . . مثل الصفات المشتركة التي جمعت احقاب عصوره الحديثة باحقاب التضاعيف الاخيرة من العصور الوسيطة . ان اهم ما يقدمه الرجل الاكاديمي في بحثه لمثل هذا التاريخ اذا تدارسه بشكل علمي وبأسلوب متطور هو النتائج أو الاستنتاجات التاريخية بعد أن انتقل من دراسته التقليدية ميثودولوجيا الى الدراسة البنائية التي من اهم غاياتها (توظيف التاريخ) على أن لا يفقد الرجل الاكاديمي في ذلك ايأ من الاعتبارات الميثودولوجية الاساسية والمتطورة يوماً بعد آخر.

ان مسألة توظيف التاريخ، وعلى الاخص التاريخ الحديث هي من اعقد ما يواجه الباحث وخصوصاً في تجاربه العلمية الاولى وذلك في نواح عديدة، وفي دراسته لتواريخ معقدة الاحداث والتركيب والشخص والاماكن والتدوينات

والعلاقات السياسية والعناصر الاقتصادية والتكوينات الاجتماعية المتباينة ثم اتجاهات الإدارة في الحكم والجيش ثم التربية واحوال ثقافة العصر . وهنا يفيدنا الاختصاص والتعمق بعد اختيارنا مساحة زمنية محددة قابلة لأن تستوعب دراسة مختلف الظواهر التاريخية التي توالدت فيها وتوظيفها علمياً، لكي يستفاد منها جميع المعنيين وذوي الاختصاص وطلاب العلم والثقافة .

هوامش وملاحظات

1 - Aspinwall, [redacted] Papers 97-letters from Mr. Stanhope Aspinwall to the Duke of Newcastle, vol. 24-32 (Public Record Office in London).

2 - Letters from Baghdad, E. de St. Albert, Eighteenth Century Archives National, (Paris).

3 — Muhimme Defterleri are located in the Basbakanlik Arsivi in Istanbul; No. 130—35.

■ - هي مضمونات سجلات الطابور العثمانية المعنونة :

Bas Uekalet Arsivi, Tapu Defteri No. 660, 195.

لتختص معلومات هذه الارشيفات الرسمية بالتنظيمات الادارية الاولى لولاية الموصل .

■ - للمجلد، ج ١، ص ١٤٩-١٦٢.

٦ - ولد محمد أمين الخطيب العمري سنة ١١٥٠ هـ. (انظر، غابة...، ص ٢٥٠).

٧ - انحصرت تلك الاخطاء في المقدمة التاريخية التي كتبها للمجلد في تاريخ الموصل، منها ما اثبتته في مقالتي عن السيطرة العثمانية للموصل سنة ١٥١٦ م. وبيدليات الصراع العثماني - الايراني. (راجع مجلة بين النهرين، العدد ٣٩، ص ٣٤٣).

٨ - من الجدير بالذكر ان مخطوط الدر المكنون قد اكتمل تحقيقه وطباعته على الرزنيير، وهو ينتظر النشر.

٩ - ولد المؤرخ ياسين افندي الخطيب العمري في الموصل بتاريخ ١١٥٨ هـ، المقابل بالميلادي ٣١ آذار ١٧٤٥ م. (عن مخطوط الدر المكنون، النسخة الثانية).

10 - Percy Kemp, Mosul and Mosuli Historians of [redacted] era 1726-1834, Ph. D. Thesis, Oxford Univ., 1979.

11 - Von Hammer Purgstall, Geschichte der Osmanischen Reiches, [redacted] 15, Wien, 1828, PP. 57-9.

12 — Subhi, Tarih, fol. 219, 221—22.

١٣ - انظر معلومات المؤرخ احمد واصف، محاسن الآثار، اسطنبول ١٢١٩.

١٤ - احمد عاصم عيتابلي، تاريخ عاصم، اسطنبول ———.

١٥ - احمد راسم، عثمانلي تاريخي، اسطنبول ١٣٢٨.

١٦ - علي اميري، تذكرة شعراء امد، المجلد ١، اسطنبول ١٣٢٨.

١٧ - احمد جودت، تاريخ جودت، اسطنبول ١٣٠٢.

١٨ - مصطفى نوري باشا، نتائج الوقوعات، اسطنبول ١٢٩٤ هـ = ١٨٧٧ - ١٨٧٩ م
المجلد ٣، ص ٤٥.

١٩ - ملحمة الموصل، المخطوطات الكاملة.

٢٠ - الارجوزتان في مجموع شعري مخطوط، تحفظ به مكتبة استات - بيبليوتك في برلين تحت
رقم ٩٨٠٢.

٢١ - المعلومات عن (النية ... ص ٢٧٣).

٢٢ - الشمامة، ص ١٢٣.

٢٣ - الروض النضر، ج ١، ص ٥١٦.

٢٤ - الشمامة، ص ٨٤، هامش رقم ١.

٢٥ - انظر التفاصيل في مقدمة (الروض النضر)، (الشمامة، ص ٨٤ - ٥، هامش رقم ١).
وراجع ما كتبه برسي كيمب عنه: (Kemp, op. cit., PP. 197-99).

٢٦ - انظر المجلد، ج ١، ص ٢٤١. ايضاً (الشمامة، ص ١١٨ وهوامشها). وراجع:
للاستزادة من المعلومات (مخطوط الدر المكنون، نسخة باريس).

٢٧ - الشمامة، ص ١١٣. وانظر (المجلد، ج ١، ص ٢٣٩).

٢٨ - الشمامة، ص ١٣٤ هامش رقم ١. وانظر (ملحق رقم ٢ في ديوان حسن عبدالباقى
الموصلى، ص ١٢٧. ايضاً (الروض النضر، ج ١، ص ٥٧٩).

٢٩ - المجلد، ج ١، ص ١٦١. وراجع (الشمامة، ص ١٣٤، هامش رقم ١).

٣٠ - الشمامة، ص ١٥٤.

٣١ - المجلد، ج ١، ص ٢٥٤.

٣٢ - ديوان حسن عبدالباقى الموصلى، المقدمة في ترجمة الشاعر، وانظر ديوانه نفسه. ايضاً:

(الشمامة، ص ٢٠٠، هامش رقم ١).

٣٣ - الشمامة، ص ٣٨٠، هامش رقم ١.

٣٤ - النية، ملحق رقم ١٣، ص ٢٧٣.

٣٥ - الزبدة، ص ١٠٥، هامش رقم ١.

٣٦ - الشمامة، ص ٣٨٠، هامش رقم ١.

37 - K. Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabian und
Umliegende, vol. 2, Landern, 1908, PP. 356-8.

■ - ■ Ives, A Voyage from England to India, London, 1760,
P. 324.

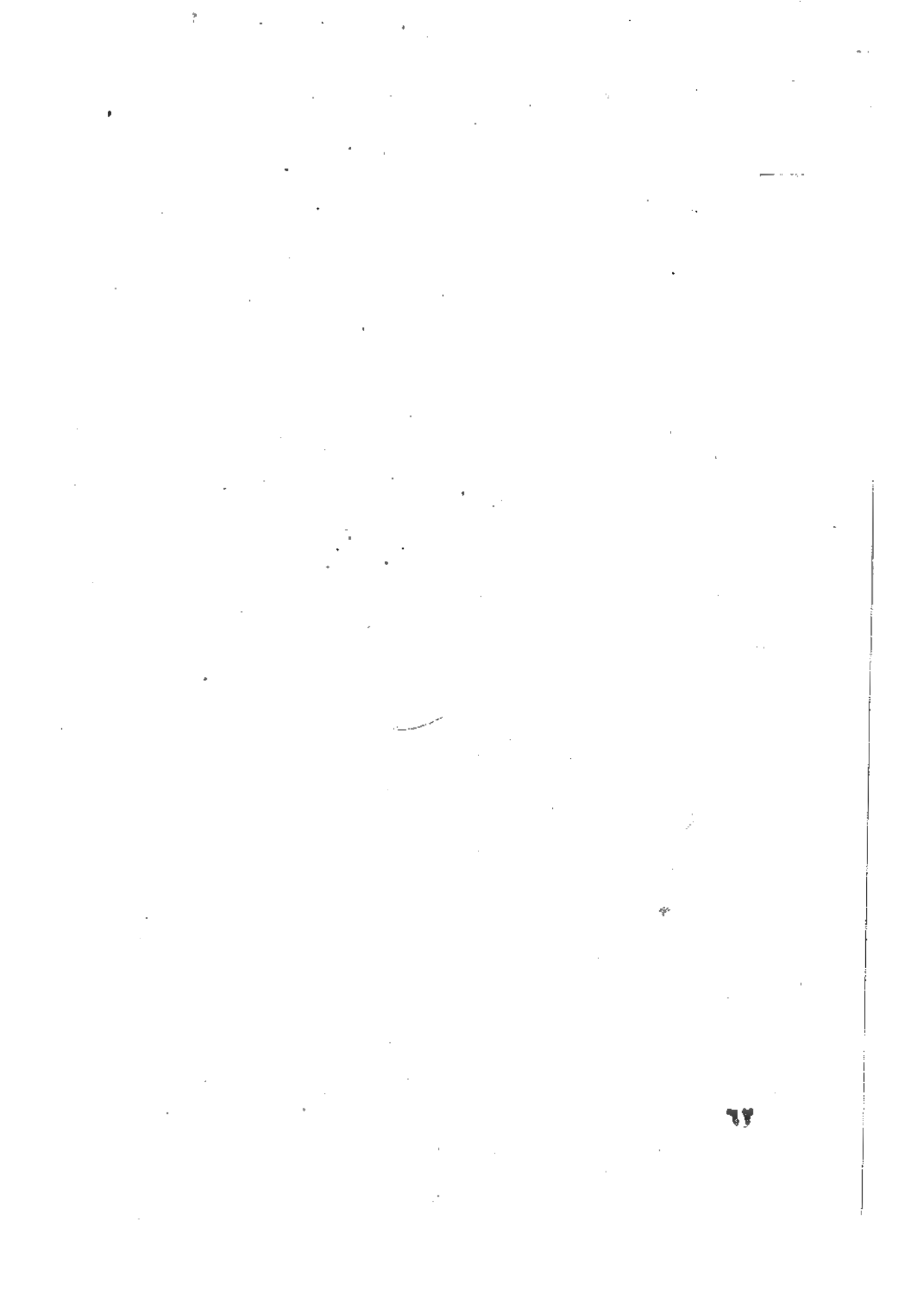
٣٩ - لانزا، الموصل في الجبل الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكوا لانزا، ترجمة: د. رونفيل
بيداويد، الموصل، ١٩٥٣، (انظر فيه: مقدمة المترجم الناشر ومثن لانزا للمترجم الى
العربية).

40 - J. Otter, Voyage en Turquie et en Perse avec une relation
■ expeditions de Tahmas Kouli-Khan, 2 vols., Paris, 1748,
vol. 2, P. ■.

- 41 - J. Jackson, *Journey from India*, London, 1799, P. 76.
- 42 — G.A. Olivier, *Voyage dans l'Empire Ottoman, l'Egypte, ■■■ Perse*, Paris 1971.
- 43 - J.M. Kinneir, *A Geographical memoir of the Persian Empire*, London, 1813, PP. 54-189.
- - J.S. Buckingham, *Travels in Mesopotamia*, London, 1827, PP. 6-156.
- 45 - C.J. Rich, *Narrative of a Residence in Koordistan*, vol. 2, London, 1830, PP. 4-374
- ٤٦ - كوركيس هواد، أثر قديم في العراق (دير الربان هرمزد)، للموصل ١٩٣٤.
- ٤٧ - بطرس نصري الكلداني، ذخيرة الاذهان في تواريخ المشارة والمغاربة السريان، الموصل ١٩١٣.
- ٤٨ - د. دلزاد الجلي، مخطوطات الموصل، بغداد ١٩٢٧. اضافة الى ان الجلي له جهود واضحة بالنسبة لتاريخ الموصل الحديث، ونحوي - اليوم - مكتبة الاوقاف العامة بالموصل على العديد من اوراقه وتراجمه المكتوبة بخط يده.
- ٤٩ - صديق المملوجي، البيهية، للموصل ١٩٤٩.
- ٥٠ - د. سليم النعيمي في تعليقاته المفصلة على هوامش تحقيقه لكل من كتاب (الروض النض) وكتاب (الشامة).
- ٥١ - عبدالكريم رافق، العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦ م، دمشق ١٩٧٤، ص ٣٢٨، ص ٣٣٤.
- ٥٢ - محمد فريد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة ١٩١٢.
- ٥٣ - ساطع الحصري، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٥.
- ٥٤ - د. محمد انيس، الدولة العثمانية والشرق العربي، القاهرة، د. ت.
- 55 — R.W. Olson, *The Siege of Mosul ■■■ Ottoman—Persian Relations 1718—1743*, Indiana, 1975.

الفصل الاول

مقدمة في الجغرافية التاريخية لنشوء العراق الحديث



ستراتيجية العراق وانورها في نشوء الصراع العثماني - الايرواني

مجال البحث ومصادره:

ليس خافياً عن الدارس أو المؤرخ ورجل الجغرافية، ما للعراق من مكانة استراتيجية عبر العصور، وما لهذا البلد من مواصفات جغرافية وسكانية. . والتي قدر لها ان تلعب دوراً فعالاً في ارساء دعائم العراق في العصر الحديث. كما وكانت مبعثاً لصراع القوى الامبراطورية المحيطة به، او البعيدة عنه، بغرض السيطرة والاستفادة من استراتيجية القوة، ومن مناطق النفوذ التي تحتلها مواقعه، أو مراكز التوطن فيه من شماله حتى جنوبه. . وليس من الغضاضة في شيء ان يقع هذا البلد بين فكي صراع القوى فيها بينها عليه، أو صراعه هو نفسه معها.

لقد رسمت الطبيعة، حدود العراق، ومنافذه واطرافه وقواه، منذ عصور سحيقة في القدم، وقد ولدت على ارض بلاد وادي الرافدين وعاشت، وتوسعت، ونضجت وعظمت، ثم هربت وشاخت، وانهارت ميتة. . دول كثيرة، وامبراطوريات عظيمة، استطاعت ان تمتد من رأسه الاعلى، أو قلبه النابض، أو جوفه العميق، بحضاراتها وثقافتها. . الى اطراف شاسعة من جانبيه في الشرق والغرب. وبقيت استراتيجية الام هي الخالدة من خلال شريائيه الازليين دجلة والفرات وعزوقهما وروافدهما، والمراكز المدنية التي تقوم على جوانبهما، رغم تغير قواه البشرية، بين النزوح والاستقرار، أو التنوع والبقاء، أو الانتعاش والاندثار، أو بين الازدهار والازدهار.

لقد كانت استراتيجية العراق، احد ابرز العوامل الاساسية في نشأة الصراع العثماني - الايرواني، والذي تبلور مع ولادة القرن السادس عشر الميلادي، (بدايات القرن العاشر الهجري). وكانت ساحة العراق مع اطرافه، حلبة له، ومسرحاً لعملياته خلال الفترات الطويلة من عمر الصراع، اذ دام هذا الصراع اربعة قرون من حياة كلا الطرفين. ولقد اقتضت الافكار هذه، البحث في اطار استراتيجية العراق، ودورها في عملية تنامي الصراع وبداياته، ولم ابتعد اكثر من هذا، رغم ان الصراع قد عاش في فترات لاحقة، مستضجلاً ودموياً تارة بين

عمليات حرب، واستنزاف، وحصار. . أو تتوتراً وعموماً تارة أخرى ضمن علاقات دبلوماسية فائرة، تحكمها المعاهدات سريعة النقص، والاضاع المشوية بالفتن والحذر والحرب الباردة. كما وضع البحث، بداية نشوء عراق العصر الحديث، بعد ان شملته السيطرة العثمانية، وذلك خلال عهدين مختلفين فلقد دخلت الموصل، وشمال وشمال غرب العراق في المجال العثماني على عهد السلطان سليم الأول سنة ١٥١٦ م. ثم اكتملت السيطرة على العراق بسقوط بغداد على يد السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٤ م. وجاء شمول البصرة والحويزة وامتداتها البعيدة حتى مضيق هرمز ضمن السيادة العثمانية سنة ١٥٣٥ م. وتعتبر السيطرة العثمانية الاولى على العراق من ابرز الحوادث التاريخية في حياته خلال القرن السادس عشر.

ستراتيجية العراق وبوابة العصر الحديث

١ - مكانة العراق بين امتدادات ايران والمصالح العثمانية:

كان العراق في بداية القرن السادس عشر، قد ترك وراءه ذلك الركاب التاريخي لاحقاب زمنية طويلة: العهد الجلائري المتقلب. . مآسي تيمورلنك، بما فيها من نكبات وآلام. . ثم المزيد من المحن والكوارث التي نالها متأرجحاً على عهد كل من البارانيين (١) والبايندريين، (٢) ليصبح اقرب الى اشلاء متناثرة ليس له من مقوم تاريخي فاعل يواجه بها تلك العناصر الغريبة، والاحداث المريرة. لقد بقي رباطه الجغرافي فقط، العامل الاساسي الوحيد في حفظ كيانه العربي، لما لهذا الرباط الفريد من عناصر ثبتت ضد جميع التيارات التاريخية المتغايرة في حياته. في بداية القرن المذكور، وعندما كان هذا البلد يعاني من التدهور والانحطاط، وشدة الانقسامات. . كانت تتفاعل على اطرافه الشرقية امتدادات ايران الصفوية، التي أدت تحت قيادة الشاه اسماعيل الصفوي، الى تصفية كافة الجيوب التركمانية للدولة البائدة، لنقاط تصا. حتى تبريز، العاصمة الاندريجانية التي ملكها هذا الشاه سنة ١٥٠٠ م / ٩٠٦ هـ، (٣) وتقدم منها على ارمينية في بداية حروبه. . تلك. . (٤) ثم قصاد جيوشه على اطراف لورستان، وكيلان وعربستان سنة

١٥٠٧ م / ٩٠٨ هـ، ^(٥) وسيطر عليها، فانتقم العراق اسمعه، بمناطق السهلية، ومدنه المسطحة، ومسالك البرية، بعد أن أمن سيطرته على تلك الامتدادات الجبلية التي تفصل العراق عن إيران، في حدود طبيعية لها جغرافيتها التاريخية، الضاربة في عمق زمني كبير. تتواصل هذه الحدود إلى الشمال عبر الأراضي العراقية المرتفعة، التي تتخذ فيها خطوطاً متعرجة عبر إقليم شمرزور شرقاً، وعلى محور زاكروس الجبل، الذي تبدأ منه السلسلة الطبيعية الجبلية، لتشكل حدود شمال العراق عبر خط: زاكروس - حكارى - طوروس، ذلك الخط الذي يفصل العراق عن عالم الاناضول واقاليمه، في نقاط حيوية، ومسالك استراتيجية، تتواصل جنوباً لإقليم الجزيرة - كما أطلق عليه في العصور الوسطى - كاله شين: هي الهاوية السحيقة التي يبدأ منها الخط الشمالي شرقاً نحو الغرب، وتتواصل السلسلة حتى تقوم جزيرة ابن عمر، لنقاط اقرب إلى: حصن كيفا - ماردين، أي حتى الملتقى بنهر دجلة، لتأخذ الامتدادات محاور جغرافية أخرى، ضمن أراضي بلاد الشام، لنقاط تصل إلى: حران - اورفه - اورميا ثم الاسكندرونة والملتقى بالبحر المتوسط. ^(٦) وتعد هذه المحاور، الحدود الطبيعية الشمالية للوطن العربي.

لقد كان من السهل على الشاه اسماعيل الصفوي، أن يدخل العراق، بعد سيطرته على عربستان بسبع سنين فقط، فقد عزز بغداد سنة ١٥٠٨ م / ٩١٤ هـ، ^(٧) ومضى في طريقه شمالاً، ليكمل سيطرته على العراق، فأخضع ديار بكر ثم انخفض

الموصل، ^(٨) ليمسي العراق بعد ذلك تحت رعاية الشاه الصفوي. . . وقد استكمل الفرس سيطرتهم على كافة الاطراف الشمالية لنقاط متباعدة من مناطق إقليم الجزيرة، ودغم هذا كله كانت المناطق العراقية متخلخلة التوازن في علاقاتها السياسية بالاقاليم المجاورة ^(٩) وفي موالاتها المضطربة للقوى المتباعدة، وكانت متخبطة في حياتها الادارية والاجتماعية، ومتردة في احوالها الاقتصادية، ومواردتها ^(١٠) رغم تعاظم مناطق النفوذ الاستراتيجي والجغرافي التي كانت فيها، وملتشرة حولها، عبر المسالك البرية والنهرية.

مكنا بدت صورة العراق أبان بدايات القرن السادس عشر الهجري، مثيرة مطامح القوى الكبرى المحيطة به.

لعل السيطرة الإيرانية على العراق في بداية القرن السادس عشر، قد قادت التوجهات العثمانية إليه، واثارت مطامح السلطنة في استنبول الى مكانته الجغرافية العظمى، وعطف بأنظارها الى استراتيجية منافذه الحية، ومدنه التجارية، في فترة شهدت الامبراطورية العثمانية فيها عدة تجديدات في البيروقراطية، والاعمال والحرف التقنية السائدة فيها آنذاك، وتطورها بالشكل الذي جعلها تكثر من مطالبيها^(١٢) والبحث عن مناطق نفوذ جديدة في الشرق، كما هو الحال في اوروبا الشرقية. وعليه فقد رصدت مواضع كل من الموصل وديار بكر وحدودهما ومسالكهما. . . ثم امتدادات ذلك الخط العمودي الاستراتيجي، الذي يرتبط بمسلك: الموصل - بغداد - البصرة،^(١٣) والذي يقطع عمق وادي الرافدين، متوجهاً وموصولاً بالبحر العربي عبر الخليج العربي الذي يعتبر الباب الطبيعي الجنوبي للمسلك العمودي. هذا الذي يعتبر شريان العراق الازلي الحي، والذي يذكر عنه المؤرخ «لونكرليك»، بأنه: المسلك الذي لم يزل قائماً حتى اليوم في تخطيطه ووقفاته، ويضيف قائلاً بأن الموصل - التي تعتبر رأسه - هي الباب الطبيعي لشمال العراق،^(١٤) عبر اتصالاتها بأقاليم الاناضول وبلاد الشام.

ولقد شهدت بدايات هذا القرن أيضاً تقاض المصالح الاقتصادية بين الشرق واوروبا، فلقد تنامت العلاقات التجارية بصورة كبيرة بين ايران والموانئ الاوربية الغربية،^(١٥) وعلى الاخص الموانئ الإيطالية. . .^(١٦) فلقد كانت ايران تعتمد تجارة الحرير في صادراتها الى الغرب الذي يقوم بمقابلتها بالذهب والنحاس كأيرادات رئيسية في استراتيجيتها الاقتصادية آنذاك. . .^(١٧) وعليه فلقد تعاظمت يوماً بعد آخر أهمية العراق من خلال ما تتمتع به من منافذ حية عبر حدوده الجبلية الشرقية والتي تمتد منها المسالك التجارية براً عبر سهوله وبرايريه لتصل بالبحر المتوسط، ثم خطوط النقل النهري العمودية، والتي تقوم على جوانبها أهم المراكز والمدن. من هنا تعلم بأن مطالب كل من الفرس والأتراك، للتوغل في عمق العراق، ضرورة متكافئة لكل من هاتين القوتين العظميين في الشرق آنذاك، فقد كانت ايران جادة في مطالبيها لكي تصل عبر العراق الى موانئ البحر المتوسط، خصوصاً وان حلفاً سياسياً كان يجمع ايران الصفوية بالاشرف الغوري، الحاكم المملوكي لكل من مصر وسوريا^(١٨) أما المطالب العثماني للاراضي العربية، فلقد كانت كبيرة في تحريضها من قبل السلاطين وكمهليات سيطرة في الخطوط الداخلية ضد القوى الملاحية الغربية عبر مسالك الشرق ومراكزه

الاستراتيجية. (١٩) وأهمها الاساطيل البرتغالية، وتحكمها بمنافذ البحر العربي والمحيط الهندي.

هكذا بدت استراتيجية العراق واضحة، ابان زحمة مجريات تلك الاحداث التاريخية، ومطالب القوى الكبرى التي كانت تحيطه من جميع الجهات، كما كان العراق مهيباً لاستقبال تاريخه الحديث من خلال اقاليمه العظمى الثلاثة (بغداد والموصل والبصرة)، في البداية التي سجلها القرن السادس عشر. تلك البداية التي قلبت موازين العراق، لتنتقل مع لواحقه واطرافه، من عراق العصر الوسيط، الى كيان يختلف في امتيازاته ومواصفاته عما كان عليه في السابق، ورسمت لأول مرة حدوده السياسية، وخصوصاً تلك التي تشكل ابعاداً هائلة المدى في طرفة الشرقي. . . لقد دخل العراق في تاريخه الحديث للفترة: ١٥٣٤ - ١٥٣٥ م، على عهد السلطان العثماني سليمان القانوني، الذي سيطر على بغداد بنفسه، وعنى بالعراق في تطبيقه لاستراتيجية جديدة في سياسة كانت محمد المصالح العثمانية، ثم من خلال ما سته من القوانين الادارية، وتنظيمات الأراضي بالنظام الاقطاعي. وظهرت التقسيمات الاقليمية للعراق، وربطها بالسلطة في العاصمة، ليسهل حكمها والسيطرة المباشرة عليها تحت الهيمنة الجديدة، أو بصورة غير مباشرة في فترات انتقالية متأخرة وفي سنين لاحقة، نتيجة الضعف الذي لحق بالسلطة المركزية، وانحسار قوتها الفعلية على اقاليم متعددة من الامبراطورية. . . ولقد دامت تلك السيطرة نحو اربعة قرون، لتنتهي بولادة العراق المعاصر، والذي رسمت خارطته السياسية، على اسس البدايات العثمانية الاولى للعراق الحديث، وخصوصاً في حدوده ولواحقه الشرقية، التي تفصل بلاد ما بين النهرين عن ايران؛ ورغم ذلك فقد فقدت العديد من الاراضي واللواحق والمراكز (انظر حدود العراق القديمة خارطة رقم ٢) (ملحقنا رقم ٥).

٢ - جذور الصراع وبداياته:

لقد شهدت السنوات الاخيرة، من عهد السلطان بايزيد الثاني الذي حكم للفترة ١٤٨١ - ١٥١٢ م، (٢٠) اشتداداً في حدة التوتر بين الاتراك والفرس، من خلال التحركات الايرانية - العسكرية، في سيطرتها على الاقاليم الاستراتيجية

المهمة في خط جغرافي يمتد من: ارمينية - افرييجان - كردستان - لورستان - كيلان - عربستان، ثم عموم العراق، واقلهم الجزيرة شمالاً... وبدأت ايران بتحرشاتها للتمسدة على حدود الدولة العثمانية شرقاً، في نقاط متعددة من الاناضول، ودعت هذه الحالة سليم، الولد الاصغر للسلطان بايزيد، والذي تولى عرش الدولة بعده، وكان يوم ذلك حاكماً على طرايزون، المدينة المطلة على البحر الاسود، دعاه الامر للاغارة على المقاطعات الايرانية لنقطة ابرزنكان **ERIZINKAN** وبابورد **BAYBURD**، في سنة ١٥٠٨ م. (٢١) كانت عدة حربه، وجيوشه منتشرة في اماكن مختلفة من البلقان وصربيا. (٢٢)

عندما احتل عرش الامبراطورية السلطان سليم الاول، الذي حكم للفترة ١٥١٢ - ١٥٢٠ م، بدأ وكان الدولة ليست ثوباً جديداً، اذ يعتبر عهد سليم من الفترات التاريخية الهامة، فلقد امد الدولة بحياة جديدة من خلال سحقه لكل من الصفويين والمماليك. ويعتبر هذا العهد، صاحب الجذور التاريخية الاولى، والبدية الحقيقية لذلك الصراع الفعلي الطويل الامد بين كل من العثمانيين والاييرانيين. بعد ان كان السلطان نفسه قد اوقف آلة الحرب المتقدمة في اوربا الشرقية، (٢٣) ونقل اهتمام امبراطوريته، وجنرالات جيشه العظام الى الخطر الذي يحتم شرقاً، وهو يكمن في مواجهة الدولة، ويتشعب متغلغلاً في المسالك والاقليم كالاعطوط، فاقام علاقاته الدبلوماسية مع هنغاريا والنمسا وروسيا من خلال السفارات، (٢٤) في حين كانت المواقف مع الصفويين تلتهب يوماً بعد آخر تحت الرماد، والتي انفجرت بعد سنتين من مجي هذا السلطان عندما اعلن حربه على ايران، متخذاً من فرائعه في اعلاها: المذبحة التي قام بها الشاه الايراني للسنيين في بغداد، والتي آلت السلطان كثيراً. (٢٥)

ويكاد يجمع العديد من المؤرخين على ان العامل المذهبي هو العامل الاساسي لنشوء هذا الصراع، وذلك من خلال الحركة الطائفية التي بدأها الشاه اسماعيل الصفوي في بث مذهب عنوة في آسيا الصغرى، والاقليم الواقعة تحت سيطرته، مما اثار حفيظة الدولة العثمانية زعيمة العالم الاسلامي السني آنذاك، (٢٦) ولقد ادى النزاع المذكور حسب رأي المؤرخ البريطاني ارنولد توينبي الى ظهور عالمين متنافسين،... ويتحمل مسؤولية ذلك الشاه الصفوي لايران. (٢٧) ولقد لعب العامل السياسي والسلطوي المتمثل بعرش كل من

الدولتين دوراً بارزاً في تفاقم الصراع واحتداده لكل من الطرفين . . (٢٨) ولكن يبقى العامل الاقتصادي، ومطالب كل من الدولتين بالبحث والسيطرة على المسالك والمراكز الاستراتيجية - كما تقدم شرحه - هو العامل الفعلي، الى جانب العوامل الهامة الاخرى.

اذا كانت هذه العوامل مجتمعة قد ولدت ذلك الصراع المزمّن، فإن البداية الحقيقية ظهرت جلية في حرب جالديران (٢٩) التي قاد اليها السلطان سليم الاول جيوشه الانكشارية مخترباً اقاليم الاناضول، (٣٠) ليحقق انتصاره الساحق على الفرس في هذه الحرب الاستراتيجية (٢٤ آب ١٥١٤ م / ١١ رجب ٩٢٠ هـ). واصبحت جيوش الشاه اسماعيل الصفوي الجديدة (٣١) حطاماً على اليد التركية المتفطرة والمتمرسة، وفرّ الشاه الايراني نفسه من حقل المعركة هارباً، والدماء تقطر من جروحه . . (٣٢) ثم دخل السلطان سليم العاصمة تبريز منتصراً. ونفهم من حلبة هذه الحرب الشهيرة، ان اجتياح الجيش العثماني لالجزار للعاصمة تبريز، وفرار الشاه قد جاء بالرغم من ذلك التحالف المفقود بين هذا وقانصوه الغوري حاكم مصر وسوريا آنذاك ! ولكن السلطان سليم لم يستطع ان يمتد في اعماق ايران الصفوية، ويسحق عتفوان الروح الامبراطوري المزمّن الذي يلازمها على امتداد قرون عديدة بل استطاع ان يذلها ويحطم جزءاً من جيوشها على التخوم، ونفوذها على المسالك الاستراتيجية، وسيطرتها على اقاليم عديدة، ومخزئاتها المتعمدة على الحدود، وفرّ الشاه الايراني بروحه وجروحه خلاصاً من السلطان سليم الصارم. وتلمس ضمن نتائج هذه الحرب، ان السلطان نفسه لم يمتد في العمق الايراني، وينقضي على ايران قضاء مبرماً ■ ان الظروف الطبيعية الصعبة التي واجهت الجيش العثماني من امراض فتاكة، وقسوة المناخ، وتضاريس البيئة الصعبة قد واجهت الجيش المنتصر في تقدمه، (٣٣) وبدأ التلحّر بهم بعض القادة من الانكشارية، مما تسبب في اعدام بعضهم . . (٣٤) ولولا هذه الظروف مجتمعة والتي واجهت السلطان سليم الاول لكان باستطاعته ان يربط ايران جميعها بامبراطوريته بما لأيران من قوة بشرية وثقافية، ولكان قد وصل الى حدود الهند، عاملاً على اذابة وصهر ايران بالثقافة التركية . . أو على اقل احتمال، كان قد مزق امبراطورية ايران العتيقة الى اجزاء متناثرة، وفكك وحدتها الطبيعية والسياسية، وفصل فارس أو اقليم المعجم عن اطرافه من اللواحق والاقاليم الاخرى التي تجتمع تحت اسم ايران، كما فعل جدّه السلطان محمد الفاتح

(١٤٥١ - ١٤٨١ م) عبر امتداداته المسيطرة في اوروبا الشرقية، واصبغاع البلقان، واحالته الامبراطورية البيزنطية الى عصف تاريخي مأكول، وجعل من القسطنطينية، المعقل الاسطوري في التاريخ، عاصمة لامته وبيلاده لقرون عديدة. (٣٥) ومن الامور الاخرى التي تؤخذ على السلطان سليم بعد تلك الحرب، كونه لم يلزم الشاه الصفوي بمعاهدة سياسية لفض النزاع القائم بين البلدين. ٥. اذ ما كان من الشاه بعد استعادة انقاسه من جديد الا استعادة الحرب، والقيام بمناوراته العسكرية على التخوم.

٣ - دخول شمال العراق في المجال العثماني سنة ١٥١٦ م:

غادر السلطان سليم تبريز شمالا، ليفتح ارمينية وعاصمتها اريفان ERIVAN وسيطر بمعيتها على عدة قلاع اخرى، ثم ترك ارمينية ليستقر في اماسيه، التي اصبحت قاعدة عسكرية لتحركاته الحربية. (٣٦) وكان قد بعث بوزيره يونس باشا لتصفية الامارة القادرية، التي وقف اميرها معرقلاً اقتصاد حرب السلطان سليم، وارساليات المؤن، فانتقم منه السلطان. (٣٧) ثم توجهت انظار السلطان الى اقليم الجزيرة وشمال العراق مع جباله العليا، وكان لهذه المناطق اهميتها البالغة، نظراً للامتيازات التي تتمتع بها. وتتأق بواعث السيطرة العثمانية في اعقاب حرب جالديران على تلك الامتدادات، التي كانت بحوزة ايران، اذ تأثرت تلك المناطق بظروف الحرب تلك، فتوقدت شرارة الثورة بين مختلف العشائر والسكان المحليين الذين كانوا يعانون من قسوة الحكم الايراني، وسوء الظروف الاقتصادية المريعة. (٣٨) فبدأت تنساقط المدن والقلاع الواحدة تلو الاخرى في مناطق متعددة من الاقاليم المذكورة، وقد نجح الشيخ ادريس البدليسي، المؤرخ الكردي الشهير ومستشار السلطان سليم الذي كان يرافقه في تحقيق انتصارات متعددة في الاقاليم المعنية في خلاص اهلها من تبعية الحكم الايراني. (٣٩) وذلك بتعاونه الوثيق، ومياسته الليبرالية التي اتبعها مع رؤساء القبائل، وشيوخ المناطق، (٤٠) واذا الانتفاضة الى اخلاء العديد من المعازل والمدن من حاميات الفرس، فكانت هناك: ديار بكر - بدليس - حصن كيفا - سعرت - رزن - ساسون - مياقارقين - جزيرة ابن عمر - كركوك - اربيل، وغيرها. (٤١)

لقد قادت هذه الظروف العصبية الى ان يدخل هذا الصراع التأثير طوراً جديداً، عن طريق الحرب المنظمة على ايران، بعد ان تعاطف جميع العشائر وسكان المدن مع الاتراك العثمانيين، ولقد جاءت تلك الحرب المنظمة، اثر ارتداد ايراني مكثف في مهاجمته للمناطق المحررة، (٤٦) وكان السلطان سليم قد ارسل جيشاً التحم بقوات البديسي، وادى دوره الى فك الحصار الايراني عن المدن والقلاع (٤٧) وخاض معارك عديدة لصد الهجمات الايرانية. وكان لابد من المواجهة الحاسمة بين الطرفين المتنازعين، التي حسمتها معركة كار كينديد الفاصلة (٤٨) جنوبي ماردين (٤٩) وحسمت هذه المعركة ايضاً جميع الاضطرابات، والمواقف المتأرجحة بين الطرفين لصالح الاتراك العثمانيين الذين سقطت اثر المعركة المذكورة بأيديهم جميع المدن والمعاقل، والمسالك التي تؤدي الى اطراف هامة في تصريف اقتصادياتها، وسيطرتها على تجارة العالم، وعلى جميع المناطق الجبلية ومناجم الانهار، ومن تلك المدن المهمة: ماردين - ديار بكر - الموصل - حران - الرقة - ارغفي - نصيبين - اورفه - حصن سوران - كركوك - اربيل - ميافارقين - سنجار - وعموم جزيرة ابن عمر، وغيرها من المدن شمالاً وشرقاً. (٤٦)

لقد افرزت هذه الاحداث التاريخية، نتائج هامة، بما يخص شمال العراق اثرت في مسيرة احداثه اللاحقة، وخصوصاً عندما اصبحت الموصل ضمن المكتسبات العثمانية على عهد السلطان سليم الاول، (٥٧) باعتبارها اول مدينة عربية تدخل بمقاطعاتها جميعاً الطوق العثماني، ولقد جاءت السيطرة المباشرة على شمال العراق، في خط يمتد محوره الجغرافي على النحو: خوى - كركوك - اربيل - الموصل - سنجار. اضافة الى ما يعلو هذا الامتداد، أو يتدلى عنه، فلقد تداعت منطقة بادية الجزيرة على خط يمتد: سنجار - عانة واطراف نهر الفرات وحوافيه الصاعدة حتى الرقة. (٥٨) اما ما يعلو المحور الاول فلقد كانت جبال كردستان. (٥٩) وتعتبر المناطق النهرية، ومناطق المحور الجغرافي الاول المستحوذ عليه من المناطق المكتسبة - حسب تقسيمات المؤرخ الجغرافي بيتجر PITCHER (٥٠) اما منطقة البادية، ذات البراري العشوشية، ثم المناطق الجبلية والموحشة من شمال العراق فتعتبران من المناطق التابعة. لقد اكتسبت المناطق العراقية في محورها الجغرافي الاول اثر الانتصار في معركة كار كينديد (مايس ١٥١٦ م)، وتبعثها المناطق الاخرى.

بعد ■ استحوطت ابعاد السيطرة على هذه المناطق وما يملوها، اوعز السلطان سليم، بتشكيل الادارة الاهلية في هذه الاقاليم ^(٥١) التي تمتد من منابع نهر الزاب حتى اطراف نهر الفرات، وقد جاء هذا التشكيل، بعد رسم معاهدة بين السلطة العثمانية وروساء العشائر القبلية، تحت اشراف ذلك السياسي المحنك ادريس البدليسي الذي منحهم عن طريق تمثيله للسلطة المركزية العثمانية، موافق سياسة للعمل من خلالها ^(٥٢) وقد نجحت خطته في تثبيت دعائم الحكم الجديد، ولأول مرة في تاريخ المنطقة، وتوظيفها مع طاقاتها ضد الاعداء، وذلك عبر تعاون مزدوج وثيق. ولكنه يخدم في النهاية مصالح وتكتيكات السلطان سليم الاول، ■ تعتبر منطقة شمال العراق، وما يملوها، ذات استراتيجية اقتصادية وجغرافية لها مسالكها، ومراكزها التجارية المتصلة بممرات جبلية، وقنوات نهرية، كما انها غنية، بخاصيتها الزراعية، ^(٥٣) وهي تمتاز بقوامها البشرية، التي تشكل وزناً كبيراً في صنع الاحداث، فلقد استطاع تمردوا على الفرس أن يؤثر في ميزان القوى كاملاً لصالح العثمانيين انفسهم، ولقد اثبت هؤلاء السكان، كما يذكر المؤرخ مريمانه بأنهم اناس عاملون. ^(٥٤) وذلك مما يساعد على نمو وتقدم عجلة الحرف والاعمال التقنية للدولة، اضافة الى خيراتهم التي يقدمونها الى العاصمة، ومطالب الدولة لهم في احوال الحرب...

ربما كان هذا ما يخص العراق ونواحيه الشمالية خلال عهد السلطان سليم الاول، الذي استطاع ان يسيطر على تلك المنطقة الحساسة، ويوظفها في خدمته ضد الفرس، ويؤمنها امام ولده السلطان سليمان القانوني، الذي تولى الحكم من بعده، وقاد بعد فترة طويلة الى توجهه للسيطرة على العراق كاملاً، واكمال السيطرة على جميع مراكزه واطرافه، وتطهيره من السيطرة الفارسية - الصفوية.

السيطرة العثمانية على العراق سنة ١٥٣٤ م ونفاتها

١ - اوضاع العراق الداخلية وأوليات الموقف:

لقد كانت الفوضى تعم بغداد، وتشغل الانقسامات سكانها، الذين ظلوا خارج دائرة تلك الاحداث المريعة التي كان يتقاسمها كل من الفرس والترك، بعد تلك الوطاة الثقيلة من الحوادث والكوارث التي جنمت على صدرها بعد ان حطمتها القوى المغولية - التتية في سنة ١٢٥٨ م/ ٦٥٦ هـ، على يد هولاكو، ومضى عليها ما تبقى من العصر الوسيط، بتركة القاسية، وعناصره الغريبة، مفتتاً ما تبقى من حضارتها الاصلية. وفي بدايات القرن السادس عشر، بدت هذه المدينة العريقة، واقعة تحت بطش الصفويين بعد سيطرة الشاه اسماعيل الصفوي عليها سنة ١٥٠٨ م/ ٩١٤ هـ، وقد مضى ذلك الشاه، مسيطراً حل جميع انحاء العراق. يقول المؤرخ - شو S. J. SHAW «بأن الصفويين قد حاولوا ان يؤسسوا كيانات طائفية... في قلب الخلافة العباسية من خلال اعدام العديد من العلماء ورجال الدين... وهدمهم للأضرحة ومراكز العبادة» (٥٥) وهذا ما جعل السلطان سليمان القانوني يدير رأسه عن مشاغله في هنكاريّا، اثناء الحملة العثمانية الثالثة لها سنة ١٥٣٢ م، (٥٦) ويوجه تفكيره نحو العراق، علماً بأن اتصالاً قد جرى بين الفرس والهنكاريين، وتعاوناً مشتركاً قد جرى بين هذين الطرفين ضد العثمانيين، العدو المتكافئ لكليهما... (٥٧) وبعد المؤرخ النمساوي القديم فون هامر Von Hammar حوادث الحدود بين الدولتين، الصفوية والعثمانية، اخذ الاسباب المباشرة التي كفلت خلق أواذكاء الحرب بينها في هذه الآونة من حكم سليمان القانوني، (٥٨) اضافة الى الاوضاع الشاذة التي كانت تحكم الاقاليم الصغيرة على الترخوم المعاذية. لكل من الدولتين، والسياسة المتذبذبة لحكام هذه الاقاليم. (٥٩) ويؤكد ما ذكرناه عن استراتيجية العراق، قول المؤرخ شو: «بأن هنالك اسباباً اقتصادية لغزو العراق من قبل العثمانيين، كون العراق يربط خطوط التجارة بين اوربا والشرق البعيد، في حين كان البرتغاليون يتحكمون في البحار الشرقية، اضيف الى ذلك دور المسالك القديمة بين الشرق والغرب من خلال الشرق الاوسط، والتي بدت الآن بيد

العثمانيين. (٩٠) فقد كان السلطان سليم الاول، قد امن امام ولده بوابة العراق الشمالية، وفتحها الى امبراطوريته باعتداده الطويلة، وطبيعتها الجبلية الوعرة التي فصلت سلاسلها، -طوروس- زاكروس، وصل الرغم من تعدد اسباب السياسة العثمانية على العراق، الا ان استراتيجيته الجغرافية، والعوامل الاقتصادية التي تتحكم بها منافذه، تبقى هي السبب الاساسية، لصراع العثمانيين مع الفرس عليه ابان تلك البدايات الاولى من الصراع، ثم استمراره وتفاقم حدته لاحقاً على حلبة العراق، خلال القرون المتأخرة.

ابان خريف حكم الايرانيين لبغداد في بدايات العقد الثالث من القرن السادس عشر، انسلخ احد الولاة اللذين، واسمه «ذو الفقار» والذي كان منصباً عليها من قبل الشاه الايراني وقد كان قرد هذا الوالي، بمثابة اعطاء الضوء الأخضر للسلطنة في اسطنبول، لانقاذ بغداد، والعراق الاوسط من النفوذ الايراني، على ان فترة الانسلاخ تلك، والتي قادها ذلك الوالي لم تدم طويلاً، فقد وأدها الشاه طهمااسب سنة ١٥٣٠ م بنفسه عندما قاد جيشاً ايرانياً تحت قيادته، وكان في السادسة عشرة من عمره، ليقتفي على ذي الفقار اثر اغتياله الذي جرى بخيانة خادمة من اخويه. (٩١) وعادت بغداد تحت بطش الفرس، في حين كان السلطان سليمان القانوني ينظر لما يجري على مسرح بغداد، مترقباً مع مزيد من التوجع والاعتنام. وكان قد وصلته رسائل منها تطلبه بانقاذها، على حد ذكر احد المصادر التاريخية. (٩٢)

لقد هدأت الأوضاع في بلاد الدانوب قليلاً، اثر اتفاقيات السلام التي اقرت سنة ١٥٣٣ م بين العثمانيين والمهابسبورك، والتي اطلقت حرية السلطان من اوربا الشرقية، (٩٣) فكف بذلك عنها حيناً، واطلقها في شرق بلاده بين ايران والعراق، ولتجعله يتعامل مع الصفويين مرة اخرى ضمن الصراع المتنامي بين الطرفين. . فالتد كان قد وجه جهوده الاولى بين ١٥٢٦ - ١٥٢٨ م نحو اخلاء السلاسل التي نشبت في انفسوليا من قبلي التركمان، بتحصين مستمت من قبل الشاه الصفوي، (٩٤) كما دعت الحاجة الان لان يضع حداً لكافة الاوضاع السياسية، والمشاكل الادارية في الامبراطورية. بعد ثلاثة اشهر فقط من تلك المعاهدة

النمساوية - العثمانية، المذكورة اعلاه، والتي وقعها الصدر الاعظم ابراهيم باشا، سار هذا الوزير، قائداً لجيوشه، وخترقاً الاناضول نحو ايران، في حين كان السلطان القانوني، ينظم جيوشاً اخرى، وكانت استعدادات البلاط العثماني لخوض الحرب ضد ايران، وفتح العراق قائمة على قدم وساق . . في حين كان ابراهيم باشا وزير السلطان قد وصل ديار بكر في ١٤ ايار ١٥٣٤ م، وقضى ستة اسابيع، واستسلمت جميع المدن وعلى خط افقي يصل حتى وان، مما جعل الطريق امام الوزير مفتوحاً الى تبريز التي دخلها دون أية مقاومة، وتركزت الحاميات التركية على مسالك اذربيجان الاستراتيجية. (٦٥)

تقول «الأنطولوجيا التركية»، بأن السلطان القانوني، قاد جيشه الامبراطوري الكبير، ترافقه خيرة الجنرالات نحو ايران، ولم يجد أية صعوبة اثناء تقدمه، ودخوله اراضيها، وقد التقت قواته بقوات وزيره في تبريز، وهي المدينة التي اطاعت هذا الامبراطور، فبذل لها عطاياها، (٦٦) وربما تكون قد خشيت ان يوقع بها الدمار، كما فعل ابوه السلطان سليم بها قبل تسعة عشر عاماً، بعيد حرب جالديران (٩٧٠ هـ / ١٥١٤ م) وقد مضى عنها، ليدخل مدينة زنجان ومن بعدها مدينة سلطانية في ١٣ اكتوبر. (٦٧) وقد خشي الظروف الطبيعية وقسوة المناخ في ايران على أن يلاحق الفرس اكثر من ذلك، (٦٨) وقرر ان يتركز في العراق الذي كان فيه المناخ ملائماً، وجو بغداد سائفاً لأن يحتلها، ويقضي في ربوعها، وبين قصورها العباسية العريقة راحة من الزمن.

٢ - تحركات حرب السلطان سليمان القانوني ودخوله بغداد:

تحرك السلطان سليمان القانوني مع جيوشه الجرارة، على خط يجتاز ميان وزنجان ثم سلطانية. (٦٩) وخلال مرور الجيش مع آلياته وعدته الكبيرة من الذخائر والمدافع والخيول وغيرها عبر جبال زاكروس المستعصية، وعمراتها الضيقة، قصد اختراقها نحو الغرب. واجهته الصعوبات: ظروف الشتاء القاسية. . الامطار الغزيرة. . والرياح العاتية، وركامات الثلوج التي سدت المسالك، ومنعت فانها الشامخة غير المطروقة، وفيضانات الانهر وتوابعها من السيول الجارفة التي أثرت في عدة الحرب العسكرية. (٧٠) ولقد استطاع السلطان

ان يفيد من خبراته العسكرية التي كان قد اكتسبها من اعماله الحربية في شرق اوربا، وحملاته في هنغاريا خصوصاً، في ان يحمل جيشه الصبر والمنعة كونه في طريقه الى العراق، ليدخل بغداد، حتى اذا ما اطل هذا الجيش على الاراضي العراقية المتموجة، وسهوله المستوية غالبه الاوتياح وتنفس الصعداء.

كان السلطان يَحْتِ الخطى نحو بغداد، مستفيداً من اوضاعها المتردية.. اما داخل اسوارها، فلقد تمأذب الخان الذي كان يحكمها مع بعض الرؤساء الرأي، للعصيان داخل تلك الاسوار، ومنع الاتراك من السيطرة عليها، وكان الرأي العام يميل الى ان تستقبل بغداد هذا القادم الجديد، مما حدا بالخان الى ان يفلت هارباً الى ايران. (٧١) في حين كان السلطان قد تسلم مفاتيح بغداد، وهو في طريقه اليها. ودخل الوزير الاعظم بغداد دون أي مقاومة تذكر، (٧٢) مؤمناً ومهيئاً لاستقبال ذلك السلطان، في حين انبثت الجيوش المتعبة على مسافة من شمال بغداد الشرقية لتأخذ قسطها من الراحة، بعد تلك الرحلة القاسية.. وعندما قرب وصول موكب السلطان، تهيئ ذلك الجيش، واستعد بجلايسه، وطبوله، ومزاميره، وتنظيمه الانكشاري الخاص ليشارك السلطان الالهة في دخوله بغداد العريقة. (٧٣)

بهذه الطريقة، دخل سليمان القانوني بغداد دخول المنتصرين، وقضى شتاء سنة ١٥٣٤ م كاملاً فيها، وتعتبر هذه السنة هي الحد الفاصل بين عصرين من حياة العراق، اذ بدأ منها تاريخه الحديث، فلقد استطاع القانوني ان يضع الحجر الاساس لذلك التاريخ، بتأسيسه الادارة الجديدة، اذ ظهرت التقسيمات الادارية لأقاليم العراق بصورة رسمية وقانونية لأول مرة في حياته، وظهر النظام الضرائبي الجديد، ورسمت سياسة العراق الاقتصادية، واظهر السلطان تعامله مع السكان والفتات التي ناشدت في السابق، كما باشر باصلاحات شملت مرافق عديدة في الري والخمران، وزار العديد من الاماكن والمدن ومراكز العبادة والجوامع والاضرحة، (٧٤) ونصب الولاة الاتراك الجدد، واسبس الحاميات العسكرية وطبق النظام الاقطاعي العسكري، (٧٥) وعليه فلقد نقضت المعاهدة التي كان قد سنّها السلطان سليم مع امراء المقاطعات الشمالية سنة ١٥١٦ م، المذكورة آنفاً، التي تشكلت الادارة الاهلية على اسمها.

هذه هي اهم الاعمال التي اداها القانوني اثر دخوله بغداد، ولقد دخل جنوب العراق في طاعته دون أية مقاومة تذكر، اذ تعاقبت السيطرة العثمانية باحتلال البصرة والقطيف ثم البحرين اثناء وجود السلطان في بغداد، (٧٦) في وقت رجح الشاه الصفوي لسيطرة على اذربيجان مرة اخرى، (٧٧) مما دعا السلطان العثماني لان يستعد لتوجيه ضربة اخرى للصفويين، واستعادة تبريز قلب اذربيجان الحي . . . لقد غادر السلطان بغداد في نيسان سنة ١٥٣٥ م، بعد ان كان قد دخلها في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٥٣٤ م. (٧٨) اذ ادخل العراق جميعه في طاعته، ونقل حدود دولته الى الخليج العربي وبدت امبراطوريته الان تمتد من استرخون المنغارية، وارااضي النمسا حتى بوابة العراق الجنوبية، وامارة الحوزة العربية شرقي شط العرب.

استنتاجات تاريخية

١ - تحليل المواصفات العثمانية لعراق القرن السادس عشر:

نُعد السيطرة العثمانية الاولى على العراق، ذا اهمية استراتيجية من الناحيتين: التاريخية والجغرافية - البشرية، فمن الناحية الاولى، استطاع السلطان القانوني في احتلاله العراق ان يشد وثاق بلاد ما بين النهرين كما يذكر المؤرخ الافرنسي روبرت مانتران، (٧٩) وذلك على المدى البعيد، اما من الناحية الاخرى، فقد كانت جهود واهتمام كل من السلطان سليم الاول وولده السلطان سليمان القانوني بالعراق حاجة كانت تتطلبها ظروفه السياسية، اذ لولا ذلك لاستطاع كل من الشاه اسماعيل الصفوي وولده الشاه طهماسب ان يحولا العراق الى قطعة ارض ايرانية وان يصبح تابعا فارسياً، بعد مضي عقود من السنين . . . ولكن قد صُهر شعبه وقبائله العربية الاصيلية عن طريق الهجرات البشرية المتعمدة، ونشر الثقافة الغربية، كما نجحت مساعي شاهات ايران على مراقبات مختلفة في صهر أو اقلحة شعوب كثيرة في البوذية الايرانية، أو جعلها كتابع ضمن امبراطوريتهم.

لقد بدأ العراق، وحدة سياسية مترابطة أكثر من ذي قبل، ولأول مرة في بدء حياة تاريخه الحديث، في العقود الأولى من القرن السادس عشر، وولدت استراتيجية العراق العسكرية، ضد الفرس في العصر الحديث من خلال مركزي قوى العراق آنذاك: بغداد والموصل، وقد سبقت الموصل بغداد، في بدء حياتها الإقليمية - الإدارية. كإقليم عراقي شمالي تتبعه عدة سناجق، وتلحق به العديد من التخوم المتفرقة. وتوثقت الموصل ببغداد بعد فتح الأخيرة من قبل العثمانيين. وبعد أن نظمت إدارة العراق ضمن نظام الشرق المعروف الذي أوجده القانوني نفسه، وعليه فقد ظهرت ولاية بغداد المتراصة الأطراف في قلب العراق. وظهرت ولاية الموصل مستقطبة رأسه الأعلى، وظهرت ولاية البصرة محكمة طوق استراتيجته البحري من خلال شط العرب والخليج العربي وما يحيط بهما من تخوم عربية.

بدأ الحكم العثماني للعراق في عهد القانوني، ووجد هذا البلد نفسه متخلصاً من الإيرانيين، ووجدت الإدارة الجديدة، وأصلحت القوانين المعمول بها على ساحته، ضمن الأيدلوجية الدينية التي تميز بها آل عثمان، ووجد الناس أنفسهم أحراراً بعض الشيء في ظل بدايات ذلك الحكم، الذي وطّد أسسه السلطان العثماني. . . ذلك الإمبراطور الذي نصب له أعداؤه من الأوروبيين النصب والتماثيل أشادة بعظمته واستنارته، وما منحه لفتات الشعوب المختلفة التي ضمها في أساره من الرعاية والتسامح. - على حد ذكر بعض المؤرخين - (٨٠) . . وشهدت ساحات بغداد مواكب تلك المشاة المنبريين على أحداث فنون الحرب، باعتبارهم يمثلون أعظم قوة عسكرية - استراتيجية في العالم آنذاك.

رغم كل هذا وذاك، إلا أن السيطرة العثمانية التي قبضت على أنفاس العراق وظهرته من السيطرة الفارسية، قد ادخلت هذا البلد في خضم صراعاتها التاريخية مع إيران. . . وانها لم تؤد مهامه من أجل إنقاذ حياة العراق وسكانه أو تاريخه وثقافته فحسب. . . ورغم أنها بدت فعالة، نشيطة في بداياتها، إلا أنها أحكمت الطوق القوي على استراتيجية العراق الجغرافية، وقواه البشرية، ومسالكه البرية، وخطوط ملاحته النهرية، وسيطرت على الحركة الاقتصادية، وخصوصاً على موارد ومصادر مدنه التجارية. . . وبدأت الرقعة الزراعية مقسمة لأول مرة، وعلى نحو جديد إلى وحدات إقطاعية - عسكرية (٨١) وارتبطت أقاليم العراق وما لها من

سناجق بالسلطة المركزية، ولم يعط للعراق كيانه السياسي الموحد خروفاً انفصاليه عن تلك السلطة، التي انفتح امام خزنة امبراطوريتها باب جديد من الموارد، والضرائب وهدايا ومنع الولاة الذين حكموا العراق، على شراء بقية ولايات الامبراطورية قاطبة.

لقد تعاقب على حكم الولايات العراقية العديد من الولاة الاثراك في العقود التالية من القرن السادس عشر، الذين كانت مراكز حكمهم تتطلب استتاف اقتصاد البلد وموارده لمصلحة الدولة العليا، وكانت فرص تواجدهم قاسية على كاهل السكان وامكانياتهم نظراً لسوء التصرف الاداري المعروف. اما من الناحية السياسية فقد توثقت العلاقات بين باشوات العراق والاقليم المتاخمة له. فاذا كانت لورستان ومناطقها المتباعدة الى الجنوب واقعة تحت تأثير حكومة بغداد، فإن كردستان وشهرزور، والجبال الممتدة حتى جزيرة ابن عمر لنقاط متباعدة من ولاية ديار بكر كانت على تماس مباشر بحكومة الموصل الشمالية. (٨٢) وما تبع هذه التأثيرات من علاقات اقتصادية - تجارية. اما ولاية البصرة فقد كانت مسيطرة على تجارة الخليج العربي بحكم علاقاتها المتميزة مع سواحلها وبحرورها، ومضيق هرمز، (٨٣) مما جعل وارداتها منعمة وغزيرة.

لقد شغل حكم بغداد الرالي جغتال زاده (٨٤) لفترة ما في اواخر القرن، وتعد هذه الشخصية العثمانية اللامعة في شرق الامبراطورية وعرضها، مدعاة لسؤال المؤرخين عن المكانة التي كانت تحتلها بغداد في هاضمة الدولة، وتفكير بلاطها، ولقد قدم هذا الوالي للعراق العديد من الاصلاحات والمشاريع الزراعية، والتقنية - النهرية. اما من الناحية السياسية فقد استطاع ان يرد على الحملات والفتن الايرانية، وذلك من خلال توجهه الى كردستان واحتلاله ديسفول، وما يحيطها من ربايا واقطاعات كانت ايران قد سيطرت عليها، فقدم بمجهوداته الواضحة لها، واستطاع ان يمتد بنفوذه المستمد من قلب العراق الى اماكن عديدة على الاطراف الشرقية من حدود العراق. (٨٥)

هكذا بدت المواصفات العثمانية للعراق، في بدايات القرن السادس عشر، بعد دخول العراق في عصره الحديث، تحت السيادة العثمانية، وهي البدايات التي توالد عنها الصراع العثماني - الايراني طويل الامد، ونشأ عنها تدريجياً الوضع

الجغرافي لدول المنطقة في التاريخ الحديث بين العراق وتركيا وإيران، رغم ضياع هوية كل من أذربيجان وعربستان وغيرها ضمن السيادة الإيرانية.

٢ - استراتيجية العراق بين الصراع المتواصل والاهداف الإيرانية :
خلال ارتباط العراق بولاياته مع الباب العالي، الذي استمر طوال تاريخه الحديث باستثناء فترة السيطرة الإيرانية الثانية عليه التي استمرت للفترة (١٦٢٣ - ١٦٣٨ م) ^(٨٦) كان يعد في فترات متباعدة من القرنين السابع عشر والثامن عشر، جزءاً فعالاً وهاماً من اجزاء الامبراطورية العثمانية، نظراً للمكانة الجغرافية التي تمنح بها شرقاً، وتوسع الاطماع الإيرانية المزمعة فيه، ولعل طبيعة استراتيجيته قد قادتنا الى دراسة المجربات الأولى، وجذور ذلك الصراع بين الدولتين. . . وإذا كان هذا الصراع العثماني - الإيراني قد دام ما يقرب من اربعة قرون من حياة كل من الطرفين المتنازعين، وشغل العراق هذا الصراع بطوله، كساحة عمليات حرب واستنزاف ضد إيران، فان صراع العراق نفسه مع القوى الفازية يمتد في جذوره التاريخية الى اعماق سحيقة في التاريخ. استطاع العراق فيه ان يخرج منتصراً، ومستقطباً قوته وروحه، وعماقاً على وحدته الجغرافية، سواء كان ذلك ايام ضعفه وتفككه، أو ايام عظمته ومجده، نظراً للميزات الاستراتيجية التي تتميز بها اراضيه، ومراكز التوطن فيه، ثم تحصيناته الطبيعية - الجبلية التي تمتد على طول حدوده الشرقية والشمالية.

لقد كانت ساحة العراق ومناطقه الهامة، ومراكز مدنه الكبيرة في خطوطها ومحاورها، هي ساحة الصراع الفعلية بين الدولتين الكبيرتين، ثم ما يتصل بالعراق من اقاليم في شماله وشماله الشرقي، وذلك اثناء السيطرة العثمانية عليه، ■ امتد خط المواجهة من الجنوب على الرسم التقريبي للمواقع: البصرة - دسقول - ^(٨٧) ثم نحو الشمال - همدان أو - بدران - جصان - ^(٨٨) كيلان - ساربول زهاب داخل في اقليم شهرزور - من اعمال البابانيين الاكراد - ثم نحوى - ويدخل الخط في امتدادات الاراضي الاذربيجانية - ثم الاراضي الارمنية لنقطة تصل اربكان، العاصمة الارمنية. ويمتد عمق هذا الخط على امتدادات كبيرة للغرب منه في عور يصل: البصرة - بغداد - كركوك - اربيل - الموصل، ثم يدخل منها في عمق واضح في ولاية ديار بكر ويصل الى مواقع جغرافية من

ارضروم او: الموصل - ديار بكر - بتليس - وان . (٨٩) هذا هو تحديد ساحة الصراع العثماني - الايراني على وجه التقريب والاختصار، أو بمعنى جغرافي آخر تنحصر تلك الساحة بين تخوم الجبال العالية وامتدادات نهر دجلة الطويلة، ثم مناطق متعددة من الامتدادات الجنوبية لنهر الفرات، إذ جرى العديد من الوقائع التاريخية ذات العلاقة بين هذين النهرين الخالدين، وخلال الفترة التاريخية التي عنت بطبيعة الصراع المذكور.

لقد كان العراق ومناقله الشرقية ميداناً حقيقياً - كما تبين اعلاه - لذلك الصراع طويل الامد، والذي تمثل تارة بغارات الحدود، أو الحرب المنظمة، أو حصار المدن العراقية الكبيرة، أو الحرب الاقتصادية التي تشمل الحصار التجاري، أو نهب المزارع والمدن والقرى والتجمعات البشرية، كما جرى ذلك في حوادث عديدة، ثم هناك ظاهرة التخريب المتعمد لأماكن العبادة سواء كانت للمسلمين أو غير المسلمين، وسرقة ما فيها من الحاجات، ثم هناك استنزاف الطاقات البشرية في دفع الاسرى كشغيلة حرب ضد الخصوم من اهالي نفس البلد . . كذلك تتراعى للمؤرخ كم كان هو استغلال الموارد الانسانية في ضرب مصالح البلد الاقتصادية والبشرية، كقطع مياه الشرب عن ذلك البلد، . . ويبدو واضحاً، ان جميع هذه الاعمال قد قام بها الايرانيون، في حملاتهم وحروبهم ضد العثمانيين على ارض العراق، وازضافة الى كل هذا وذلك ما كان من امر نقض المعاهدات السياسية العديدة، وبداية الحرب الباردة بين القوتين ضمن علاقات دبلوماسية محمومة ومتوترة . اما مسألة نقض المعاهدات، فان التاريخ والوثائق يسجلان معاً، نقضها من طرف واحد وهو ايران فكان الصراع يعيش مستفحلاً تارة، وراكداً تحت الرماد تارة أخرى، وتعيش المعاهدات بين مد وجزر في ظروف الحرب والسلم على حد سواء.

وبخلاص بنا القول، انه ■ كانت السيطرة العثمانية الاولى على العراق هي من الاحداث الاساسية في مجريات القرن السادس عشر . فان السيطرة العثمانية الثانية على يد السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٨ م، تعد من اساسيات مجريات القرن السابع عشر، ضمن حلقة الصراع، والذي بدأ مستفحلاً بصورة اكبر، ومتوجاً احتدامه المضرم ■ وقوته وشرارته من قبل الايرانيين على العراق ابان القرن

الثامن عشر، عندما قاد نادرشاه، ذلك الامبراطور الايراني الشرس، حملته الكبرى على العراق، مدمراً ما وسعته دمار العراق من خلال اجتياح جيوشه الجائرة، والتي انتشرت كالجراد على امتداد مساحة العراق بمئات الآلاف . . واغتاله الآلاف من الارباء، وسلبه ونهبه للمدن والقرى في شمال العراق. لقد كاد ان يودي بحياة العراق، ويسيطر على جميع المسالك العراقية التي تربط الشرق بالغرب، ويهدد الامبراطورية العثمانية في حفر دارها - كما نوصل الى ذلك المؤرخ البرفسور اولسن OLSON -، (٩٠) وذلك من خلال حصاره العنيف المشهور للموصل سنة ١٧٤٣ م، (٩١) والتي استطاعت بطاقتها وامكانياتها المحلية من دحره بأهوية ادهشت المؤرخين، وقد تمثل ذلك بصمودها البطولي بقيادة واليها الجليلي الحاج حسين باشا، تحت وابل الآلاف من القنابل التي اطلقتها مدافعه على المدينة، ومعارك السلام والاسوار التي خاضها اهاليها ضد الفرس . . والتي توجت بانتحار نادرشاه ورحيله عن ارض العراق مهزوماً، فخلفه العراق من شروده . . في حين دقت الاجراس، وضربت المدافع اطلاقاتها في العاصمة استانبول، ابتهاجاً بذلك الانتصار، وارتاحت بغداد، عندما سمعت بأنبائه .

ان الدرس الذي تعلمنا اياه هذا البحث، هو تلك الاهداف التي كان الايرانيون قد وضعوها نصب اعينهم « يفرض تحقيقها مهما كلف الامر، من خلال صراعهم للسيطرة على العراق مع الدولة العثمانية . وكانت اصنامهم، ضمن الاهداف المرسومة تتأل في اطارين اثنين:

- ١ - الاطار المذهبي لايديولوجية الدولة.
- ٢ - الاطار الاستراتيجي في دوره الجغرافي - الاقتصادي (موضوع البحث).

ومن دراسة ذلك، تتوضح امام المؤرخ، الاهداف التي رسم ■ ولتحقيقها شاعرات ايران منذ حكم الشاه اسماعيل الصفوي (١٥٠٢ - ١٥٢٤ م)، حتى نادرشاه (١٧٣٦ - ١٧٤٧ م)، والذي رغم هزيمته بعد حصاره للموصل، إلا ان حدة الصراع لم تنته من بعده، فقد بقيت ملتهبة تحت الرماد. وتركز الاهداف على النحو التالي:

- ١ - تهديد المصالح العثمانية في بلاد الاناضول، وكرميا (القرم) والبحر الاسود من خلال السيطرة على شمال العراق، والتحكم بما لديه من مسالك، وخطوط انقبة، ومراكز مدن.

- - السيطرة على المسالك العمودية، البرية والنهرية، وأهم المدن الاستراتيجية - التجارية للعراق في كل من بغداد والموصل والبصرة.
- ٣ - قطع صلة الدولة العثمانية بالخليج العربي والبحر العربي والموانئ الهندية والأفريقية، من خلال السيطرة على الخليج العربي، وقوى الملاحة العراقية.
- ٤ - السيطرة على العتبات المقدسة العراقية، وعلى خطوط سير الحجيج إلى بيت الله الحرام.
- - تمثل السيطرة على العراق، الطريق كاملاً بالنسبة لسيطرتهم على المشرق العربي بأكمله في الوصول من خلاله إلى موانئ شرق البحر المتوسط، لكي يسهل عليهم تعاملهم التجاري مع أوروبا، وخصوصاً مع الموانئ الإيطالية، ثم تهدد المصالح العثمانية عبر البحار، وضرب استراتيجيتها في أوروبا الشرقية. ويعد هذا الهدف من أساسيات التفكير الإيراني عبر مراحل الصراع الطويل. . فطموحهم إلى تحقيقه قد نشأ منذ اندحار جيوشهم وإمبراطورهم (داريوس) على يد الإسكندر المقدوني سنة ٣٣١ ق.م. ، وذلك في معركة اربيل أو (اربلا) الشهيرة، ^(٩٦) والتي تمتد من الحروب الفاصلة في العصر الإمبراطوري القديم. ولم يتحقق هذا الهدف حتى اليوم.

— هوامش وتعليقات —

- ١ - حكم البارانيون التركمان، (دولة الحروف الاسود) للفترة ١٤١٠ - ١٤٦٨ م.
- ٢ - حكم البايونديون التركمان، (دولة الحروف الابيض) للفترة ١٤٦٨ - ١٥٠٨ م.
- ٣ - اسكندر بيك منشى التركمان، عالم اراى عباسي (مخطوط بالفارسية، خصه مؤلفه للشاه عباس الاول، المكتبة الوطنية ببغداد، رقم (Supp. 1348)، اوراق (36 a - 36 b). انظر كذلك: دكتور عبدالحسين نواكي، شاه اسمعيل صفوي، استاد ومكاتب تاريخي مرأة، باهاد داشتغاي تفضيل، چاپ شد ١٣٦٧ هـ.
- 4 — Ibid.
- ٥ - عالم اراى...، ورق (37 a).
- — W.R. Hay; Tow Years in Kurdistan, London 1921, Chapter II, "Geographical..", PP. 13—62. also see, Le Strange; The Lands of the Eastern Caliphate, London 1905; "Chapter of Al-Jazira". and see, The Geographical Journal; vol. 118, Part 1, March 1952, PP. 25—28.
- 7 — R. Savory; Iran under the Safavids, Cambridge 1980, P. 35.
- ٨ - عالم اراى...، ورقة (37 a).
- ٩ - محمد امين الخطيب، العمري، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحديباء، تحقيق، سعيد الديوه جي، ج ١، الموصل ١٩٦٧، ص ١٣٣. وانظر كذلك: S.H. Longrigg; Four centuries of Modern Iraq, Oxford 1925, P. 16—19.
- ١٠ - عباس المزاري، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٣، ط ١، ١٩٣٩، ص ٣٥٦.
- 11 — Robert Mantran; "Baghdad a epoque Ottoman," ARA-BICA, Special vol., 1962, P. 313.
- 12 — Halil Inalcik; "The Ottoman Economic Mind and Aspect of the Ottoman Economy", Studies in the Economic History of the Middle East; ed. M.A. Cook, London 1970, P. 213.
- 13 — Ibid.; also see, A.H. Lybyer; "The Ottoman Turks and the Routes of Oriental Trade", English Historical Review, 1915. (انظر الملحق رقم ٢).
- 14 — Longrigg; op. cit., P. 3. also see, "The Strategic Importance of Mosul" in: R.W. Olson; The Siege of Mosul and Ottoman

man—Persian Relations 1718—1743, Indiana 1975, PP. 11—12.

15 — D.F. Lach; Asia in the Making of Europe, Vol. 1., "The Century of Discovery", London 1955, P. 107.

١٦ - راجع (مقالة ايران)، في الانسكلوبيديا الايطالية:

Enciclopedia Italiana; Di s. M. IL ■■■ D' ITALIA, Rome, 1933, MCM XXXIII—XI, PP. 523—528.

17 — Lord Kinross; The Ottoman Centuries, The Rise and Fall of the Turkish Empire, London 1977, P. 167.

18 — W. Muir; The Mameluke, or Slave Dynasty of Egypt (1260—1571), Amsterdam 1968, P. 196.

19 — W.E.D. Allen; Problems of Turkish Power in the sixteenth century, London 1963, P. 12.

20 — The Encyclopaedia of Islam, 2nd. ed. vol. 1, 1960, PP. 1119-1121.

وانظر كذلك الانسكلوبيديا التركية (مقالة بايزيد الثاني):

Islam Ansiklopedisi; Turkish ed. in progress, Istanbul, vol. 2, PP. 392—393.

21 — D.E. Pitcher; An Historical Geography of ■■■ Ottoman Empire from earliest times ■■■ the end of the sixteenth century, Leiden—Brill 1972, PP. 101—102.

22 — Islam Ansiklopedisi; op. cit., vol. 2, P. 392.

23 — Tveritionva; Kniga Zakonov Sultana Selima I, Moskva 1969, P. 81.

24 — The Encyclopaedia ■■■ Islam, 1st ed. vol. (مقالة سليم الاول), IV., PP. 214—217.

25 — Longrigg; op. cit., P. 18.

26 — Ibid.

27 — A.J. Toynbee; A Study of History, No. 20, vol. 1., Oxford 1934, PP. 385—6.

28 — Tveritionva; op. cit., P. 86.

٢٩ - عن تفاصيل هذه الحرب الاستراتيجية. انظر مادة (جالديران) في الانسكلوبيديا الاسلامية:

The Encyclopaedia of Islam, 2nd. ed. vol. II, 1965, PP. 7,—8.

30 — Pitcher; op. cit., P. 102.

٣١ - راجع عن حرب جالديران من وجهة النظر الإيرانية كتاب:

نصر الله فلسفي، جنگ جالديران، جاب دوشكاه، طهران ١٣٣٧ هـ.

32 — Longrigg; op. cit., P. 20. also see, (64 b) ورقة، عالم اراي.

٣٣ - عن الظروف الصعبة التي واجهت السلطان سليم الاول بعد حرب جالديران انظر:

Tveritionva; op. cit., P. 87. also see, Yusuf Kenan; Yavus Sultan Selim ve ittihad—islam siyaseti, Istanbul, P. 86, 88.

34 — Islam Ansiklopedisi; op. cit., vol. 3, PP. 8—10.

٣٥ - راجع بتوسيع عن السلطان محمد الفاتح وعصره:

Franz Babinger; Mehmed The Conqueror and his Time, Ed. by W.C. Hickman, Princeton Univ. 1978. (كتاب مهم ولكنه غير اساسي)

بالنسبة لموضوعنا).

36 — Von Hammer Purgstall; Geschichte der Osmanischen Reiches, Band 2, (1453—1520), Wien 1828, P. 419.

٣٧ - استقيت هذه المعلومات عن مخطوطة المؤرخ الموصل ياسين افندي الخطيب العمري:

(الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون)، نسخة المكتبة الوطنية بباريس، والمرقمة

(٤٩٤٩ - عربيات)، ورقة (a 204). وراجع عن الامة القادرية في:

Islam Ansiklopedisi; 3 cilt, Istanbul 1945, PP. 662—668.

٣٨ - سعد الدين خوجه، تاريخ الطبرستان، المطبوع في اسطنبول بجزئين ١٨٦٢ - ١٨٦٣،

ج ٢، ص ٣٢١ - ٣٢٢. (الكتاب من التواريخ التركية القديمة).

39 — Ibid.; also see, Hammer; op. cit., Band 2, P. 430. and,

Islam Ansiklopedisi, 10 cilt, P. 432.

40 — Allen; op. cit., P. 12.

٤١ - انظر مقالتي: (دراسة في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيرة سنة ١٥١٦ م،

وبدايات الصراع العثماني - الايراني «الصفوي» في عهد السلطان سليم الاول)، في

قسمها الثاني المنشور بمجلة بين النهرين، المجلد الثامن، العدد (٣١)، سنة ١٩٨٠ م،

ص ٣٢٧.

٤٢ - عن تفاصيل (الارتداد الإيراني)، راجع مقالتي المذكورة اعلاه، ص ٣٢٨ - ٣٢٩.

٤٣ - نفس المصدر، ص ٣٢٩.

٤٤ - عن تفاصيل (معركة كاركينديم) الفاصلة، انظر: نفس المرجع، ص ٣٣٣، ولقد

استفدت في معلوماتي عنها من المؤرخ التركي سعد الدين خوجه، والمؤرخ النمساوي

فون هامر بورجشتال. راجع:

Hammer; op. cit., vol. 2, p. 431.

٤٥ - عن الموقع الجغرافي لـ (كاركينيدي)، انظر:
Pitcher; op. cit., Map No. (XX) in 1—B.

٤٦ - عن تقسيمات المدن والقلاع الساقطة في المجال العثماني، انظر في مقالتي اعلاه ص ٣٣٣.

٤٧ - راجع مقالة المستشرق الانكليزي (Holt)، عن السيطرة العثمانية للعراق، ضمن مادة IRAK وذلك في الانسكلوبيديا الاسلامية، الطبعة الحديثة:

The Encyclopaedia of Islam; ed., P.M. Holt; Ottoman Period, vol. E. VI, London 1971, P. 1257. also, S. Lamouche; Histoire de la Turquie, Paris 1934, P. 81.

48 — Pitcher; op. cit., P. 103.

بهذا الصدد، انظر كذلك لما اشار اليه المؤرخ العراقي عباس العزاوي « من ان سنجار وتلعفر وبادية الجزيرة حتى عانة وحديثة وهيت، قد دخلت جميعها المجال العثماني. راجع كتابه المذكور سلفا، جـ ٣، ص ٣٥٦. ومن الجدير بالذكر، ان العزاوي قد جعل دائرة هذه الاحداث، ضمن مجريات سنة ١٥١٥ م. في الوقت الذي جاء انضمام هذه الاصفاع العراقية بعد مايس م ١٥١٦.

49 — Pitcher; op. cit., P. 103.

50 — Ibid.;

لاحظ الفروق الاساسية بين المناطق المكتسبة، والمناطق التابعة في استراتيجية المنطقة من شمال وشمال غرب العراق، واهمية المناطق النهرية.

٥١ - انظر، موضوع: (تنظيم الادارة الاهلية في ظل السيطرة العثمانية)، في القسم الثاني من مقالتي المذكورة اعلاه. المعلومات التاريخية في الاصل عند فون هامر، وسعدالدين خوجا.

٥٢ - عن نصوص موثيق المعاهدة، نفس المرجع، ص ٣٤٠.

٥٣ - عن هذه الميزات الجغرافية، انظر:

Marsh; The Tennessean in Persia and Kurdistan, Philadelphia 1869, P. 36.

54 — R.B. Merriman; Suleiman The Magnificent, (1520—1566), Harvard 1944, P. 24.

55 — Stanford Shaw; History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, vol. I., Cambridge 1976, P. 95, in (Conquest of Mesopotamia).

56 — Ibid., PP. 93—94, in (The Third Hungarian Expedition).

57 — Hammer, op. cit., vol. 3, P 143.

وقد نقل عنه المؤرخ س. هـ. لوتريك، في حديثه عن سليمان القانوني. انظر

Longrigg; op. cit., P. 21.

58 — Ibid.

59 — Ibid.

60 — S. Shaw; op. cit., vol. 1., P. 95.

61 — Longrigg; op. cit., PP. 20—21. (تقلاً عن روايات كولشن وفريدون).

62 — Ibid.

63 — Verancsics ve Katona 'don naklen Lefavre; Les Magyars Pendant la domination Ottoman ■ Hongrie 1526—1722, Paris 1902, S. b3 v. dd.

64 — S. Shaw; op. cit., vol. 1., P. 92, in (Revolts in Anatolia).

65 — Islam Ansiklopedisi; III CUZ, Istanbul 1967, (Irakeyn Seferi 1534—1535), PP. 116—118.

66 — Ibid.

67 — Pitcher; op. cit., P. 111.

ولقد ورد ذلك عند المؤرخ لونكريك، ولكنه أخطأ عند ذكره أن السلطان سليمان القانوني قد هرب في خطه الحربي نحو بغداد بمدينة (السليمانية) والصحيح هي مدينة (سلطانية) الأيرانية SULTANIYE، انظر: Longrigg; op. cit., P. 22. ومن الجدير بالذكر، أن هذا الخطأ قد ورد نفسه في ترجمة الأستاذ جعفر خياط لكتاب لونكريك نفسه، الموسوم بالعربية: (أربعة قرون من تاريخ العراق الحديث)، بغداد ١٩٥٢، ص ٢٢. ولقد فات ذلك أيضاً على الدكتور مصطفى جواد الذي راجع وعلق على ترجمة الأستاذ خياط.

68 — Hammer; op. cit., vol. 3, P. 144.

٦٩ - راجع خط سير السلطان سليمان القانوني الحربي نحو بغداد عند PITCHER في خريطته المرقمة (XXX II)، إذ جاء الخط على التوالي بعد دخوله الأراضي الإيرانية: خوى - ماراند - صوفيان - تبريز - ميان - زانجان - سلطانية (ويذهب الخط في عمق واضح في الأراضي الإيرانية، ولكنه يميل متخذاً له اتجاهات منحرفاً نحو بغداد فيصل إلى) - دركزين - شمال همدان - كرمنشاه (التي يدخل بعدها بقليل الحدود العراقية لولاية بغداد ويصل) - كرند - جنوب زهاب - نصر شيرين - خانقين - بغداد.

70 — Hammer; op. cit., vol. 3, P. 154.

71 — Ibid.; also, Longrigg; op. cit., P. 23.

وقد ذكر ذلك المؤرخ ياسين الخطيب العمري في مخطوطته: (الدور المكنون...)، ورقة (a 211).

٧٢ - نفس المخطوط، ورقة (a 211).

73 — Hammer; op. cit., vol. 3, P. 157.

٧٤ - انظر تفاصيل ذلك في مصادر متنوعة من ضمنها: كولشن خلفاء، والعزاوي وهامر ولونكريك وياسين العمري ودونالد بيجر الذي يذكر: بأن سليمان القانوني قد زار العتبات المقدسة في كربلاء والنجف الاشرف ويغداد قبيل أن يبدأ رحلته راجعاً في خط يمتد عبر كردستان، وقد قضى شهراً قرب اربيل. ثم عبر جبال زاكروس الى طرابزون. انظر: Pitcher; op. cit., P. 111.

75 — Halil Inalcik; The Ottoman Empire, Conquest, Organization and Economy, (Collected Studies)—artical No. (VII), titled: "Suleiman The Lowgiver and Ottoman Low", London 1978, PP. 134—135.

٧٦ - لقد دخل جنوب العراق في المجال العثماني بسهولة، فلقد لحقت البصرة وتبعها منطقة الاهوار والحويزة، ثم امتدت المناطق اكثر تباعداً لنقاط تصل القطيف والبحرين ومضيق هرمز. عن لونكريك، نقلاً عما كتبه (Knolles).

٧٧ - دكتور عبدالحسين نوالي «شاه طهماسب صفوي، ايران ١٣٥٠، ص ٦١.

78 — V.J. Parry; A History of The Ottoman Empire 1730, Cambridge 1976, P. 85, in his artical: "The Reign of Sulaiman the Magnificent 1520—66".

علماً بأن المؤرخ بيجر يورد قائلاً بأن فترة بقاء السلطان سليمان القانوني في العراق تمتد للفترة بين (١٥٣٤/١٢/٣٠ - ١٥٣٥/٥/٣١)، انظر:

Pitcher; op. cit., P. 111.

79 — R. Mantran; L'Empire Ottoman et le Commerce A siatique, Paris, P. 78.

■ — Hammer; op. cit., vol. 3, P. 159.

81 — H. Inalcik; The Ottoman Empire..., VII/P. 135.

■ — Longrigg; op. cit., P. 39, in his Chap.: "The Fringes".

83 — Gazetteer of LORIMER; I, (Historical Part), I B, Holland 1970, P. 1181.

٨٤ - هكذا تدعوه التواريخ العثمانية والمحلية، اما التواريخ الاوربية فتكتب هذا الاسم (SOKULLU)، وقد ذكرته (سالنامه الموصل) بأنه قد حكم الموصل عدة أشهر، اما محمد امين الخطيب العمري فيدعوه بستان باشا وينوه عنه بأنه غير سنان باشا فاتح اليمن. انظر: سالنامه الموصل، ١٣١٠ هـ، ص ٦٠. وانظر محمد امين الخطيب العمري «المصدر السابق، ج ١، ص ١٣٥. وهو غير محمد باشا سوكولا الوزير الاعظم.

85 — Longrigg; op. cit., P. 34.

٨٦ - جاءت السيطرة الايرانية الثانية على العراق سنة ١٦٢٣ م، في اعقاب الاحداث الدراماتيكية التي الهبها بكر الصوباشي، الذي نصب نفسه والياً على بغداد، وفتح ابواب العراق امام الفرس اثناء حصارها من قبل الوزير العثماني حافظ احمد باشا. لقد بقي العراق تحت حكم السيطرة الفارسية حتى تمرد السلطان مراد الرابع لفتحه في حملته الشهيرة سنة ١٦٢٨ م، وبعد الفتح الثاني هذا من ابرز الحوادث في صدر تاريخ العراق الحديث، انظر: Hammer; op. cit., vol. V, P. 252. also see, Lorimer; op. cit., part I B, PP. 1183—1185. (ومصادر متعددة اخرى)

87 — See, Le Strange and Longrigg.

٨٨ - ذكرهما المؤرخ ياسين الخطيب العمري، كمواقع تعرضت دائماً لغارات الحدود. في اوراق متعددة من مخطوطته المذكورة سابقاً.

٨٩ - في تحديد المناطق الجغرافية، راجع الكتاب الجغرافي للموسع:

J.M. Kinneir; A Geographical memoir of the Persian Empire, London 1813, in his Chapters: (IRAK, ARDELAN, LARISTAN, KURDISTAN, AZERBIJAN..).

لقد ذكر المؤرخ لونكريك هذا الكتاب، ضمن قائمته لمصادره، ولكنه اخطأ في عنوان الكتاب اذ سماه: (Geological memoir of the...) انظر: Longrigg; op. cit., P. 336. وقد ترجم نفس الخطأ في النسخة العربية للكتاب من قبل الاستاذ خياط. راجع: (اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث)، ورد ذكره ص ٣٤٣.

90 — R.W. Olson; op. cit., in his "Conclusion", PP. 185—199.

يعتبر كتاب البروفيسور (اولسن)، المنبأ اليه سابقاً من ارقى الدراسات الاكاديمية التي بحثت العلاقات العثمانية - الايرانية خلال القرن الثامن عشر، كما ويحوي الكتاب على تحليلات تاريخية جديدة في التاريخ العثماني وحصار الموصل سنة ١٧٤٣ م.

٩١ - ولا بد من الاشارة بصدد هذا الموضوع الى دراسة كل من: د. عماد عبدالسلام رؤوف، الموصل في العهد العثماني، (فترة الحكم المحلي)، النجف ١٩٧٥ م، وهي اطروحة ماجستير.

كذلك دراسة المؤرخ د. برسي كيمب، وعنوانها: Percy Kemp; Mosul and Mosuli Historians of The Jalili (1726—1834).

وهي اطروحة دكتوراه عن جامعة اكسفورد، سنة ١٩٨٠ م (Oxford Bodilian Library).

ولا بد ان اشير الى اطروحة د. علاء نورس: العراق في العهد العثماني، دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠ - ١٨٠٠ م، بغداد، ١٩٧٩.

الفصل الثاني

**مقدمات حصار الموصل:
(صفحات في تاريخ تطور العلاقات السياسية
للإراق الحديث)**

٩٧ - لمن يرغب بالاطلاع والتوسع عن هذه المعركة وتفصيلاتها في العصور الاغريقية لما قبل الميلاد. انظر ما كتبه المؤرخ اريان (اكتزائافون) عنها:

ARRIAN; The Campaigns of Alexander, Tran. by Aubrey De Selincourt, Introduction and Notes by J.R. Hamilton, Reprinted in Britain 1978.

(غير اساسي لموضوع هذا الفصل).

الاسبقيات التاريخية والاقتصادية لعراق القرن السابع عشر

١ - السيطرة العثمانية الثانية على العراق وآثارها التاريخية:

مضى على الحكم العثماني للعراق بعد السيطرة عليه من قبل السلطان سليمان القانوني سنة ١٥٣٤ م، ما يقرب من تسعين عاماً حين اجتاز الشاه عباس الاول الامبراطور الصفوي الخامس لايران، مع جيوشه حدود العراق، فسيطر على بغداد سنة ١٦٢٣ م، وذلك بعد الاحداث الدراماتيكية التي مررها ثمرد بكر الصوياشي على العثمانيين^(١) واثبت الفرس على ارض العراق، اذ وجه الشاه حملة من لدنه تحت قيادة قرج اغاي خان الى كركوك التي استسلمت دون مقاومة تذكر اثر هروب واليها التركي بستان باشا الى ديار بكر^(٢) . . . اما الموصل، فلقد جاسرها الفرس فترة طويلة، ولم تستسلم لهم الا بعد ان ارسل الشاه عباس مضطراً جيشاً تقدم في حركته من ايران نفسها وفي خط مباشر الى الموصل تحت قيادة قاسم خان الذي شدد حصاره عليها،^(٣) ومارس حرباً اقتصادية شعواء، في ضربه طوقاً حديدياً على موارد واحتياجات البلد، مما اضطر القيادة التركية للولاية ان تخضع امام ذلك الحصار المهلك^(٤) . . . فدخل الجيش الايراني، مركز المدينة وقتل المئات من اهلها، واعدم واليها التركي، ومارس شتى ضروب النهب للاموال وسلب المتاجر، ثم منع قاسم خان الامان للسكان،^(٥) بعد ان ترك له الشاه عباس حكم الموصل، فاستقر فيها^(٦) . . . لقد استمر حكم السيطرة الفارسية الثانية على الموصل ثلاثة اعوام فقط، حتى استردها العثمانيون سنة ١٦٢٦ م، دون مقاومة تذكر، وذلك من خلال تعاونهم مع سكانها^(٧) . . . في حين استمر حكم السيطرة الفارسية الثانية على بغداد حتى سنة ١٦٣٨ م عندما تجرد السلطان العثماني مراد الرابع الذي حكم للفترة ١٦٢٣ - ١٦٤٠ م للسيطرة عليها ثانية، بعد مروره بالموصل وتوقفه فيها،^(٨) ثم وصل بغداد التي كانت تن تحت وطأة الحكم الفارسي، فضرب حصاره الشديد حولها لمدة اربعين يوماً ثم فجر اسوارها ودخلها عنوة، فقتل من الاعجام عشرين ألفاً، ثم امن احتياجاتها الاقتصادية، واصلاح معابدها المقدسة، وبني اسوارها، ثم ابني قواتها العسكرية، وعين عليها الوزراء والانكشارية . . . ثم رجع هذا السلطان الى عاصمة بلاده.^(٩)

ولم يمحض على سيطرته للعراق إلا سنة واحدة، عانى خلالها من مرض اودى بحياته في ١٦ شوال ١٠٤٩ هـ / ٨ شباط ١٦٤٠ م. وتعد السيطرة العثمانية الثانية للعراق من ابرز اعمال هذا السلطان، كما ويعتبر من ابرز حوادث العراق في صدر تاريخه الحديث، وعلى المؤرخ ان يذكر مستطرداً بأن القدر قد اسعف العراق اجمعه في هذه المرحلة الشاذة من خلال السلطان مراد الرابع الذي ادار اهتماماته نحوه، فلو كان مصوباً ذلك الى غيره من اجزاء امبراطوريته الشاسعة، أو انه انحسر لاهياً في قصره كغيره من السلاطين، أو مات قبيل ان يخلص العراق من الهيمنة الفارسية عليه، لتغير وجه تاريخ العراق وبصورة بشعة، لا يدرك قيمتها أو يحس أثرها إلا من توغل في دراسة التاريخ الانثروبولوجي للعراق، والمنطقة الشرق الادنى بصورة عامة.

٢ - الروابط الاقتصادية وتوظيفاتها:

بعد موت السلطان مراد الرابع، بدت العلاقات السياسية بين العثمانيين والفرس اقرب الى الالتئام الخافت، والجيرة الدبلوماسية المشوبة بالخلل لمدة طويلة... اما بالنسبة للعراق، فلقد كان من نتائج السيطرة العثمانية الثانية عليه هو استقطاب الموصل للدور الاقتصادي - العسكري باعتبارها مركز اتصالات العراق بعاصمة الامبراطورية، ونظراً لمكانتها الرأسية وعلاقاتها باقاليم الاناضول والشام... وبرزت وبصورة قوية ومضطردة تلك العلاقات الاقتصادية التي تحكم شريان العراق ومواطنه السكانية على امتداد رقعة الجغرافية الحيوية وعلى نحو جديد. لقد برز القرن السابع عشر كلاً من الموصل وبغداد في النواحي الادارية والعسكرية والاقتصادية، كونها توأماً استرد حياته لأب تاريخي وجغرافي عريق اسمه العراق، رغم حكم السيطرة العثمانية التي خدمته من ناحية ايدلوجية وتاريخية في تخليصه من امتدادات ايران الصفوية.

يسجل الشريط التاريخي لعراق القرن السابع عشر ذلك الاطراد في علاقات الموصل ببغداد، رغم الآفات والكوارث الاقتصادية التي حافت بشمال العراق، في سهوله ومدنه خلال تلك الحقبة... ثم نكبات الطاعون التي حلت بالموصل على امتداد القرن المذكور، وخلال السنوات الآتية: ١٦٢٥ م / ١٠٣٥ هـ، (١) ثم عاد الطاعون غازياً سنة ١٦٤٣ م / ١٠٥٣ هـ، (٢) ثم في سنة ١٦٥٠ م / ١٠٦١ هـ، (٣) ثم اطبق وبصورة خطيرة سنة ١٦٧٣ م / ١٠٨٤ هـ، (٤) وحل

ايضاً سنة ١٧٠٢ م / ١١١٤ هـ، ورغم كل هذا وذاك من عوامل الضعف والقهر الطبيعيين وآثارهما في حركة التاريخ السكاني والاقتصادي لأي بلد، إلا ان المركز الاستراتيجي للموصل بقي ثابتاً، بل ولعبت قاعدته العسكرية - الاقتصادية دوراً فعالاً لحماية بغداد ضد ما يهددها من اخطار ايرانية مستفحلة، وتخزيناً استراتيجياً للمواد الغذائية في اوقات مختلفة وعلى الاخص مطالبيها من الحبوب وذلك عبر الخط الملاحي النهري لهر دجلة (١٤) . . . اضافة الى كونها محطة الاربعاء العسكري بين بغداد والدولة وبالعكس في تموين العدة والعدد وخصوصاً المارة بها الى بغداد، (١٥) أو ان يكون التموين من امكانيات ولاية الموصل المحلية ذاتها، في شاركتها بضرب التحرشات الخارجية، أو مساعدتها في اطفاء الفتن الداخلية، بما يحدث في اطرافها من العصيان . . . وقد تمثل كل ذلك عبر السنوات التي مرت بها بغداد الام والاطراف، من غزوات فارسية، أو مشاكل ادارية، أو انقسامات داخلية، أو اخطار قبلية . . . وقد جاء كل ذلك نتيجة للتركيبة المتباينة التي حكمت طبيعة المجتمع العراقي التي توافقت مع خطط حكم السيطرة الاجنبية على العراق منذ الغزو المغولي، وتضاعف المصير الوسيطة ثم القرون الحديثة. ولنا ان نذكر بان الموصل قد وظفت طاقاتها نحو بغداد خلال القرن السابع عشر، على السنوات التالية: سنة ١٦٣٨ م / ١٠٤٨ هـ، اذ قدمت خدماتها في استرجاع بغداد من ايدي الايرانيين. (١٦) وفي سنة ١٦٦٥ م / ١٠٧٦ هـ، جردت حملة كبيرة لمشاركة بغداد في القضاء على عصيان حكومة افراسياب بالبصرة. ثم عززت امكانيات بغداد سنة ١٦٦٧ م / ١٠٧٨ هـ، ثم ما قدمته من مساعدات وتوظيفات في سنة ١٦٩٢ م / ١١٠٤ هـ. ولقد شاركت قوات الموصل مع قوات اضافية من اطرافها - ديار بكر والعمادية - في اخلاء العصيان المسلح جنوبي العراق سنة ١٧٠١ م / ١١١٣ هـ. وانظمت قوات عديدة من ولاية الموصل في الحملة المشتركة التي قادها والي بغداد لاسترجاع البصرة ١٧٠٧ م / ١١٩ هـ. لقد كان كل ذلك صورة اقرب للوضوح حسباً وفرت المعلومات التاريخية الرئيسية عن طبيعة العلاقات ذات الاهتمام في هذا المجال على نحو من التركيز والايجاز. (١٧)

ستراتيجية الموصل الجغرافية والاقتصادية والبشرية

لعل المرء يتساءل باحثاً عن الصفات والاسس التي تميزت بها الموصل مركزاً وولاية ولواحق على النحو الذي تبين اعلاه في طبيعة العلاقات، التي حكمت وثاق بلاد ما بين النهرين. تعتبر رقعة شمال العراق ذات استراتيجية قوية عبر القرون في تحكمها بتجارة العالم من خلال قاعدة الموصل، النافذة التي تربط الشرق بالغرب، التي تجتمع بها المسالك الافقية (١٨) التي تمتد بين الجبال الشرقية - زاكروس - والبحر المتوسط، ثم المسالك العمودية التي تصل اناضوليا بالمحيط الهندي عبر خط بغداد - البصرة - الخليج العربي. لقد بقيت هذه النافذة مفتوحة منذ فجر التاريخ حتى فتح قناة السويس في سنة ١٨٦٩ م، حين تحولت عنها الطرق التجارية، وكاد ينعدم تحكمها بالمسالك الافقية، فتأخرت تجارتها، في حين ان سيطرتها على المسلك العمودي لم يزل قائماً حتى اليوم في تخطيطه ووقفاته برا. (١٩) وقد انكفأ اثره وانعدم فعله نهراً.

من الامة بمكان ان نمهد في الصفات الطبوغرافية للمنطقة قبل تحليل ابعاد تطور العلاقات السياسية والحصار، نظراً لما لذلك من عوامل غير مباشرة في استعداءات ايران المزمنة للمنطقة ضمن اطار الصراع التاريخي ابان تلك المرحلة بين العثمانيين والفرس.

١ - تنصف المنطقة، كونها من البقاع النهرية النادرة التي تجري فيها انهار كبيرة، وثابتة على امتداد السنة (٢٠). وتتوزعها السهول الخصيبة، أو الاراضي المتوجة والاحراش فهي حلقة وصل طويلة بين براري بادية الشام وجبال العراق العالية ولقد تميز موقع الموصل كونه غرب دجلة وليس شرقه، اذ خدما هذا المانع المائي القاهر في تاريخها الجغرافي والاقتصادي اقلية.

٢ - جمعت الموصل بين كلتا يديها استراتيجية كل من المسلكين البريين العراقيين العموديين اللذين يربطانها ببغداد وجنوب العراق عبر التاريخ وهما:

١ - المسلك البري شرقي نهر دجلة الذي يسمى (طريق شهرزور القديم) (٢١) والذي يربط المراكز التالية: بغداد - خالض - طوز - كركوك - اربيل - السامية - نينوى - الموصل. يعد هذا الخط البري ذا اهمية كبيرة عبر

امتداد تاريخ العراق، وكان مسلكاً حيوياً من الناحيتين الاقتصادية والعسكرية خلال القرون الثلاثة: القرن السادس عشر، السابع عشر والثامن عشر. (انظر ملحق رقم ٢).

٢ - المسلك البري غربي نهر دجلة (٢٧) الذي يربط بصورة مستقيمة المراكز التالية: بغداد - تكريت - وهلة الخانوقة - القيارة - حام العليل - الموصل. وقد ازدادت أهمية هذا المسلك خلال القرنين الأخيرين. (الملحق نفسه أعلاه).

٣ - سيطرة الموصل على الملاحة النهرية في حوض نهر دجلة، شمالاً حتى نقطة ديار بكر، وجنوباً حتى تكريت (أي حتى الحدود القديمة لولاية الموصل)، (٢٨) ثم نزولاً إلى بغداد. ويعتبر هذا المسلك النهرى شريان العراق الأزلي، وكان له دوره العظيم من الناحية الاقتصادية - التجارية، وفي خط نازل واحد عبر العوامات (٢٩) المتكاثرة التي تتقدم مع سرعة وحركة تيار النهر.

وفي هذا المجال، استطاع ان أثبت بالاعتماد على رحلة الرحالة الانكليزي (جون اش)، (٣٠) أهم نقاط ومراكز خط شريان دجلة ابتداءً من الموصل ونزولاً حتى نقطة بغداد على الوجه التالي:

.... الموصل (المركز الاستراتيجي الاقتصادي القوي) - حام العليل (الينبوع المائي الكبير في القديم) - اطلال النمرود الآشورية - سكر اسماعيل - قلعة الشرفاء العربية - مصب نهر الزاب الصغير في دجلة والمحفوظ بغاية وعواسج كثيفة - تكريت (المدينة وقلعتها التاريخية القديمة) - قرية الدور في شرق النهر - مصب النهروان بدجلة - اسكي بغداد (المنطقة القديمة) - اطلال قصر العاشق - سامراء (عاصمة المعتصم العباسية في شرق النهر) - الكاظمية المقدسة - بغداد (مركز العراق وعاصمتها العريقة).

٤ - تعتبر الموصل خزين اقتصاديات المنطقة عموماً، فكثيراً ما كانت الظروف السيئة للمحاصيل الزراعية في توابغ المنطقة ولواحقها تؤثر في مركز المدينة وحركته التجارية، واحواله السكانية، رغم علاقاته الاقتصادية المضطربة والمؤثرة على اطرافه من اقاليم الولاية في امتدادات الجبال الكردستانية واقليم الجزيرة. ومن أهم مواصفات البنى الانثربولوجية لمركز الموصل انه، غني بتوابغه من القرى والمستوطنات والضياع، (٣١) وعلى الاخص تلك المناطق التي تنحصر بين الجبال العالية والحوافى الغربية لنهر دجلة والتي تتزعمها

السهول الخصيبة وأهمها كل من سهل أربيل وسهل الموصل، إضافة إلى أن المنطقة غنية برساتيقها ومراعيها. (٢٧)

• تعتبر ولاية الموصل ذا كثافة سكانية في مركزها وتوابعه من القرى والمدن الصغيرة والأرياف والأديرة والحصون والنواحي، وتنتشر جميعها في رقعة شرق نهر دجلة، وعلى امتدادات مختلفة منه، ويتوزع البعض في غربه. . . إذ تزداد الكثافة السكانية في هذه الرقعة من شرق النهر بصورة أكبر عنه لما هو عليه الحال في الرقعة الغربية التي تمتد منها بادية الجزيرة بين النهرين دجلة والفرات لتتصل ببادية الشام. . . إذ تعتبر هذه الرقعة المترامية ذات افق مفتوح لا تتحدد بحدود، ولا تتماشى بضوابط طبيعية مستقرة ما خلا منطقة جبل سنجار الحاد الذي لا يشكل مفصلاً جغرافياً عمودياً بل يتميز بالافقية وكتنوء منفرد غير متسلسل. وهكذا فعدا هذه المنطقة ومنطقة المسلك التجاري القديم في خط: الموصل - تلعفر - سنجار - دير الزور - الرقة - حلب، فإن المناطق الشاسعة من براري الباديتين قلما عرفت الاستيطان السكاني المأهول لتلك القبائل الرحل في رحلات مكوكية محددة أو متفرقة بينها وبين براري نجد والدهناء المفتوحة. في حين كانت رقعة شمال - شرق النهر دجلة مناطق ذات مراكز متوطنة ومأهولة بالسكان منذ آلاف السنين، وقد اندثر العديد من هذه المراكز خلال ظروف تاريخية عصيبة ومتغيرة. (٢٨)

من هو نادرشاه؟

١ - حياته الأولى:

ولد نادرشاه في خراسان في ٢٢ أكتوبر ١٦٨٨ م / ٢٨ محرم ١١٠٠ هـ، (٢٩) وفي عائلة رعوية، وكان أبوه (قولي) مملوكاً ذليلاً ومنتماً لقبيلة كيركلو Kirklu المنحدرة من قبيلة الأفاشار القوية والشهيرة. (٣٠) ونشأ نادر في بيت تملؤه قسوة الحياة، فقد كان في صباه راعياً متشرداً في الفلوات، ثم أصبح قاطع طريق، وكان يعود إلى بيته أحياناً ليشارك في صنع المعاطف من جلود الأغنام. (٣١)

كان كل من ابيه وامه وحلاً نزلًا بين المرتفعات صيفاً الى الاماكن المنخفضة شتاءً، وقد نزلت قبيلته قرب محمد آباد التي تعرف اليوم باسم **Kuhna** وتلمب الصدف دوراً بأن يولد نادر قولي فيها، وإن تحدد هذه المدينة مستقبله المضمخ بالدماء القانيه. فمتدا مات والده كان نادر في الثامنة عشرة من العمر، وبعد اربع سنوات ماتت امه، فعاد الى خراسان، ودخل خادماً في طاعة بابا علي بك احمد الله افشار حاكم ابي ورد **Abi vard** عاصمة الاقليم. (٣٢)

ومن هنا بدأ نادر قولي يؤكد استقلاله الشخصي يوماً بعد اخر ويرز اسمه عند حاكم الاقليم عندما اغتال هذا الخادم المطيع احد المأمورين الذين اساءوا لعائلة هذا الحاكم، فكان ذلك مدعاة لاجاب بابا علي به وبقدرة باعتباره حامياً لشرف سيده، فامتدحه واحداه جبه الشريفة (٣٣). ولم تحض الا فترة قصيرة حتى يتزوج نادر من ابنة سيده التي اصبحت اما لولدها رضا قولي سني الطالع الذي فتح مولده مقتل جده بابا علي حاكم الاقليم (٣٤). ونرى بعض المصادر بأن نادر قولي هو المسؤول الاول عن ذلك، وبالفعل فقد خلفه في سدة الحكم وسيطر على القبيلة والاقليم، (٣٥) وقد جلب السمعة لكليهما في انتصاره على الاوزبك، وحين ذاك جمع تحت اطرافه قوة عسكرية كبيرة عززت موقع الاقليم مع تقومه سياسياً لدى الامبراطورية، وذلك من خلال انتزاعه كلات **Kalat** التي تسمت باسم نادر **Nadri - i - Kalat**، ثم هاجم نيشابور **Nishapur** بعد حصار قاس وباسم الشاه طهماسب هذه المرة ودخلها منتصراً (٣٦). وفتح مشهد التي اعتبر فتحها من اعظم الخدمات التي قدمها نادر قولي الى البلاط الصفوي. ومن هنا بدأت تتوثق علاقته السياسية وبصورة كبيرة مع الصفويين الذين منحوه لقب (الخان) ليمارس سلطاته على الاقاليم الهامة في امتدادات شرق ايران وهي: خراسان - سيستان - كرمان - ومازاندان (٣٧). فكان لقباً عظيماً لحرزه نادر قولي، ونفوذاً كبيراً على رقعة جغرافية واسعة، ولما يتناسى بعد اصحابه وابناء جلدته من الاشقياء والرعاع.

٢ - تطوره السياسي :

ادناه مجمل بالتطور السياسي (٣٨) لنادر قولي وحركات حربه ادرجه بايجاز حسب سني الفترة التاريخية المؤثرة من حياته في تاريخ ايران :

١ - حملاته الاولى في خراسان سنة ١٧٢٧ م.

- ٢ - حملته على العبادلة والتركمان سنة ١٧٢٨ م ، وتولى قيادة الجيوش الصفوية .
- ٣ - ازاحته للحكم الافغاني لايوان سنة ١٧٢٩ م ، وارجاعه للحكم الصفوي ، وكسبه لقب (الخان) .
- ٤ - حربه مع العثمانيين سنة ١٧٣٠ م ، وسيطرته على الاقاليم الغربية لايوان .
- ٥ - اندحار الشاه طهماسب الصفوي امام العثمانيين سنة ١٧٣١ م ، وسيطرتهم على الاماكن التي كان قد سيطر عليها نادر قولي خان .
- ٦ - قبوه نادر قولي خان الوصاية على عرش ايران سنة ١٧٣٢ م ، بعد ازاحته للشاه طهماسب وخلعه اياه .
- ٧ - تقدمه نحو العراق واحتلاله زهاب وفرضه الحصار حول بغداد ، واندحاره امام جيوش طربال عثمان باشا العثمانية ، ثم رجوعه ودخره للعثمانيين وقتله لطربال عثمان باشا قرب كركوك وذلك على امتداد سنة ١٧٣٣ م .
- ٨ - الثورة والعصيان في بلاده . . ثم حروبه وانتصاراته في ترانس قوقاسيا الممتدة بين اصفهان - داغستان - روسيا خلال سنة ١٧٣٤ م .
- ٩ - انتهاء حروبه في قوقاسيا بمعاملة كنج Gandja ضد الروس سنة ١٧٣٥ م ، ودخوله الحرب ضد العثمانيين قرب ارباقان وانتصاره عليهم ومقتل قائدهم الكبير عبدالله باشا الكويرلي .
- ١٠ - تنصيب نفسه اميراطورا على ايران في سنة ١٧٣٦ م ، وازاحته للشاه الطفل عباس ميرزا ، وللتنظام الصفوي برمه .
- ١١ - استعداداته للزحف الحربي نحو الشرق ، ومغادرته اصفهان في شباط سنة ١٧٣٧ م .
- ١٢ - اختراقه لأفغانستان سنة ١٧٣٨ م .
- ١٣ - دخوله للهند وحملاته فيها ، ثم مغادرته لعاصمتها دلهي سنة ١٧٣٩ م .
- ١٤ - حملته ضد تركستان ، وسيطرته على بخارى وخوارزم سنة ١٧٤٠ م .
- ١٥ - حملته الثانية على ترانس - قوقاسيا سنة ١٧٤١ م ، وتعرضه للاغتيال في الخامس عشر من شهرها مايس .
- ١٦ - سيطرته على داغستان للمرة الثالثة في حزيران سنة ١٧٤١ م ، وحربه ضد العثمانيين .
- ١٧ - مغادرته داغستان في ٧ شباط ١٧٤٢ م ، وجيشه في كردستان وجورجيا ووصوله كرمشاه عن طريق اقليم شهرزور العراقي .

١٨ - حملته الكبرى الثانية على العراق، وحصاره للموصل وفشله امامها سنة ١٧٤٣ م - موضوع البحث - وانسحابه الى ايران.

١٩ - معاهدة الصلح مع العثمانيين في ٤ كانون الثاني ١٧٤٦ م.

٢٠ - اغتيال (٣٩) نادرشاه في ٢٠ حزيران ١٧٤٧ م / ١١ جمادي الثاني ١١٦٠ هـ.

تسمياته التاريخية:

غلبت على هذا الامبراطور الايراني تسميات عدة، **كـ** استقر اسمه تاريخياً بـ (نادرشاه)، وتقدم فيها اسمه على صفته الامبراطورية اثناء توليه سلطانه الرسمية كاملة، وبعد وفاته وما اعقبها من مراحل. . اما قبل ان يتولى سلطان ايران الشاه فقد كان يطلق عليه لقب (الحان) مقترناً بتسمية (نادر خان) أو (نادر قولي خان). . . . اما المصادر المحلية فلقد غلب اسمه على صفحاتها بـ (طهماز خان) كونه احد خانات الشاه طهماسب الثاني الذي **كـ** لقب (الحان)، وقد بقي هذا الاسم ساري المفعول في الكتابات والاعمال التاريخية وخصوصاً في المحليات العراقية حتى بعد وفاته لمراحل بعيدة. وقد اطلقت عليه مصادر تاريخية اخرى اسمه القبلي (نادر افشار)، وفي المراجع الايرانية (نادر افشاري). اما المؤرخ الانكليزي وليام جونز فقد اطلق عليه من خلال عنوان كتابه عنه (ملك ايران) **King of Iran**، راجع ملاحظة رقم (٣٨). ونشير اليه بعض المصادر الاوردية «قولي خان» **Kouli Khan**.

العراق في خضم القرن الثامن عشر البدايات الاولى

١ - الاوضاع الدولية لمنطقة الشرق الادنى :

يتميز تاريخ منطقة الشرق الادنى خلال القرن الثامن عشر، بفترات غربية، وفطورات خطيرة، ومميزات مؤثرة. . كما انه ذو طبيعة تاريخية - تراكمية خفية بالاحداث الجسام والابطال العظيم، وتشكل ساحة العراق الجغرافية القديمة واقليمها التابعة لها أو المتاخمة لحدودها مسرحاً واسعاً وعريضاً لتلك الاحداث. . وربما يتحمل النصف الاول من القرن المذكور على كاهله كامل تلك الاحداث الحيوية، ويصع بمتغيراتها التاريخية الكبيرة، اضافة الى الساحة الجغرافية لكل من ايران والامبراطورية العثمانية.

ففي ايران، اقل العرش الصفوي على يد الافغانين الذين حكموا ايران قرابة عشر سنين، حتى بروز ذلك الزعيم الإفشاري من اعماق خراسان (نادر)، والذي هيأت له الظروف لأن يلعب ادواراً سياسية وعسكرية مؤثرة في تاريخ ايران، وامتداداته شرقها، ثم توغله في قلب آسيا ووصله الى سدة الحكم الامبراطوري وتبوته عرش ايران باسم نادرشاه. . وكان هو المسؤول الاول في اشعال فتيل الصراع في المنطقة من جديد^(٤٠) وبصورة دموية خلال هذه الحقبة وذلك من خلال حروبه العسكرية والاقتصادية ضد العثمانيين. ^(٤١)

كان العثمانيون في الطرف الآخر، يعانون مشاكل سياسية وحربية وإدارية في الخارج والداخل من امبراطوريتهم، وباحتلاء السلطان محمود الاول العرش سنة ١٧٣٠ م / ١١٤٣ هـ ^(٤٢) بدأ البلاط العثماني يستعيد هيئته ودوره الفعالي في مواجهة اضطرابات العاصمة، وعصيان الانكشارية مثلاً بحركة بترونه خليل اغا ومنايف موصلو ■ الخطيرة، والتي استطاع ان يخمدها مع رؤوسها نهائياً، اثر تنفيذ السلطان لخطة دراماتيكية ناجحة في صالونات بلاطه، وتقطعت الرؤوس فيها قادة واتباعاً عن احصوا بالآلاف. ^(٤٣)

بدأ اهتمام الامبراطورية ينصب نحو الغرب بفرض صد ومواجهة الخطر الاوربي الزاحف المتمثل بقوة كل من النمسا وبولندا. . وقد سعى هذا السلطان جامها لكي بمحو عار معاهدة (كارلوفتش Karlowitz) ^(٤٤) من على جيبن

دولته، ودخل حرباً ضارية ضد الامبراطورية النمساوية سنة ١٧٣٨ - ١٧٣٩، فانتصر عليها بعد ان كانت قد سيطرت على كل من البوسنة والهرسك وصربيا ومولدافيا، فاستطاع الجيش العثماني ان يحرر اراضيها^(٤٦) ويقهقر جيوش الهابسبورك الى ما وراء نهر الدانوب. وتقدم العثمانيون ليمثلوا شروطهم على النمسا. (٤٦)

ولم يقتصر الامر على النمسا فقط، فقد اجبر العثمانيون الروس من طرف آخر بان يتعهدوا بهدم قلاع ميناء آزق (Azov) وعدم تمهيدها، والتوقف عن بناء السفن سواء كانت حربية أم تجارية في البحر الاسود، ولقد وقعت جميع هذه البنود في صحيفة معاهدة بلغراد الشهيرة التي اعادت للامبراطورية العثمانية هيبتها في اوربا. (٤٧)

اما على الجانب الشرقي منها، فلقد انحسر دورها في اقاليم الشرق مركزياً، باعتمادها على السلالات المحلية في حكم الولايات، وكان من احد اسباب استقرار تلك الموالل المتوطنة وتوارثها في الحكم هو ما قدمه زعماءها وأبلاؤها من المؤسسين من خدمات جلى للعثمانيين في صراغهم مع الايرانيين، وقد مر هذا الصراع الزمن خلال النصف الاول من القرن المذكور باتعطافات غامية في الخطورة، وخصوصاً بعد تفاقم حدته وحروبه وازماته السياسية على ارض العراق وتوابعها من الاطراف والاقاليم شمالاً وشرقاً. . ولم يكن احد المؤرخين المعاصرين مجازفاً في تسميته ايهاها بـ «حروب المعالقة»، (٤٨) وعلاقة الصراع من طرف أو بآخر بالدور الروسي المؤثر، اضافة الى تفاقم المصالح الاقتصادية في العالم والسيطرة على البحار وممراتها. . ولعل ما يعيننا في هذا المجال هو العراق وحده، والمؤثرات الخارجية عليه، ودور الاحداث التاريخية التي توالدت على ارضه خلال الحقبة المعنية من حلقة الصراع المذكور، وآثارها في حياته المتعبة وتاريخه الاقتصادي المريع. . انتهاءً بحصار نادرشاه للموصل - موضوع البحث ادناه. .

٢ - ولادة الادارة الاقليمية للعراق:

خلال هذه الحقبة المعنية، ازدادت فاعلية الروابط السياسية للعراق قوة وحياء، وعندما بدأت كل من ولايتي بغداد والموصل تستقطبان نفوذهما العسكري -

الاقليمي على مسرح العراق معززين روابطهما الاقتصادية المتلاحقة التي رأيناها في القرن المنصرم. وعلى الاخص بعد انحسار النفوذ التركي المركزي على اقاليم العراق والشام، وكان البلاط العثماني مجبراً لأن يعترف بالجهود العسكرية والمالية المخلصة التي تبذلها القوى المحلية من الاسر الناشئة والمتوطنة في هذه الاقاليم، فلقد ترسخ حكم المماليك في بغداد، (٥٩) والحكم الجليل في الموصل، (٥٨) وحكم آل العظم في دمشق، (٥١) والحكم القصير لعبدالله جته جي في ديار بكر. (٥٧)

مضى على حكم المماليك لبغداد اثنان وعشرون عاماً، عندما عينت استانبول اسماعيل باشا بن عبد الجليل والياً على الموصل سنة ١٧٢٦ م / ١١٣٩ هـ الذي قضى في منصبه هذا سنة واحدة ليخلفه ولده الحاج حسين باشا بعد ثلاث سنين من وفاته اذ عين حسين باشا سنة ١٧٣٠ م / ١١٤٣ هـ والياً على الموصل، (٥٣) وهو الزعيم المؤسس لسلالة حكم الولاة من الجليليين، والتي رسخها من خلال جهوده العسكرية والادارية في حكمه للعديد من ولايات الاقاليم الشرقية للامبراطورية العثمانية.

٣ - اوضاع العراق الداخلية وتفاقم حدة الصراع مع ايران:

كانت الاضطرابات تعم بغداد عندما عينت العاصمة استانبول الوزير اسماعيل باشا عليها سنة ١٧٠٠ م / ١١١٢ هـ، وكان من ناحية اخرى اعجز عن صد وحرب الايرانيين. (٥٤) واستقرت بغداد بعد ذلك تحت حكم الوالي حسن باشا الذي عين عليها عام ١٧٠٤ م / ١١١٦ هـ وحكمها طويلاً لمدة دامت احدي وعشرين سنة، (٥٥) وبعد المؤسس الاول لحكم المماليك لولاية بغداد مستمداً نفوذه من السلطة المركزية العثمانية.

تخطم الترف الصفوي على يد الافغانيين الذين سيطروا على حكم ايران، وازمحل الصفويون، ويقوا يمارسون ادوارهم السياسية في الظل (٥٦). وقاد تحالف الحكومة العثمانية مع الروس سنة ١٧٢٤ م / ١١٣٧ هـ بحكم الظروف الدولية في الشرق، وسيطرة الجيش العثماني على كرجستان وداغستان (٥٧) لتفجير حدة المواقف السياسية في المنطقة، واهلنت استانبول الحرب على ايران في السنة

ذاتها، وذلك بعد الاضطرابات الدموية التي أحدثها العنف الطائفي لإيران،
الأتراك حملتهم نحو جورجيا وحاصروا عاصمتها تفليس، وامتدادات جغرافية
على الشرق والجنوب منها. (٥٨)

وصلت أوامر البلاط العثماني إلى بغداد لكي يأخذ العراق دوره الحربي
واستعداده للهجوم والامتداد شرقاً في عمق إيران، فاطاعت الموصل من خلال
القوات التي جهزتها، والدخائر التي أعدتها (٥٩). في حين تردد والي بغداد حسن
باشا أن يدخل غائلة الصراع مباشرة، (٦٠) ولكن السلطنة شددت أوامرها لحسن
باشا، (٦١) فقاد قواته المشتركة من بغداد والموصل، ووصل كرمشاه، (٦٢) وسيطر
على أردلان وكردستان، وتوغلت الحملة العراقية في أباله أصهبهان، (٦٣) بدخول
سنة ١٧٢٤ م / ١١٣٧ هـ. وفي أثناء ذلك، توفي الوزير حسن باشا بعد أن بلغ
من الكبر عتياً، فتولى القيادة ولده أحمد باشا.

■ - الاحتلال العراقي لهمدان وأحوال إيران :

تولى أحمد باشا قيادة جيوش أبيه، ورضخ البلاط العثماني فائق تميمه والياً
على بغداد والولاية الاستراتيجية الشاسعة، وأصل أحمد باشا حربه في إيران، (٦٤)
فاحتل همدان في نفس العام، (٦٥) بعد أن فجر أسوارها، وخاض حرباً دامية في
شوارعها على مدى ثلاثة أيام، وانتهى الأمر بعقد الهدنة بين العثمانيين
والأفغانيين حكام إيران، التي اعترفت إيران بموجبها أن همدان ولاية
عثمانية. (٦٦) ورغم ذلك، إلا أن العلاقات بين الدولتين بقيت ساخنة، فقد
توغل رتل كبير من جيش ولاية الموصل جنوباً في بلاد البخاريين (٦٧) وذلك
خلال سنة ١٧٢٥ م / ١١٣٨ هـ، وفي السنة التي أعقبها ١٧٢٦ م، حاول أشرف
خان شاه إيران أن يأخذ بغداد، فاستعد له العراق، فصرف نظره عن ذلك بعد أن
شدبت المناطق العراقية من ذيول الإيرانيين، (٦٨) ولم تتلاش حدة التوتر نظراً
لتحركات حرب كل من الدولتين هنا وهناك.

بينما كان أحمد باشا يعالج أمر استمداداته الحربية بتحالفه مع قوى الموصل
وأطرافها المجاورة ضد إيران وذلك سنة ١٧٢٧ م / ١١٤٠ هـ، وصلت أوامر
السلطنة الفاضية بفتح باب المفاوضات من جديد، والدخول في علاقات سلمية،
وقد انتهت بمعاهدة كان من ضمن بنودها اعتبار كل من همدان وكرمشاه وأردلان

ولورستان من الاقاليم العثمانية، كما اخذ العثمانيون خطوطاً جديدة في الشمال على نقاط مرسومة حتى اردبيل وبضمنها تبريز. وقد اعترف بذلك حكام ايران من الافغان، وقضى الصلح المعقود بين الطرفين مرحلة سلام، وتبادل البلاطان العثماني والايراني علاقاتها الدبلوماسية والهدايا، (٧٩) ولكن اشرف خان نقض الصلح سنة ١٧٢٨ م، وتوجه الى بغداد فاستطاع واليها ان يصدّه، ثم اعتذر اشرف خان من السلطان العثماني. (٨٠)

لقد كان نصراً كبيراً، سلباً وحرباً، للدولة العثمانية في ان تقتطع اجزاء شاسعة من ايران، ومن خلال الجهود العراقية. . . ولكن الاوضاع السلمية لم تستمر، اذ انتهى كل شيء بسقوط الحكم الافغاني لايران سنة ١٧٢٩ م/ ١١٤٢ هـ، وعاد البيت الصفوي للحكم مرة اخرى، ولم يمض على الافغانين في ايران الا عشر سنوات، حين برز الى الوجود قائد قبلي من افشار خراسان اسمه نادر، (٨١) ليعيد للصفويين قوتهم السياسية، ولايران هيبتها، ففي هذه السنة بالذات، جاء مع قواته من الافشار والكرد لنصرة العرش الصفوي فعينه الشاه الصفوي الذي كان يعيش في الظل على قيادة جيوش طهماسب، فاستطاع ان يقهر الحكم الافغاني خلال السنة المذكورة، وعمل دفعتين الاولى عند مهماندوست Mehmandost، والثانية في منطقة مرجاخابار Murchakhar فشنتهم بصورة نهائية، (٨٢) وخبخ خانهم اشرف، (٨٣) ثم امتد ليسيّطر على كامل افغانستان سنة ١٧٣٠ م/ ١١٤٣ هـ، (٨٤) وعاد فأرجع العرش الصفوي لايران الذي لم يلبث ان احتواه خلال وصايته عليه باسم نادر قولي، ثم اناه بصورة كلية بعد فترة قصيرة، ونصب نفسه اميراً طوراً على ايران باسم نادرشاه.

٥ - ايران تستعيد انفاسها من جديد:

بعد ان استعاد العرش الصفوي انفاسه بتولي الشاه طهماسب مقاليد الامور، فاتحت ايران البلاط العثماني في استانبول باعادة الولايات الغربية ديبلوماسية (٨٥). . . وفي حين كانت المفاوضات بين اخذ ورد، كان نادر قولي خان الرجل القوي في ايران قد اسرع في تعبته العسكرية لأن يعيد للحرب اوزارها مع العثمانيين. . .

في ربيع ١٧٣٠ م / ١١٤٣ هـ، بدأت الاشتباكات العنيفة بين الطرفين التي انتهت بانتصار الإيرانيين ودخولهم همدان، (٧٦) وانسحبت القوات العثمانية إلى كرمينشاه ومنها عبرت حدود العراق القديمة، وتفرقت في زهاب واطراف خانقين (٧٧). ولقد اسعف الموقف كل من والي بغداد احمد باشا ووالي الموصل الحاج حسين باشا الجليلي (٧٨) بتقديمهما مع جيوشهما المشتركة فاستعادا كرمينشاه، ثم تقدم الجيش العراقي الى همدان فحسروا قراها، وواجه جيشاً ايرانياً قرب كوريجان Korijan (٧٩) في ١٦ ايلول ١٧٣١ م / ١١٤٤ هـ، فحسروا الإيرانيون المعركة، وفر نادر قولي، واحتلت همدان وثبت فيها الحكم العثماني مجدداً. مما حدا بالسلطان العثماني ان يرسل فرمانه مهيباً من خلاله بكل من اعمال الباشوين المذكورين. (٨٠)

ودخلت الدولتان الكبيرتان في مفاوضاتها من جديد، ولكن بقي نادر قولي بأبي الصلح وقد وقع الجانبان معاهدة لم يكن فيها أية اطماع عثمانية، بل احتلت استانبول فيها، حل امل ان تعود الحياة الدبلوماسية والاحترام المتبادل، اذ ارجعت تبريز واوردلان وكرمينشاه وحمدان والجزيرة جميعها الى يد الشاه الايراني، وعليه فقد انسحب احمد باشا وجيوشه المشتركة الى حدود العراق القديمة التي كان قد رسمها السلطان مراد الرابع قبل ما يقارب القرن من الزمان، اي سنة ١٦٣٨ م / ١٠٤٨ هـ. (٨١)

العراق والعهد النادرى الايراني العائى

١ - اوليات الموقف:

رغم كل من التنازلات التي قدمتها استانبول لايران، الا ان اطماع نادر قولي بقيت متأصلة، فلقد انتفض على الشاه طهماسب الذي قبل بتوقيع المعاهدة، التي نقضت بعد ان رافقها خلع الشاه طهماسب، (٨٢) وتنصيب الصبي اليافع عباس ميرزا شاهاً لايران وجعل نادر قولي من نفسه وصياً على عرشه. . وارسل نادر قولي خان الى والي بغداد يهدده ويطلبه بحق له في اراضي العراق، وانه سائر باعتباره وصي عرش ايران على رأس جيشه ليتنسم هواء بغداد العليل، وليضيأ بظلال قصورها، (٨٣) وذلك في خريف سنة ١٧٣٢ م.

لقد كانت الاسباب التي ادت الى نقض المعاهدة هي دينية وسياسية، كما يجمع على ذلك عدد من المؤرخين. ولقد ادى كل من نقض المعاهدة وتهديد ايران للعراق بالذات الى ان اخذ والي بغداد يشدد قبضته على مواقع حدود ولايته، ومخارمها وخصوصاً خط: درنه - مندلي - بدره، ثم عزز حامياته في زهاب وقصر شيرين، واعلمت استانبول بالاضاع العراقية، فاعلمتهم بأن حملة امبراطورية كبيرة يقودها الوزير طوبال عثمان باشا في طريقها الى بغداد لتخليص بغداد من همتها. (٨٤)

٢ - حملة نادر قولي خان على العراق سنة ١٧٣٢ - ١٧٣٣ م:

لم تحض الا فترة قصيرة على انفجار الموقف بالغاء المعاهدة من طرف واحد (٨٥) وعلان الحرب، فاستأنف نادرشاه تحركاته وقيادته لجيوشه نحو العراق سنة ١٧٣٣ م / ١١٤٥ هـ (٨٦) والبالغ عددها مائة الف مقاتل (٨٧) فاحتل كرمشاه التي لم تزل تحت السيطرة العثمانية، ولما تنسحب بعد منها القوات العثمانية بموجب المعاهدة آتفة الذكر (٨٨). ثم تقدم نادر قولي خان فاحتل زهاب، في حين كانت قوات عسكرية من الموصل قد وصلت مشارف بغداد، والتي يبلغ عددها الف مقاتل كان قد جهزها وارسلها والي الموصل الحاج حسين باشا بطلب مستعجل من والي بغداد احمد باشا (٨٩). . . وبينما ان هذه القوات قد سلكت في طريقها المسالك البري غرب نهر دجلة كرمها وصلت مباشرة الى بلدة الكاظم القريبة من بغداد، وقد سارع والي بغداد لادخالهم داخل اسوار بغداد نتيجة للاضطرابات واعمال الشغب التي حدثت في الكاظم. (٩٠)

تقدم نادر قولي خان عابراً الحدود العراقية بعد ان قتل وشرذ المئات من السكان الآمنين، (٩١) وانفصلت قطعات من جيشه وتفرقت الى اربعة اقسام تقدمت في مسالك اربعة نحو كركوك وهي على التوالي: قره تبه - كفري - طوز خورماتو - داقوق. (٩٢) وعاشت في الجميع فساداً، وقتلاً وتشريداً وغيباً، وقد استبسلت كركوك رغم الحسائر الفادحة التي لحقت بها وبقرائها، وقد عاود نادر قولي خان ضرب كركوك في حركات عسكرية ثلاث (٩٣) في حين كان هومع الرعيل الكبير من قواته قد ضرب حصاره حول بغداد.

٣ - حملة تركيز خان على الموصل سنة ١٧٣٣ م / ١١٤٥ هـ ونتائجها:

نخبرنا «تذكرة شعراء امله» لـ علي اميري - بالتركية (٩٤) -، ان قوات نادر قولي قد سيطرت على كركوك في رجب ١١٤٥ هـ، وبعد ثلاثة اشهر من وقائعها اي في ١٥ شوال ١١٤٥ هـ (٩٥) ارسل نادر قولي قواته الايرانية التي قدرت بـ ثمانية آلاف مقاتل (٩٦) وتحت قيادة القائد البهادري تركيز خان (٩٧) الذي وصل الموصل، واتخذ له ميداناً بجوار قصر «على قديم» (٩٨) الواقع خارج اسوار المدينة جنوباً، ويظهر ان هذه الحملة قد سلكت الطريق البري غرب دجلة، وانها ارسلت خصيصاً لكسر شكيمة الموصل، وانها لم تكن من القوات التي خصصت لاحتلال كركوك.

كانت قيادة ولاية الموصل تحت ادارة الحاج حسين باشا قد اتخذت تدابيرها العسكرية بأن نظمت قواتها من ميمنة وميسرة وقلب، وخرجت للملاقاة قوات تركيز خان، وقد شارك فيها قطاعات عديدة من ابناء المدينة (٩٩) . . وقد قاد الوالي بنفسه قلب الهجوم على الفرس، واستمرت المعركة عنيفة وشديدة من الصباح حتى العصر، حقق فيها الوالي وقواته نصرهم، وسحقوا الجيش الفارسي «وخر تركيز خان صريعاً» (١٠٠) وفي القسم الاعظم من قواته وعادت قوات الولاية الى الموصل ودخلتها منتصرة، وامامها الاسرى مربوطين بالسلاسل. وفر من تبقى من الفرس وتبعثروا في البراري. (١٠١)

٤ - حصار بغداد ونتائجه المحزنة:

فرض نادر قولي حصاره على بغداد بعد سيطرته على كافة ضواحيها وتوابعها من المدن الفراتية، (١٠٢) اضافة الى استلابه لكل اقتصاديات المنطقة، واحتفل بعيد نوروزه بين جنده في ١٩ آذار ١٧٣٣ م / ١١٤٦ هـ، (١٠٣) في حين كان احمد باشا يخشى الوضع الداخلي المتأزم، لاسيما وان الحصار قد طال امله وان الجيش العثماني المنقلد لم يصل . . اما الجيش داخل بغداد فكان يتجاذب اطلاق النار مع الفرس في مناوشات تكون خفيفة مرة وعنيفة اخرى، (١٠٤) لاسيما عندما انشئ جسراً على دجلة، بعد ان امتلأ نهر دجلة بزوارق جيش الاعداء (١٠٥) . . وهكذا اصبحت بغداد الشرقية، تلك المدينة الكبيرة، ذات القصور العريقة، والقباب الملونة البهية، والشوارع الطويلة، والبيوت الكثيرة، والمدارس القديمة، والمعابد

وقدور الحكومة والأسواق . . كلها وداخل تلك الأسوار القوية العالية لمدينة بغداد أصبحت تحت قبضة الحصار الإيراني الشديد، والذي كانت وطلاته تقسرو يوماً بعد آخر، وشهراً بعد شهر. لقد مارس نادر قولي حرباً اقتصادية شعواء بسيطرته على دجلة شريان بغداد، وبوابة جسرهما فقطع كل المولد عنها، ولم تسلم حتى اشجار النخيل الباسقة فقد جردها الأعداء سعفاتهما الجميلات، وقطفوا ثمارها الهانعات وبدأ سكان بغداد يقاسون الجوع المرير يوماً بعد آخر، ثم بدأت المجاعة الرهيبة تكتسح المدينة، بغلاء أسعار المواد الغذائية بصورة بشعة (١٠٦) . . واخذ الناس يموتون أفواجا، وحكومة الوالي أحمد باشا تنتظر النجدة العثمانية تحت قيادة طوبال عثمان باشا الذي كان يسير نحوها.

■ - الوزير طوبال عثمان باشا ينقذ بغداد الحريقة واطرافها :

يقف المؤرخ لوندريك في كتابه الشهير عن تاريخ العراق الحديث، وقفة تأمل طويلة عند محنة بغداد التراجيدية بما استشرى فيها من قسوة وويلات ابان حصارها من قبل الإيرانيين، وكيف انجدها قدر التاريخ بعدم وقوعها فريسة بأيديهم بعد جوع وضيق . . . فلم يخلصها طوبال عثمان باشا ولكن كان تاريخ بغداد والعراق وتركيا قد سلك حقا مسالك أخرى . (١٠٧)

كان طوبال الوزير المحنك، والقائد العسكري الالمعي، وخدام البلاط العثماني المخلص يزحف بجيشه بعد ان خوله ذلك البلاط صلاحيات عظمى باعتباره سر عسكر الشرق لصد الخطر الإيراني، (١٠٨) وانه الوزير الاعظم السابق لدى الامبراطورية، (١٠٩) ومنحه استخدام كافة مولد الايالات الشرقية . . وقد استغرق زحفه قرابة ستة اشهر، وصل الموصل في عدد يقدر بثمانين الفا من القوات، وقد تزود في هذه المدينة، (١١٠) وساق رحاله نحو كركوك التي تلقى فيها كتابا له من نادر قولي خان يمتنى فيه لطوبال الاسراع للملافة حتفه (١١١) . . استعد الرجل وانطلق بعد ان التحقت به العديد من قوات الامبراطورية، ومنها قوات مصرية. (١١٢) خلال هذا الزحف الكبير لم يجد هذا الجيش قرية مأهولة نتيجة لما فعلته القوات الإيرانية خلال الشهور الاولى. (١١٣) وباقتراب طوبال وجيشه، استطاع ان يجده نادر قولي، ويومه بميمات وصوله، (١١٤) ثم حددت الملافة بعد ان ترك نادر قولي مع اغلب جيشه بغداد . . وفي صباح ١٩ تموز التقى الجيشان

العظيماني، (١١٥) وبدأت الحرب العاتية بين الطرفين المتراجحين في اعدادهما، وكان الموقف في صالح الايرانيين في البداية، بعد ان ارتدت تشكيلة من الاكراد تقدر بالالفين بين جيش طوبال، وحدثت المدافع الايرانية ثغرة في خط الاتراك للوصول الى النهر، مما حدا بطوبال ان يدعو الاحتياطي المؤلف من عشرين الف نفر (١١٦). وكانت الهجمة الكبرى بتقديم الوحدات الانكشارية (١١٧). واستمرت الحرب تسع ساعات، (١١٨) تفوقت فيها قوات طوبال امام نكوص الفرس، (١١٩) وغربت الشمس باندحار نادر، (١٢٠) وانتصر الاتراك وغنموا بما لا يعدل أو يحصى، رغم فقدانهم لآلاف الشهداء الذين واروهم الثرى، ونقلت جراحهم الى الموصل للتداوي والعلاج (١٢١) وفر نادر قولي من حدود العراق الى ايران، (١٢٢) بعد ان خسر ثلاثين الف قتيل، وثلاثة آلاف اسير (١٢٣). من الخطط الذكية التي استعملها طوبال عثمان باشا في حربه هذه، اتخاذ موقعه الحربي مطلاً على النهر، وجعله للنهر وراءه في مواجهته للاعداء في القفر، (١٢٤) والاحالة دون وصولهم للماء، واذا ما عرفنا ان الحرب قد وقعت في التاسع عشر من تموز، وما يتميز به هذا الطرف من حرارة قاسية، وشمس محرقة. . ادركنا كم قتل العطش من الاعداء.

مذ سمعت بغداد باخبار الانتصار العثماني الكبير على الفرس، حتى ضجّت حاميتها العسكرية مهاجمة من تبقى من الايرانيين الذين كان نادر قولي قد تركهم للمحافظة على الحصار. . ثم فتحت ابواب بغداد الكبيرة لتستقبل البطل الذي خلصها، وخرج فتيان وفتيات المدينة لاستقباله، (١٢٥) وتدفقت على مركز بغداد المؤن والموارد (١٢٦) ولم يمض طوبال داخل بغداد الا وقتاً قصيراً لما كان عليه وضعها المهلك القاسي. (١٢٧)

• مصرع طوبال عثمان باشا وموقف والي بغداد:

لم يندمل جرح بغداد بسرعة، فقد سببت المجاعة الرهيبة وخلال الحصار الطويل الذي يزيد على سبعة اشهر (١٢٨) لموت ما يزيد على مائة الف من البشر جوعاً (١٢٩) وذلك داخل الاسوار فتراكمت الجثث في البر والنهر (١٣٠) مسببة الامراض الفتاكة التي زحفت بعد بدأ المجاعة نتيجة تلوث الماء والهواء، والثتانة في الاسواق وأفنية البيوت (١٣١). . واصبحت أجسام من تبقى حياً كاشباح في

ظلمة ليل، وقد عمدتهم فرحة النصر، واصبح طوبال عثمان منفذ بغداد الرجل
الرمز لها، والبطل اللامع صاحب الانتصارات الباهرة لدى البلاط في
استانبول. (١٣٢) ويذكر احد المؤرخين بأن الوالي احمد باشا حاكم بغداد قد خشي
من عظمة طوبال عثمان باشا في داخل العراق فاقترح عليه ان يسرح
جهوشه، (١٣٣) وهذا ما فعله طوبال عثمان باشا، وأدى ذلك الى ان يضع هذا
الوزير الكبير - دون ان يدري - نهايته المأساوية بيده.

بعد ان قاتلت بغداد للشقاء، انسحب طوبال عثمان بعد ان سرح غالبية
قطاعات جهوشه الى ابالاتما، (١٣٤) وزحف مع ثلثة من جيشه الانكشاري نحو
الشمال، (١٣٥) ونهيم قرب كركوك في حين بدأ والي بغداد احمد باشا استعداداته
توقفاً اكيداً. ان زحفاً ايرانياً في طريقه واجماً للمرة الثانية لأخذ بغداد، (١٣٦)
وتحطيم الجيش العثماني. وهذا ما حدث فعلاً فقد استطاع نادرا ان يؤلف خلال
عدة اسابيع جيشاً كبيراً، زحف به على العراق، ولكنه جعل هذه المرة وجهته
نحو كركوك حيث يجهم خصمه العثماني اللدود الوزير طوبال عثمان باشا وما فتأ
الاخير مد وصلته اخبار الزحف الايراني نحوه يستنجد بالعاصمة ولكن بعد فوات
الاولان، (١٣٧) اذ لم يستطع الا ان يجمع تحت لوائه بعض قوات الاقاليم المتاخمة،
ومن ضمنها الموصل وديار بكر التي اجتمعت مع انكشارية طوبال لتواجه القوات
الايرانية الكبيرة في سهل تيلان قرب كركوك. . فدخل الطرفان صباح يوم
السادس والعشرين من تشرين الاول ١٧٣٣ م / ١١٤٦ هـ، (١٣٨) في حرب قوية
غاية في الشدة والبأس، وكان القائد طوبال عثمان باشا سر عسكر اقاليم شرق
الامبراطورية يقاتل ببسالة نادرة ممتطياً صهوة جواده الابلق الرشيق، وقد اوقع
وجيشه الصغير خسائر فادحة بالاعداء (١٣٩). . وفي لحظات حاسمة خسر طوبال
عثمان نفسه صريعاً على ارض المعركة وبصورة شجاعة ومؤثرة (١٤٠). . وتحطم
جيشه (١٤١) وانسحق قواده العظام، واستطاع والي الموصل الحاج حسين باشا
الجليل الذي كان بمعية طوبال عثمان باشا ان ينسحب من الساحة مع من بقي من
جنوده تحت جناحه الى حصن الموصل متخفياً تحت جنح الظلام (١٤٢). . ونهيم
الايرانيون ما خلفه الجيش العثماني (١٤٣) ووقف نادر قولي وصي عرش ايران
يتأمل طويلاً، امام جثة طوبال باشا التي صبغتها الدماء.

اتكسست النفوس في كل من اسطنبول وبغداد والموصل لهذه الاخبار المريرة
التي عصفت بالواقع مرة اخرى. رغم ان بغداد كانت قد اتخذت تدابيرها على يد

واليها. . اما استنبول العاصمة فقررت تعيين عبدالله باشا الكوبرلي بمنصب سر
عسكر اقاليم الشرق عوضاً عن طوبال عثمان باشا، (١٤٤) وانضم ايضاً تحت
قيادة هذا الوزير الجديد باشوات الاقاليم المعنية . . . واثاء تحركاته الحربية، اقام
هذا السردار بالموصل وتجهز منها بالخيول والمؤن والعتاد، قدم الى واليها الحاج
حسين باشا رتبة الوزارة التي منحها السلطان، ثم ترك الكوبرلي الموصل متوجهاً
نحو كركوك (١٤٥) . . . لقد جرى تعيين عبدالله باشا الكوبرلي سنة ١١٤٧ هـ،
اي بعد مدة زمنية من اندحار طوبال عثمان باشا.

٧ - المعاهدة العراقية - الايرانية ودور والي الموصل :

عاش نادر قولي متشياً بنصره الذي حققه على جيش طوبال عثمان باشا،
حتى وردت اليه انباء الاضطرابات الخطيرة المتصاعدة التي عصفت داخل بلاده
ايران لصالح الصفويين، فرجع بعد ان عقد الصلح مع احمد باشا والي بغداد عبر
مفاوضات هامة وسريعة، فاعتبرت من جديد حدود السلطان مراد الرابع اساساً
لبناء علاقات كل من الطرفين المتنازعين (١٤٦) . . . وتبدلت الهدايا بينهما، وافرغ
عن الامرى الذين قبض عليهم في المعركة التي صرع فيها الوزير طوبال عثمان،
وانسحب نادر قولي من العراق تماماً. (١٤٧)

وصنت وتيمم المعاهدة المعقودة الى اسطنبول للتصديق، فلم يتم البلاط
العثماني لها، فلقد كان غليان العاصمة فائراً، وموقف رجالات البلاط هائجاً
لمصرع البطل الوزير طوبال باشا، (١٤٨) وكان من النتائج الاولى لذلك هو نقل
والي بغداد احمد باشا ولاول مرة بعد حكم يتجاوز عشر سنوات لبغداد (١٤٩)
تخللها العديد من الاعمال الحربية الكبرى. . . وهناك اشارات تاريخية تشير الى
سبب ذلك النقل المفاجئ هو نقمة البلاط عليه لانه اعتبر المسؤول عن اندحار
طوبال عثمان باشا (١٥٠) . . في حين توجهت انظار البلاط هذه المرة الى والي
الموصل الذي منح بعد ■ اشهر رتبة الوزارة ذات الثلاثة اطواع، (١٥١) وفي
السنة التي تلت ذلك عهدت السلطة المركزية الى حسين باشا بادارة ولاية بغداد
نفسها. (١٥٢) ومن اهم الاسباب التي دعت الى ذلك هو موقف ولاية الموصل
العسكري مع طوبال عثمان باشا، اضافة الى مساهمتها الاقتصادية الكبرى في
تموين كافة الحملات، واسعافاتها الطبية والبشرية على مدار سنة ١٧٣٣ م/
١١٤٦ هـ.

٨ - الانتكاسة العثمانية الجديدة:

استطاع نادر قولي ان يقضي على العصيان المسلح، وخنق الثورة في ايران (١٥٣) ثم مضى نحو الحصون الشمالية - الحدودية لكل من الامبراطوريتين، فكان موفقاً في حصاره لكل من تفليس العاصمة الجورجية، واربكان العاصمة الارمنية وذلك خلال سنة ١٧٣٤ م / ١١٤٧ هـ. (١٥٤) وفي ١٨ حزيران ١٧٣٥ م، التقى الجيشان العثماني والايراني قرب قارص (١٥٥) بعد ان تقدم السردار عبدالله باشا الكويرلي الوزير العثماني القدير ووالي مصر سابقاً، بجيشه وقد شاركت قوات من ديار بكر والموصل معه ليواجه جمافل نادر قولي الايرانية. . . ووقعت المعركة الفاصلة التي استمرت ساعات طوال سقطت في نهايتها الجيوش العثمانية بصورة مخيفة افتقدت فيها حياة السردار الكويرلي وعدة حربه الجبرارة، (١٥٦) فانفتحت امام نادر قولي مسالك كل من كرجستان وداغستان الاستراتيجية، في وقت حافظت قوات كل من ولايتي ديار بكر والموصل على مسالكهما الاستراتيجية بعد هجمات ايرانية متكررة. (١٥٧)

تلقت استانبول العاصمة هذه الاخبار بمرارة وأسف شديدتين، (١٥٨) وعادت لتهتم بأمر معاهدة سنة ١٧٣٣ م، وغوّلت الوزير احمد باشا الذي كان قد عقدھا مع الايرانيين اجراء المفاوضات، فسار احمد باشا على رأس وفد من المفاوضين. . . في وقت وجد نادر قولي نفسه قد احرز انتصارين عظيمين على خصومه العثمانيين وخلال فترة قصيرة، مما دعاه الامر ليحتمل في المفاوضات شروطاً كبرى. . . فلم يتوصل الطرفان الى أية نتائج لفترة اشهر عديدة. (١٥٩)

اهتم نادر قولي خلال الفترة المذكورة بعد اعلان شروطه للعثمانيين في حركات حربية كبيرة على امتدادات قوقاسيا. . . وعاد ليحتفل في آذار ١٧٣٦ م / ١١٤٩ هـ، بانتصار المذهب الخامس الذي جعل منه مذهباً رسمياً للدولة وقد جمع حوله المتطرفين الايرانيين مع العناصر التركمانية من القزلباش القدماء مع سني خراسان والور والاكرد والافغان، (١٦٠) وليجد في محصلة معادلته جيشاً ودولة واحدة، ولا يجد من ينحاز من شيعة ايران الى النظام الصفوي القديم، وكان ان عقد مجلسه الامبراطوري ليزيح الشاه الصبي عباس ميرزا عن عرش ايران، وليعلن نفسه شاهاً على البلاد دون منازع، ويسمى منذ الآن بنادرشاه بعد الغائه وبصورة نهائية العرش الصفوي، (١٦١) وابتداء العهد النادرى أو

النادرشاهي وبصورة رسمية رغم ان نادراً كان متولياً لجميع سلطات البلاد منذ عزل الشاه طهماسب سنة ١٧٣٢ م - (١٦٢)

عاد الامبراطور الجديد نادرشاه الى مفاوضات " ا " مع العثمانيين ليطلبهم من خلالها بشروطه النهائية ، التي كلفت البلاط العثماني استرداد حدود العراق القديمة للسلطان مراد الرابع واعتراف نادرشاه بها ، اعترافهم ببعض شروطه ، وبعض البنود الاخرى ، (١٦٣) ورغم ذلك الا ان العثمانيين لم ينقلوا من طرفهم البنود التي طالب بها نادرشاه ومنها تعيين امير ايراني خاص بالحج . . واقترت المعاهدة في نهاية الامر بين الطرفين ، وعادت للعراق كل من زهاب وقصر شيرين واطرافهما ولواحقهما ومسالكهما .

٩ - شروط نادرشاه والتهاب الموقف السياسي :

خلال السنوات القليلة التي اعقبت معاهدة ١٧٣٦ م ، التي اقتصر تثبيت بنودها فترة طويلة (١٦٤) من المفاوضات السياسية ، واعتراف ايران بالحدود الشرقية القديمة لجناح الامبراطورية العثمانية المتمثل بالعراق . . تحولت آلة الحرب الايرانية الى اطراف الهند فقد سيطر نادرشاه على افغانستان والهند خلال ١٧٣٨ - ١٧٣٩ م ، (١٦٥) في حين عاد الوزير احمد باشا بن حسن باشا الى عاصمة ولايته بغداد التي استقبلته بشوق ولحفة . (١٦٦) اما نادرشاه فقد عاد ليقود حملة ايرانية على ترانس - قوقاسيا وداغستان والعبث في جورجيا خلال ١٧٤١ - ١٧٤٢ م . (١٦٧) وقبل ان يصطدم نادرشاه بالعثمانيين مرة اخرى ، اراد ان يكسب ود السلطان سنة ١٧٤٠ م من خلال اهدائه للسلطان محمود الاول عشرة من الفيلة ، وقد ارسلها من ايران الى استنبول عبر مسلك : الموصل - حلب (١٦٨) . . ولكن لم يلبث نادرشاه ان الغى ما كان قد اتفق عليه من طرف واحد وتوترت العلاقات السياسية في المنطقة ، وبدأت الاقاليم الشرقية تراقب تطورات الاوضاع عن كثب .

لقد قادت نزعة السيطرة عند نادرشاه واطماعه الايرانية الجامعة على الاقاليم الاستراتيجية ثم تصاعد النزعة العنصرية لأن يعلن عن شروط جديدة امام بلاط

استنبول، متزهاً قتيلاً شرور الحرب مما سبب تدهور العلاقات . . . وقد وصلت الشروط الايرانية امام السلطان العثماني محمود الاول، وتتلخص اهم المطالبات الايرانية: (١٦٩)

- ١ - هدم اسوار بغداد.
- ٢ - تنازل الدولة العثمانية عن كل من ولايتي ارمينية وديار بكر (المتسحورتان شمال - شرق الدولة، ولهما اهمية كبيرة).
- ٣ - موافقة السلطنة العثمانية على تعيين امير ايراني للنجف.
- ٤ - اعترافها بامور دينية اخرى.

ولم يلتفت السلطان العثماني الى هذه الشروط، باعتبارها اموراً يراد منها اذكاء الحروب من جديد، ومد سلسلة الصراع الدموي بين الطرفين . . . ولقد ناقش مجلس (العلماء) في العاصمة استنبول، الامور الدينية المتعلقة بمطالب الشاه الايراني، وقرروا انه في حالة استجابة الشاه فان مخاطر كبيرة سوف تلحق بذلك. (١٧٠) وقد حمل الرد العثماني (١٧١) في عملية المفاوضات كل من منيف ونصيف التركيين اللذين وصلوا نادرشاه بينما كان مستقراً قرب ديربنت Derbent وذلك في كانون الثاني ١٧٤٢ م وقد اعلماه بأن السلطان العثماني قد رفض بصورة قطعية المطالبات الايرانية، مما حمل نادرشاه ان يقرر الوصول بشخصه الى استنبول القلب العثماني. ويعلق المؤرخ اولسن على هذا القرار: هل كان قرار نادرشاه في الذهاب فاتحاً عسكرياً أم سياسياً مسترضياً؟ (١٧٢) . . . ويقف هذا المؤرخ وقفة طويلة محلاً للاختلافات الايديولوجية المعقدة بين الطرفين المتنازعين. (١٧٣)

بدأت مباراة كل من الدولتين في استعداداتها الاولى، فقد اوقف نادرشاه جيوشه المتقدمة نحو روسيا، في حين كانت موسكو قد حركت نسعة افواج عسكرية من القوات وارسلتها الى استراخان، (١٧٤) الميناء الرئيسي على قزوين في دلتا نهر الفولغا . . . اما الجيوش العثمانية فلقد تحركت نحو الحدود مع الفرس، (١٧٥) وعززت الحاميات في بغداد وارضروم، (١٧٦) في حين كان موقف والي بغداد غامضاً لدى البلاط العثماني. (١٧٧)

لقد انتهت روح الحرب عند نادرشاه بصورة فعالة وديناميكية، في تجهيزه اعظم القوات واقواها مقارنة بحملاته الاخرى السابقة خلال تاريخه الحربي لايران، ويبدو ان قرار الحرب قد اتخذته نادرشاه تنفيذاً لما قطع من وعد على نفسه

بأن يصل استنبول، وجاء هذه المرة أيضاً عبر اختراقه للعراق. ووجهته الحقيقية هي الموصل التي يقبض من خلال سيطرته عليها على جميع مسالك العراق، ويفتح الطريق امامه نحو كل من اناضوليا وبلاد الشام. (١٧٨) وتلك هي الاسباب التاريخية التي قادت مع طبيعة ظروف المرحلة الى تأجيج نزعات الصراع بصورة كبيرة مع تطور الاحداث، وسخونة المنطقة التي تمتد من اعالي فوقاسيا حتى اعماق الخليج العربي عبر بلاد العراق والاقاليم الشرقية للاناضول. . ويسلر واضحاً انه من المستحيل على اية دولة الرضوخ امام مثل هذه الشروط التي فرضها نادرشاه من الناحية السياسية التي اعتبرت اسباباً مباشرة لتجريد الحملة الايرانية الكبرى على العراق، في حين لم يتحرك البلاط العثماني للمواجهة الامبراطورية مع ايران، فبقي العراق «اقليميا» لوحده يواجه «ايران نادرشاه» مع تعقد الظروف وعقم الدبلوماسية والنوايا التي يريد خصمه اللدود تحقيقها.

استنتاجات تاريخية

من خلال دراسة مقدمات حصار الموصل التاريخية، وتطور تاريخ العراق السياسي، وعلى الاخص خلال العقد الاول من القرن الثامن عشر، وتحليل طبيعة وابعاد الصراع في المنطقة، نستنتج في المحصلة الامور الهامة التالية:

١ - تطور حلقة الصراع المرير بين العثمانيين والفرس اثنى لأن يتخذ في هذه الحقبة التاريخية طابع الحرب الاقليمية - الامبراطورية في صد العراق امتدادات ايران عن نفسه، بين انتصار وانحسار فقد استطاع ان يحتل عدة مدن ايرانية مهمة مثل كرمينشاه ومهدان ويمتد في عمق كبير في ايران اثناء الحكم الافغاني لها. . أو ان تنحسر فاعليته حتى عن اراضيه فتقع مدنه وخطوطه ومسالكه تحت سيطرة ايران أو وطأة الحصارات العسكرية والاقتصادية.

٢ - بروز نادرشاه، ذلك الحنان والامبراطور الشرس الذي تصاعد في بلاط الصفويين ثم قضى عليهم، وسيطر على مقاليد الحكم في ايران ورغم الحروب الاهلية الداخلية في ايران فان هذا الشاه اشمل المنطقة جميعاً بالحروب والمعارك الطاحنة وعلى نحو دموي ولن ينصفه التاريخ بما صنع من احداث قاسية سببها ايقاده لقتيل التطاحن المذهبي في مختلف الاقاليم، ثم اطماعه الشريرة وخصوصاً استماتته الفائلة في السيطرة على العراق من شماله حتى جنوبه، مستخدماً القطاء الديني لاغراض سياسية بعنة ضد شعب العراق بكل فئاته وطوائفه.

٣ - كان لقدرة العراق ان يبرز خلال هذه الحقبة التاريخية الصعبة ثلاثة من القادة الابطال، والذين لعبوا ادواراً مختلفة وفي فترات متباعدة ضد اعتداءات ايران وهم كل من الوزير احمد باشا والي بغداد فاتح همدان سنة ١٧٢٤ م، وكان شخصية غربية الاطوار في مواقفه التاريخية وعلاقاته السياسية. والصدر الاعظم السابق طوبال عثمان باشا ابن تركيا، وقد خلص العراق من براثن نادرشاه في حملة الاخيرة على العراق سنة ١٧٣٣ م. ثم الوزير الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل وابنها، وهو الذي خلصها من نادرشاه في حصار الاخيرة لها - وهو ما سيعالجه هذا البحث في فصله الثالث -، وذلك اثناء حملة نادرشاه الكبرى على العراق سنة ١٧٤٣ م. اضافة الى جهود هذا السامي السابقة على النحو الذي رأينا سلفاً، في صده لحملة تركرخان الايرانية عن الموصل ومشاركته بغداد والامبراطورية ضد ايران.

٤ - كان العراق خلال هذه الحقبة التاريخية المتواصلة حتى انتصار الموصل في ساحته الجغرافية قد شغل ميداناً حقيقياً للصراع عبر منافذه الشرقية، وقد تمثل ذلك بغارات الحدود... الحرب المنظمة، حصارات مدنه الكبرى... الحرب الاقتصادية واستنزاف طاقاته البشرية وموارده الطبيعية والسيطرة على انهاره ومسالكه التجارية واطرافه ونجومه. رغم الفجوات الزمنية التي عاش خلالها في ظل علاقات دبلوماسية محمومة ومتوترة.

٥ - ثبات ورسوخ الحدود الشرقية - القديمة للعراق، واعتراف ايران رسمياً بها لعدة مرات - على النحو الذي رأينا -، وتعتبر الفواصل الطبيعية من امتدادات الجبال الشاهقة هي الحدود بين كل من الدولتين... ويدخل ضمن الحدود كمناطق عراقية كل من: قصر شيرين - كركند - درنة - زهاب (زهاب) - ساربولي زهاب وامتداداتها جنوباً في المناطق البختيارية والعربية شرقي شط العرب. وقد اشتهرت هذه الحدود سياسياً ومن خلال المعاهدات بحدود السلطان مراد الرابع بعد الفتح العثماني الثاني للعراق سنة ١٦٣٨ م.

٦ - نكت ايران للمجهود والمواقف الدولية قد اصبح امراً مألوفاً، وبدون اسباب حقيقية كما يتراعى ذلك للمؤرخ ولأن يعني بجلود العلاقات السياسية بين دول المنطقة. وقد رأينا ذلك متمثلاً بما انتهت اليه الاتفاقات التي جرت عام ١٧٢٧ م بعد الحرب الايرانية الشرهة عام ١٧٢٣ م / ١١٣٦ هـ. ثم اتفاق عام ١٧٣٢ م الذي انتهى الى توقيع معاهدة ١٧/١٠/١٧٣٦ م، والغائها

من قبل نادرشاه في اعلانه لمطالبه السياسية وشروطه التعجيزية امام البلاط
العثماني.

٧- شغلت بغداد اهمية سياسية كبيرة حتى حصارها من قبل الايرانيين عام
١٧٣٣ م.. اذ ادت تطورات الاحداث لأن تزداد الاهمية السياسية للموصل
اضافة لما كانت تحتله من مكانة اقتصادية - عسكرية، وعلى الاخص بعد
صدّها لحملة نركزخان الايرانية عليها عام ١٧٣٢ م، وتوثق ارتباطها
بالسلطة المركزية، واستقرت ادارياً في السنوات الاولى من الحكم المحلي
لها.. في وقت تضامل موقف بغداد بعد نقل واليها الوزير احمد باشا منها
وذلك لمواقفه المتأرجحة في خلفة الصراع الدائر وزحمته الحربية وعلى الاخص
من طربال عثمان باشا، ثم رجوع هذا الوالي واسترداد مكانته السياسية
العالية.

٨- حل العراق على كامله خلال هذه الفترة معظم الاحداث الجسام لمنطقة
الشرق الادنى.. وكانت طبيعة تلك الاحداث التاريخية تسير بديناميكية
متطورة تارة ومتكسة اخرى في خط تراكمي يعج بالتحديثات السياسية
والعسكرية والاقتصادية منذ عشرينات القرن الثامن عشر نحو المواجهة
الكبرى مع ايران والتي مثلها حصار الموصل في الاربعينيات منه، وقد مثل
الحصار المذكور - كما سنرى - اعل درجات الحسم في سلسلة تطورات
الصراع العثماني - الايراني من طرف، كما وكان آخر اعمال نادرشاه الجبارة،
من طرف آخر، رغم فشله المريع، هذا اذا علمنا بأن الحملة الايرانية الكبرى
لنادرشاه التي قادت الى حصار الموصل تعد اعق واعظم حملة ايرانية قادها
نادرشاه خلال حياته، وعرفها العراق خلال تاريخه الحديث.

٩- تعدد الاسباب وتشابكها وتنوعها والتي قادت الى تجريد نادرشاه لحملة
الكبرى على العراق سنة ١٧٤٢ - ١٧٤٣ م.. تلك الاسباب المباشرة وغير
المباشرة التي تبدأ بصورة فعلية بعد اندحار السردار عبدالله باشا الكورلي
قائد جيوش اقاليم الشرق امام نادرشاه قرب اريفان عاصمة ارمينية سنة
١٧٣٥ م / ١١٤٧ هـ. ولم تقتصر الاسباب التاريخية أو حتى الشروط
التعجيزية لنادرشاه على الطابع الديني والمنحى المذهبي، بل شملت قضايا
سياسية واقتصادية ثم الاطماع المتأصلة بجغرافية المنطقة والسيطرة العسكرية
على اهم الاقاليم والتخوم والمسالك، وما لحق ذلك كله من عطل في
الدبلوماسية، وياقت جهود السلام بين الطرفين العثماني والايراني بالفشل،

عما أدى لأن يثور نادرشاه حملته وبدأ بالزحف على العراق، وسنجد وقفة الشعب العراقي كاملاً ضد نادرشاه وأطماعه السياسية الكبرى.

(ملاحظات ونقادات)

1 — Von Hammer—Purgstall, *der Osmanischen Reich*, Band 4, Wien 1828, P. 594.

2 — Ibid.; see also:

عباس العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٤، بغداد ١٩٣٥، ص ١٨٣.
ياسين الخطيب العمري، زينة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية، انتخاب الدكتور دلال الجليلي، تحقيق الدكتور عماد رؤوف، النجف ١٩٧٤، ص ٦٥.

4 — Hammer, op. cit., 4, PP. 594—97; see also (Islam Ansiklopedisi, Cilt 7, P. 297); (ومعلومات متفرقة من مخطوطة عالم أراي.)

وانظر (ابراهيم بجوي، تاريخ... استانبول ١٧٨٣ هـ، ج ٢، ص ١٠٦٦).

٥ - زينة... ص ٦٥.

٦ - محمد أمين الخطيب العمري، منهل الأولياء ومشرب الأصفياء في سادات الموصل الحدياء، تحقيق المؤرخ سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٦٧ ج ١، ص ١٣٦.

٧ - ع. العزاوي، المصدر السابق، ج ٤، ص ١٨٣.

٨ - ياسين الخطيب العمري، الدر المكنون في الآثار الماضية من القرون، (مخطوط) نسخة (Paris) من الكتاب الأول - (مربيات رقم ٤٩٤٩)، ورقة a 252.

٩ - عن تفاصيل فتح السلطان مراد الرابع لبغداد عام ١٦٣٨ م. راجع:

Hammer, op. cit., Band 4, P. 596; Lorimer, Gazetteer of the Arab Gulf, I, (Historical Part), IB, Holand 1970, PP. 1183—5; S.H. Longrigg, Four Centuries of Modern Iraq, Oxford 1925, PP. 68—74.

١٠ - ياسين الخطيب العمري، منية الأدياء في تاريخ الموصل الحدياء، تحقيق المؤرخ سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٥٥، ص ١٧٤.

١١ - المصدر نفسه، ص ١٧٤.

١٢ - الزينة... ص ٧١.

١٣ - ع. العزاوي، المصدر السابق، ج ٥، ص ١٠٧. ومن الجدير بالذكر أنه، خلال هذه السنة اجتاحت الموصل موجة غلاء وقحط شديد. انظر، الزينة... ص ٧٣.

14 — Percy Kemp, Mosul and Mosuli Historions *et al* 1834 era (1726—1834), —Ph. D. thesis—Oxford Bodilian Library, P. 56.

15 — Ibid.

١٦ - فصل ذلك المؤرخ فون هامر باعتماده على المصادر التركية. انظر (Hammer, op. cit., I, 201).

17 — Longrigg, op. cit., P. 113;

وانظر ما ذكره د. عماد عبدالسلام رؤوف في: الموصل في العهد العثماني - فترة الحكم المحلي -، النجف ١٩٧٥، ص ٣٣، ملاحظة رقم (١) نقلاً عن، مرتضى نظمي زاده، كلشن خلفاء، ٩٤ ب. وراجع تفاصيل الفترة التلويغية عند الشيخ عبدالرحمن السويدي، حديثة الزوراء في سيرة الزوراء (تاريخ بغداد)، تحقيق الدكتور صفاء خلوصي، بغداد ١٩٦٢. ونشر الاثري القسم الخاص بحضار بغداد، راجع: ذرائع العشييات... بغداد، ١٩٨١.

18 — Halil Inalcik in his artical, "The Ottoman Economic Mind and Aspect of the Ottoman Economy", Journal titled, Studies in the Economic History of the Middle East, ed. by M.A. Cook, London 1970, P. 213.

19 — Longrigg, op. cit., P. 3; also, Robert W. Olson, The Seige of Mosul and Ottoman—Persian Relations 1718—1743, Indiana University 1975, Chap. titled "The Strategic Import- of Mosul", PP. 11—12.

20 — E. Monroe, The East, (Survey), London 1954, P. 256.

21 — Kemp, op. cit., P. 56; also,

د. عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ٢٩٨.

22 — Ibid.

٢٣ - انظر خريطة ولاية الموصل في الكتاب الجغرافي - التاريخي المتخصص: D.E. Pitcher, An Historical Geography of the Ottoman Empire from the earliest times to the end of the sixteenth century, Leiden—Brill 1972, Map No. (XXXII).

٢٤ - العوامات أو الاكلاك، هي السفن الصغيرة المصنوعة من الجلود المنفوخة. راجع اهميتها وتفاصيل عنها عند الرحالة كرسنيان نيبور في كتابه الشهير:

C. Niebuhr, Reisebeschreibung nach Arabian und andern — Umliegende, Landern 1908, vol. 2, PP. 286—89; also, Journal of the American Oriental Society (JAOS), second vol., New York—London 1851, P. 113.

- 25 — John Ussher, *London to Pesopolis, including Wanderings in Daghestan, Georgia, Armenia and Persia*, London 1865, —the last chap. —PP. 196 —.
- ٢٦ - راجع الفهرس الجامع للمؤرخ الموصل الشهير ياسين العمري لاسماء القرى والتوايع لمركز الموصل وولاياتها واطرافها مع تخصص في بعض معلوماته في كتابه عن تاريخ الموصل المحلي، (المنية . . . ص ١٢٨ - ١٦٨).
- ٢٧ - عن الخصائص الاقتصادية - الزراعية، ووصف المنطقة. راجع: (JAOS), op. cit., second vol., PP. 106—112.
- ٢٨ - استنتاجات من تحليلات جغرافية متنوعة.
- 29 — *The Encyclopaedia of Islam*, I ed., vol. III, (مادة نادرشاه), P. 810.
- ٣٠ - ميرزا مهدي خان امير آبادي، جهانكشاي نادري، باهتمام سيد عبدالله انوار، مهران ١٣٤١، جاب يمين، ص ٤٢.
- 31 — Sir P. Sykes, *A History of Persia*, London 1930, vol. II, P. 247.
- 32 — Ibid.
- 33 — J. Fraser, *The History of Nadir Shah*, London 1742, PP. 24—31.
- 34 — Ibid., also, Sykes, op. cit., vol. II, P. 248.
- ٣٥ - ما توصل اليه المؤرخ سابكس، ومن المحتمل انه قد اطلع على هذه المصادر. (Sykes, op. cit., vol. II, P. 248). انظر:
- 36 — L. Lockhart, *Nadir Shah*, London 1938, P. 64.
- 37 — Ibid.
- ٣٨ - اعتمدت في كتابتي لهذا المجلد التاريخي المتعاقب لسني التطور السياسي والاحداث الكبرى التي اقتضت كل حدث فيها سنة من حياة نادرشاه السياسية والعسكرية على المصادر التالية:
- The Ency. of Islam*, op. cit., vol. III of the first addition, PP 810—812; انظر ما يختص بالعلاقات العثمانية في الانسكلوبيديا التركية
- Islam Ansiklopedisi*, 9 Cilt—in progress, (مادة نادرشاه), Istanbul 1964, PP. 21—31; also, W. Jones, *History of the life of Nadir Shah, King of Persia*, London 1773,
- وهو الكتاب الذي اوجزه صاحبه بالانكليزية عن ترجمته الافرنسية الموسومة: (*Histoire de Nadir Chah*, London 1770; also, Shaik Ali Hazin, *Ta'rikh—i Ahwal*, ed. [] transl. by Belfour, London 1831, PP. 162—282.

- إضافة الى كتابات كل من فريزر وسايكس ولوكهارت
 ٣٩ - يخطئ المستشرق (V. Minorsky) في مقاله عن نادرشاه في الانسكلوبيديا الاسلامية
 عند ذكره ان اغتيال نادرشاه جرى في ٢٠ حزيران / ١١٤٧ م؟، والصحيح هو (سنة
 ١٧٤٧ م). انظر وقارن:
 The Enc. of Islam, 1st. ed., vol. III, P. 813.
 ٤٠ - تفاصيل هذه المعلومات التلويجية في المذكرة الرسمية - الجغرافية (بالانكليزية)، تحت
 عنوان IRAQ الصادرة في شهر سبتمبر ١٩٤٤ م (Naval Intelligence Di- vision ———) London, P. 257. (Survey book).
 41 — Mortimer Durand, Nadir Shah, London 1908, P. 76.
 وانظر وجهة النظر الايرانية لمسبات استفحال الصراع عند: (ابو تراب سردادور)،
 تاريخ نظامي وسياسي، دوران نادرشاه الفشار، تهران — (بالفارسية).
 ٤٢ - تفاصيل تاريخية متخصصة عن حكم السلطان محمود الاول في الانسكلوبيديا
 التركية:
 Islam Ansiklopedisi, vol. 7 in progress, Istanbul 1955—7, PP.
 158—165, (مادة محمود الاول).
 ٤٣ - عن تفاصيل حركة العصيان الانكشاري وعلاقتها السياسية في احداث الشرق الادنى.
 R. Olson, op. cit., Chap. IV, PP. 89—108. راجع:
 ٤٤ - عن تفاصيل معاهدة (كارلوفتش Karlowitz). انظر:
 Artical titled "Ottoman Diplomacy at Karlowitz" in (JAOS),
 87, No. 4, (Oct.—Dec. 1967), PP. 498—512.
 45 — S. Shaw, History of the Ottoman Empire and Modern
 Turkey, vol. I, Cambridge 1976, PP. 244—5.
 46 — Ibid.
 ٤٧ - عن معاهدة بلغراد الشهيرة، مفاوضاتها وبنودها الاستراتيجية. انظر:
 Uzuncarsli, Osmanli Tarihi, vol. 4, Pts. I, Ankara 1956, P. 290;
 see also, Shaw, op. cit., vol. I, P. 245.
 48 — Longrigg, op. cit., Chap. No. VI titled "Battles of
 Giants", PP. 123—162.
 49 — Ibid.,
 وانظر صفحات متعددة من كتاب السويدي المذكور سلفاً عن تفاصيل نشوء ورسوم
 حكم الوزير حسن باشا لبغداد.
 ٥٠ - د. عماد ع رؤوف، المرجع السابق، ص ١٨١. وانظر:
 R. Kemp, op. cit., PP. 121—7; also, R. Olson, op. cit., PP.
 168—9.

51 — Karl K. Barbir in his Introduction of the book titled: Ottoman Rule in Damascus 1708—1758, U.S. of America, Princeten Univ. 1980, PP. 3—10.

٥٢ - علي اميري، تذكرة شعراء آمد - بالتركية - مطبعة أمدي ١٣٢٧، عدد (٤)، ص ٢٦٠ - ٢٦٥. ومن الجدير بالذكر بأن المؤلف هو دفتردار حلب الاسبق، ثم مؤسس المكتبة الوطنية.

53 — Kemp, op. cit., P. 127.

٥٤ - ياسين الخطيب العمري، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، طبعه علي البصري مع تعليقات علي الهامش خارجة عما لآداب النشر من اصول، كتبها احد الادباء الذي لم يذكر الناشر البصري اسمه، بغداد ١٩٦٨، ص ١٧٦.

■ - السويدي، المصدر السابق، ص ٢٦ - ٣١.

■ — Cambridge History of Iran, ed. by W.B. Fisher, vol. 1, Cambridge 1968, P. 323.

57 — Sykes, op. cit., vol. II, P. 258.

58 — Islam Ansiklopedesi, vol. 7, op. cit., P. 158.

59 — Longrigg, op. cit., P. 130.

■ — Ibid.

٦١ - السويدي، المصدر السابق، ص ٩٤.

■ — Olson, op. cit., P. 49.

(نقلًا عن تاريخ كوجك زاده جلي)

وانظر كتاب: رسول حاوي الكركوكلي، دوحة الوزراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمة عن

التركية موسى كاظم نورس، بيروت -، ص ١٨.

٦٢ - د. عماد ع رؤف، المرجع السابق، ص ٩٦. (نقلًا عن تاريخ الكوراني).

٦٤ - وصل خطي - همايون البلاط العثماني الى الوزير احمد باشا يأمره فيه ان يستمر في عملياته

الحربية ويحافظ على المكتسبات التي حصلها والده، وان يحافظ ايضاً على وحدة الجيوش

الانكشارية. انظر: Olson, op. cit., P. 50.

٦٥ - لقد استغرق حصار همدان ٨٥ يوماً. انظر: (Ibid.) ويتابع المؤرخ (اولسن) نقولاته

بالقول ان اسطنبول احتفلت على مدى ثلاثة ايام اترفع همدان الايرانية. (نقلًا عن

خوجه زاده جلي).

■ — Hammer, op. cit., 7/318.

67 — Longrigg, op. cit., P. 132.

٦٨ - غاية المرام... سبق ذكره، ص ١٧٩.

٦٩ - انظر بخصوص المفاوضات السياسية، ونود هذه المعاملة. راجع

Hammer, op. cit., 7/318—19.

٧٠ - غاية المرام . . . ص ١٧٩ .
٧١ - انظر تفاصيل حركة وتصاعد النفوذ العسكري - القبلي لنادر كولي في كتاب (الاستر آبادي المذكور اعلاه، الفصل الاول).

72 — Sykes, op. cit., vol. 2, P. 259.

٧٣ - لقد تدهورت الجيوش الافغانية وقتل اشرف خان قرب شيراز، وذلك في Olson, op. cit., P. 55. راجع: ١٧٢٩/١٢/٢٤ م.

٧٤ - نجد التفاصيل المحلية والاقليمية عن هذه المرحلة من تاريخ افغانستان عند تأمة احمد شاه بابا، بنام سلطان مصطفى ثالث عثمانى، تعليق وتحشية، غلام جيلاني جلالي، افغانستان كابول ١٣٤٦ ش، دولتي مطبعي، ص ٨٢-٩٢، (بعض التعليقات من وجهة نظر ايرانية متطرفة).

75 — Longrigg, op. cit., P. 135.

76 — W. Jones, op. cit., P. 32.

77 — Hammer, op. cit., 7/381—3; also, Longrigg, op. cit., P. 135.

٧٨ - راجع الترجمة الوافية لحياة والي الموصل الجليلي الحاج حسين ياشا التي كتبها الدكتور سليم النعيمي في هوامش تحقيقه لكتاب محمد بن مصطفى الغلامي الموسوم، شمامة العنبر والزهر للعنبر، بغداد ١٩٧٧، الملاحظة رقم (٢)، هوامش صفحات ٨٨ - ٩٠، وقارن الدوحة. . . المذكورة سابقا، ص ٢٧ مع الشمامة المذكورة اعلاه، الهوامش نفسها.

79 — Longrigg, op. cit., P. 136, (نقلًا عن الاصل صبحي)، see also, Olson, op. cit., P. 90.

تقع كوريجان Kurijan، شمال همدان بنحو عشرين ميلاً.

٨٠ - راجع نص فرمان العثماني عند تاريخ صبحي (الرواية الاصلية):

Subhi Tarih, published in Istanbul 1198 A.H. 1783—4 A.D., PP. 50—51.

81 — Ibid.. (نقلها هامر عن صبحي، ونقلها لونكريك عن هامر، انظر:)

(Longrigg, op. cit., P. 68.)

وراجع التحليل التاريخي للمعلومات الجديدة التي حصلها اولسن عن المعاهدة نقلًا عن وثائق (Kinnoul): وهي رسائله المؤرخة في ١٣/١/١٧٣٣ م.

٨٢ - خلع الشاه طهماسب بعد ايام من وصول نادر قسولي خان الى اصبهان في ٢٥/٢/١٧٣٢ م، (Olson, P. 93). وكان ولده عباس ميرزا يبلغ من العمر ثمانية اشهر، (Lockart, P. 13). في حين يذكر هامر ان عمره كان يبلغ اربعون يوماً، (Hammer, 7/424).

83 — W. Jones, op. cit., P. 41; also, Hammer, op. cit., 7/424—25.

■ — Longrigg, op. cit., P. 137.

■ — Muhammad Ali Hikmat, *Essai sur l'Histoire des Relations Irano-Ottomanes de 1722—47*, Paris 1937, P. 92—3;

وفي الكتاب نقاشات طويلة عريضة حول علاقات كل من الدولتين... تلك العلاقات المرتبطة بالفلسفة الدينية والامور السياسية لكل منهما.

٨٦ - لقد بدأت عمليات حرب نادر قولي ضد العراق منذ سنة ١٧٣٢ م، ولكن بصورة متفرقة، وخصوصاً في اصفاع شمال العراق. انظر:

(Hammer, op. cit., 7/425)

87 — Jones Hanway, *The Revolutions of Persia Containing the History of the Celebrated Usurper Nadir Kouli*, vol. 2, P. 75.

■ — Ibid., vol. 2, P. 76; / وقد نقل عنه المؤرخ لونكريك ذلك
cf. Longrigg, op. cit., P. 139.

٨٩ - ياسين العمري، مخطوط (الدر المكنون...)، نسخة (Paris)، ورقة 307a.

٩٠ - المخطوط نفسه، وانظر تفاصيل أكثر من المعلومات في (الدر المكنون...) نسخة (Brit- ish Museum) المرقمة (Add 23312) ورقة 307a.

٩١ - تفصيلات محلية عن حركات نادر كولي الحربية في المعلومات التاريخية التي كتبها احد شهود عيان الاحداث في هوامش احدي المخطوطات السريانية وقد عرّبها ونشرها دير توميس صانقيان في مجلة (لغة العرب) العراقية، عدد (٧)، سنة ١٩٢٩ م، ص ٣٧٩ - ٣٨٢. ثم اعاد تعريبها ونشرها مؤخرًا الاب د. بطرس حداد في مجلة (يون النهرين) الموصلية، العدد (٣٣)، الموصل ١٩٨١، ص ٩١ - ٩٩، وقد اعتمدت المرجع الاخير.

٩٢ - المرجع نفسه، ص ٩٤.

٩٣ - المرجع نفسه، ص ٩٥.

٩٤ - علي اميري، المصدر السابق، ص ٢٦١؛ وانظر نسخة (Paris) من مخطوط (الدر المكنون...)، ورقة 294a.

٩٥ - ان التاريخ الفجري ١٥ / شوال / ١١٤٥ هـ يقابل بالميلادي ١١ / نيسان / ١٧٣٣ م، ويخطئ المؤرخ اولسن بجعله اياه ٣١ / آذار / ١٧٣٢ م (cf. Olson, P. 95) اما المؤرخ سليمان صايغ فانه يخطئ بذكره ان الهجوم على الموصل قد جاء بعد سقوط بغداد والعكس هو الصحيح اي قبل حصار بغداد بوقت طويل، والخطأ الآخر الذي يقع فيه صايغ ان الهجوم الايراني على الموصل قد وقع سنة ١٧٣٢ م. انظر (سليمان صايغ، تاريخ الموصل، ج ١، القاهرة ١٩٢٤ م، ص ٢٥٧).

٩٦- المنهل، ج ١، ص ١٤٧؛ سالنمة الموصل، ١٣١٠ عربي، بالتركية، ص ٢٦٩؛ صايغ، تاريخ، ج ١، ص ٢٧٦؛ اميري، المصدر السابق، ص ٢٦١. وانظر: Olson, op. cit., P. 95.

٩٧- المصادر المذكورة اعلاه، علماً بأن كلاماً من المؤرخين هامر ولوكهارت يخطئان في ذكرهما ان قيادة جيوش الاطراف على كل من الموصل وكركوك كانت تحت قيادة نادر كولي نفسه (cf. Hammer, 7,427 with Lockhart, P. 64.)

٩٨- قصر علي قدوم: هو القصر الذي بناه والي الموصل علي كدوم سنة ١٠٩٨ والذي تولى الموصل مرتين، وينحدر هذا الوالي العربي من قبيلة طي، ويعرف عند الباب العالي بـ (عرب علي باشا) وقد اشتهر قصره هذا بـ (الايوان)، وموقعه في الميدان الذي يقوم في منطقة الفزلاني العالية على الناحية الجنوبية من الموصل والمطلّة على حلوي الموصل الذي يقوم عليه مطار الموصل اليوم. راجع عن عمليات هذا الوالي في مخطوط (الدر المكنون)، نسخة (Paris)، ورقة 284a، ايضاً، المنية، ص ٧٧. ولقد ذكر محققها الديوه جي: ان ابا علي قدوم كان من ربيعة وانه - اي الوالي - قد توفي سنة ١٠٨٥ هـ، (المنية، ص ٧٧، ملاحظة رقم ١)، في حين نعلم انه من طي. وقد تولى الموصل مرة اولى سنة ١٠٩٦ هـ، وتولاهما ثانية سنة ١٠٩٨ هـ، وتوفي سنة ١١٠٨ هـ. (مخطوط قرة المجهين، لياسين العمري 21b - Ali Pasha Arabci; Islam Ansik-lopedisi, I. Cilt — Istanbul 1941, PP. 324—25).

٩٩- المنهل، ج ١، ص ١٤٧؛ اميري، المصدر السابق، ص ٢٦١. وانظر Olson, op. cit., P. 95.

١٠٠- المنهل، ج ١، ص ١٤٧؛ سالنمة الموصل، المذكورة اعلاه، ص ٢٧٠. ايضاً. Olson, op. cit., P. 95.

101 — Ibid.

102 — Hammer, op. cit., 7/427—8; Olson, op. cit., P. 104; also (دوحة الوزراء، ص ٣٨)

١٠٣- دكتور رضا زاده شفق، نادرشاه، سلسلة انتشارات انجمن التارنلي (٣٩) بالفارسية، اسفندماه ١٣٣٩، جاب تابان، ص ٩٤.

104 — Hammer, op. cit., 7/428.

105 — Ibid.; also, Longrigg, op. cit., P. 139.

١٠٦- ما ذكره المؤرخ ياسين العمري عن نهب الايرانيين لرسائيق ويساتين بغداد (زبدة، ص ٨٨)، وقارن (الدوحة، ص ٣٠). وانظر عن الاحوال الاقتصادية واسعار المواد الغذائية داخل اسوار بغداد في المعلومات السريانية التي مررنا بذكرها. (الرجع السابق، ص ٩٧) وانظر Longrigg, op. cit., P. 139.

107 — Longrigg, op. cit., P. 140.

108 — Olson, op. cit., P. 96.

١٠٩ - شغل الوزير التركي طوبال عثمان باشا المولود في اليونان، والمتخرج من كليات اسطنبول منصب الوزارة العظمى للامبراطورية خلال ١٧٣١-١٧٣٢. وانظر (Shaw, op. cit., vol. 2, P. 241).

110 — Olson, op. cit., P. 96.

وقد غادر طوبال عثمان باشا الموصل في ١٨ / حزيران / ١٧٣٢ م، وقد استغرق طريقه من الموصل حتى ارض المعركة ٣١ يوماً، فقد وقعت المعركة الفاصلة مع الايرانيين في يوم ١٩ / تموز / ١٧٣٢ م. انظر (Hammer, op. cit., 7/429—431).

111 — W. Jones, op. cit., P. 36.

نقلًا وترجمة لكتاب الاستريادي بالايروانية والمذكور اعلاه، قارن ص ٢٠٩. وقد نقل لونكريك عن جونز المعلومات ذاتها.

١١٢ - الزبدة... ص ٩٠، ولقد ذك ذلك المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٧.

١١٣ - هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٧.

١١٤ - شرح تفاصيل ذلك التكتيك العسكري، المؤرخ لونكريك نقلًا عن علمر انظر:

Longrigg, op. cit., P. 141.

١١٥ - يذكر المؤرخ ياسين العمري بأن المعركة قد وقعت في مكان يقال له (العظيم) من نواحي شهرزور (مخطوط الدر المكنون، نسخة (Paris) ورقة 294b). ومن المحتمل ان الموقع بالضبط كان عند ملتقى نهر العظيم بدجلة. والذي يبعد ١٥ ميلا جنوب بلد. ويختلف بعض المؤرخين في تحديد موقع المعركة ومنهم المؤرخ فون هامر (Hammer, op. cit., 7/431) ويذكر محمد امين زكي ان المعركة وقعت عند مصب (نهر الادهم) في دجلة. انظر (محمد امين زكي، تاريخ الكرد والكردستان، القاهرة، ١٩٣٦، ص ٢٢٧).

116 — Hammer, op. cit., 7/430; — also, Longrigg, op. cit., PP. 141—2; Islam Ansiklopedisi, Cilt ■ in Progress, (مادة مدينة بغداد), P. 207.

117 — Ibid., see also, Mary Lucille Shay, The Ottoman Empire from 1734, Reprinted in New York 1978, PP. 144—5

118 — Ibid.

119 — Ibid.

120 — M.A. Hikmat, op. cit., P. 126.

121 — Tarih Subhi, op. cit., P. 206

122 — Ibid.

١٢٢ - يذكر تقرير (Nicodene) الذي يورده هامر بأن حامية بغداد قتلت ثمانية آلاف جندي فارسي، ويتابع لونيكرنك ذلك بالضبط عن هامر (cf. Longrigg, op. cit., P. 143, with Hammer, 7/432) ويغطي المؤرخ اولسن في ملاحظته عن ذلك من خلال مقارنته فقد ذكر قاتلاً ديان تقرير (Nicodene) قد بلغ العدد عنده ستة آلاف قتيل وثابته بذلك لونيكرنك. انظر (Olson, op. cit., P. 50, n. 111). في حين يبلغ المؤرخ لوكهارت في ذكره ان حامية بغداد قتلت اثني عشر الف فارسياً. انظر (Lockhart, op. cit., P. 74).

١٢٤ - هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٧.

١٢٥ - تحرك الوزير طوبال عثمان باشا نحو مدينة بغداد الجريحة بعد خمسة ايام من انتصاره الكبير فقد دخلها يوم ٢٤ / تموز / ١٧٢٣ م، وهو يحوي مستقبله بتواضع شديد. (Hammer, op. cit., 7/430)

126 — Ibid.

١٢٧ - هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٨، والذي يذكر بأن فترة بقاء طوبال عثمان باشا ببغداد هي ثلاثة ايام فقط.

128 — Hammer, op. cit., 7/426.

١٢٩ - يذكر المؤرخ هامر معتمداً على تقرير (Nicodene)، بأن عدد قتل المجاعة داخل اسوار بغداد قد بلغ ١٢٠ الفا من البشر. انظر: Ibid., P. 428; also, Han-way, op. cit., 2/36.

١٣٠ - رميت اكثر من عشرين الف جثة في نهر دجلة من قتل المجاعة الطاحنة في بغداد. انظر (Ibid)، ايضاً كتاب المؤرخة الامريكية ميرى لوشل شاي في تفصيلاتها عن هذه الحوادث، (Shay, op. cit., P. 145)

١٣١ - هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٨.

132 — A. Hikmat, op. cit., P. 129.

١٣٢ - انظر: دوحة...، ص ٣٥، زبدة...، ص ٩٠، التي يشرح صاحبها المؤرخ ياسين العمري في مخطوطه الكبير (الدر المكنون) بأن الوالي احمد باشا قدم نصيحته الى طوبال بتسريح الجيوش نظراً لقدم الشتاء وعليهم بالرجوع اليه بعد اقتضائه فتفرقت الجيوش الى الاقاليم والانحاء والتخوم البعيدة. انظر (الدر المكنون...، نسخة Brit. Mus.)، ورقة (317b).

١٣٤ - يذكر لونيكرنك ان طوبال عثمان باشا بعد ان زار بغداد بقي مستريحاً ثمانية ايام قربها قبيل مغادرته نحو الشمال (Longrigg, op. cit., P. 143)، ولكن معلومات كركوك السريانية، والتي تعتبر اقرب المصادر الى الحدث تذكر بأن وصول طوبال باشا الى كركوك كان في ٢٧ / تموز، اي بعد ثمانية ايام من المعركة بالذات. انظر (هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٧٨) من هنا نعلم بأن طوبال باشا زار بغداد واستراح بعد ذلك ٨ ايام فقط.

١٣٥ - زحف طوبال باشا بمن تبقى من جيشه الانكشاري مع الوحدة العسكرية - المصرية (زيلة... ص ٩٠)، والبالغ ٥٠ الفاً، (Hammer, 7/433). ويذكر ياسين العمري بأن الفرقة المصرية قدمت الى الموصل ثم التحقت بطوبال في كركوك (الدركتون... نسخة (Brit. Mus)، ورقة 317b.

136 — Longrigg, op. cit., P. 144.

137 — Ibid., see also, M.L. Shay, op. cit., P. 146.

١٣٨ - يخطئ المترجم جعفر خياط في مقابلته للسنة ١٧٣٣ م، في ترجمته لكتاب لوندريك، ويجعلها سنة ١١٤٢ هـ، في حين انها تقابل ١١٤٦ هـ، الترجمة الموسومة اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث؛ بغداد ١٩٦٢، ص ١٤٣.

١٣٩ - عن هامش المعلومات السريانية، المرجع السابق، ص ٩٩.

١٤٠ - مخطوط (الدركتون...)، نسخة (Paris)، ورقة 294b.

١٤١ - مخطوط (الدركتون...)، نسخة (Brit. Mus)، ورقة 318a. ويذكر مؤلفها بأن الفرقة المصرية قد ابيدت عن آخرها كونها من المشاة.

١٤٢ - المخطوط نفسه، ورقة 318a. وانظر (Shay, op. cit., P. 147) ويبدو خطأ ان الوزير عبدالله باشا الكوبرلي قد كان على رأس قواته المصرية اثناء المعارك التي خاضها طوبال باشا، فقد ذكر المؤرخ ياسين العمري ذلك، ولكنه خلط في نهاية الامر ذاكراً بأن كلا من الوزيرين طوبال والكوبرلي قد قتل في المعركة الاخيرة. (الدركتون...، نسخة (Brit. Mus)، ورقة 318a)، علماً بأن الوزير الكوبرلي قتل في معركة اخرى سنائي عليها، انظر: E.S. Creasy, History of the Ottoman Turks, Beirut 1961, PP. 352—53. (نقل كريسبي معلوماته عن هانوي، وقد ألف كتابه اعلاه في القرن التاسع عشر).

١٤٣ - مخطوط (الدركتون)، نسخة (Paris)، ورقة 295a.

144 — Olson, op. cit., P. 97.

145 — Longrigg, op. cit., P. 146.

١٤٦ - ادناه - بايجاز - مضامين بنود المعاهدة العراقية - الايرانية، والتي استغرقت مفاوضاتها الاخيرة للفترة ٩ - ١٩ / ديسمبر / كانون اول / ١٧٣٣ م.

١ - اعادة الحدود العراقية القديمة لسنة ١٦٣٩ م.

٢ - اطلاق سراح الاسرى بين الطرفين اضافة الى مبادلة المدافع.

٣ - يسمح للايرانيين زيارة العتبات المقدسة قرب بغداد دون دفع اية ضريبة للموظفين العثمانيين.

لغرض التوسع في تفاصيل المعاهدة ومفاوضاتها وينودها، ارجع الى:

Uzuncarsili, op. cit., vol. 4, PP. 226—7; Hammer, op. cit., 7/434—6; Lockhart, op. cit., P. 75; Olson, op. cit., P. 96.

147 — Ibid.

- ١٤٩ - مخطوط (الدر المكنون)، نسخة (Paris)، ورقة 295a.
- ١٥٠ - نسخة المخطوط نفسها.
- ١٥١ - نسخة المخطوط نفسها.
- ١٥٢ - د. عماد عبدالسلام رؤوف، المرجع السابق، ص ١٠٢.
- 153 — The Ency. of Oslam, ■■■ ed., III, P. 811.
- 154 — Ibid.; and details about ■■■ see, Brosset, Histoire de ■■■ Georgia, II/1, Chap. titled "Nadir in Tiflis'e gelisi", PP. 129—136.
- ١٥٥ - لقد اتخذ نادر قولي هذا الموقع الاستراتيجي مركزاً له، اما الوزير الكوبرلي فقد توقف قرب اريفان الارمنية، عند سهل (بغاوارد) Baghaward، ويطل هذا المكان على نهر Arpacayi، انظر:
- Hammer, op. cit., 7/450—451; The Ency. of Islam, ■■■ ed. I ed., III, P. 811.
- ١٥٦ - علي اميري، المصدر السابق، ص ٢٦٥. وراجع التفاصيل التاريخية عند Ham-mer, op. cit., 7/459—460; Shay, op. cit., P. 146.
- ١٥٧ - علي اميري، المصدر السابق، ص ٢٦٥ - ٦. وانظر بهذا الخصوص جهود والي ديار بكر عبدالله باشا جنه جي المشتركة مع جهود الموصل.
- 158 — Uzuncarsili, op, cit., vol. 4, P. 230.
- ويذكر المؤرخ الامريكي (اولسن)، بأن السلطان المال الوزير الاعظم حكيم اوغلو اسماعيل باشا لانه كان السبب في اندحار السردار عبدالله باشا الكوبرلي في حربه الفاصلة ضد الابريانيين ويخطئ اولسن بتسمية الوزير الاعظم، إذ يسميه حكيم اوغلو ابراهيم باشا. انظر تحليل ذلك في: (Olson, op. cit., P. 98.)
- 159 — Islam Ansiklopedisi, 9/26.
- 160 — Olson, op. cit., PP. 98—9.
- 161 — Sykes, op. cit., vol. 2, P. 249.
- ١٦٢ - عقد نادرشاه معاهدته مع الروس بعد ان قولى سلطانه، وقد تضمنت المعاهدة ستة بنود قوية امنت مصالحه الكبرى في الامتدادات العليا. انظر:
- Olson, op. cit., PP. 99—100.
- ١٦٣ - تضمنت طاوله المفاوضات جدولاً من المقترحات الايرانية القوية وخصوصاً من الناحية الدينية، اوجزها كالآتي:
- ١ - تعيين امير حج ايراني اسوة بكل من الركب الشامي والركب المصري العربيين للحجيج.
- ٢ - الاعتراف بالمذهب الجعفري على انه المدرسة الخامسة في الاسلام.
- ٣ - تبادل الاسرى بين الطرفين.

٤ - تنصيب كل من الدولتين قناصلها الذين يسمون بـ «الشاه بندر» وذلك في كل من العاصمةين وإن على مساعد القنصل الإيراني أن يلحظ مع الحجاج الإيرانيين إلى مكة . . انظر تفاصيل ذلك عند:

Uzuncarsili, op. cit., vol. 4, P. 231; (Hammer, op. cit., 7/463—4).

وانظر بالفارسية من وجهة النظر الإيرانية كتاب: دكتور بهاء الدين بازاركاد، كرونو ثوري تاريخ إيران، تهران ١٣٤٥، ص ١٥٦ - ٧.

١٦٤ - لقد استغرقت المفاوضات أكثر من سنة بعد مصرع الكوبرلي اذ كانت آخر جلساتها قد افتتحت في ٣٠ آذار / ١٧٣٦ م، وقد انقضت في تاريخ ٢٤ / ايلول / ١٧٣٦ م، بعد عقد ثمان مؤتمرات . انظر:

Uzuncarsili, op. cit., 4/233; Olson, op. cit., P. 101; Islam Ansiklopedisi, 9/27—8.

١٦٥ - انظر فقرة (نادرشاه)، فصل (٢) من هذا البحث.
166 — Longrigg, op. cit., P. 148.

١٦٧ - انظر فقرة (نادرشاه)، فصل (٢)، من هذا البحث.
١٦٨ - محمد خليل المزادي، سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، بولاق ١٣٠١ هـ، ج ٢، ص ٢٣٧. ومن الجدير بالذكر بأن المؤرخ ياسين العمري قد ذكر هذه المعلومات سهواً ضمن مجريات عام ١١٥٥ هـ، قارن مخطوط «الدر المكنون»، نسخة (Paris)، ورقة 297a.

169 — Longrigg, op. cit., P. 148; also, Olson, op. cit., P. 118; details ■ Hammer, op. cit., 7/464—7.

170 — Ibid.

171 — Lockhart, op. cit., P. 224.

172 — Olson, op. cit., PP. 118—119.

173 — Ibid.

174 — Ibid., P. 119.

175 — A. Hikmat, op. cit., P. 152.

176 — Longrigg, op. cit., P. 149.

177 — J. Hanway, op. cit., vol. 2, PP. 176—7.

١٧٨ - التفصيلات لبدا المرحلة الجديدة في تهميد نادرشاه لحملته الكبرى على العراق وحصاره للموصل وانتصارها عليه ونتائج ذلك في القسم الثاني من هذا البحث بعد دراستنا لمقدماته ومعالجتنا التاريخية لتطور الاحداث.

الفصل الثالث

**الحملة الايرانية الكبرى على العراق
وحصار نادرشاه للموصل
سنة ١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ**

١ - العزل والاسباب التاريخية :

بعد دراستنا في الفصل الماضي الظروف التاريخية التي تطورت من خلالها العلاقات الدولية لمنطقة الشرق الاذن في السلم والحرب ، والاضاع السياسية التي كان عليها العراق بصورة خاصة ودول المنطقة بشكل عام . يمكننا ان نلخص الاسباب التاريخية التي قادت الى تحرير نادرشاه ايران لحملة الكبرى على العراق وحصاره للموصل :

(١) الاسباب غير المباشرة :

- ١ - عطل الدبلوماسية السياسية بين كل من الجانبين العثماني والايراني .
- ٢ - استفحال القوة العسكرية لنادرشاه ايران بعد الانتصارات الحربية التي حققها في كل من الهند وافغانستان وقوقاسيا وارمينية .
- ٣ - برود البلاط العثماني امام التهديدات الايرانية منذ ان حاقت الهزيمة الكبرى بالعثمانيين امام نادرشاه ايران والتي كان ضحيتها سردار الشرق العثماني الوزير عبدالله باشا الكوبري والي مصر سابقاً .
- ٤ - ازدياد حدة الاطماع الايرانية في السيطرة والتوسع على يد نادرشاه في اكتساحه العراق بصورة خاصة ، والشرق العربي وتركيا بصورة عامة سياسياً واقتصادياً واجتماعياً .
- ٥ - تعاظم القوة البشرية لامبراطورية نادرشاه ايران وانخراطها في ترسانة ايران الحربية تلك القوة البشرية التي جمعتها فصول قوميات واقلية متعددة استحوذ عليها نادرشاه من انتصارات حروبه في شرق وشمال ووسط وغرب امبراطوريته الايرانية .
- ٦ - هدوء الاوضاع السياسية الداخلية في ايران قبل قيادة نادرشاه لحملة الكبرى على العراق .
- ٧ - نضوب حدة التوتر السياسي والحربي بين ايران نادرشاه قبل قيادته لحملة الكبرى على العراق ، وبين الدول التي كانت تجاوره في الشرق والشمال ، وعلى الاخص روسيا .
- ٨ - توسع النفوذ الايراني في السيطرة على مياه البحار في كل من بحر قزوين والخليج العربي قاد نادرشاه لكي يتقدم بحملته للسيطرة على كل من منافذ البحر المتوسط والبحر الاسود ، ولا يتحقق ذلك الا بالسيطرة على العراق .

٩ - السيطرة على المسالك الاستراتيجية البرية والنهرية في العراق ليؤمن اتصالاته التجارية مع اوربا، تلك المسالك التي تعتبر حلقة الوصل الفعال بين كل من الشرق والغرب .

(٢) الاسباب المباشرة:

- ١ - عدم التفات السلطان العثماني لشروط نادرشاه ايران التمجيزية .
 - ٢ - التعاون السياسي - الدبلوماسي المشوب بالسر والخيلة بين كل من نادرشاه ايران وبين والي بغداد الوزير احمد باشا ابن حسن باشا .
 - ٣ - السيطرة على الموصل باعتبارها بوابة العراق والشرق، والنفاذ منها نحو الاناضول وبلاد الشام، وتنفيذ نادرشاه لوعده بأن يصل اسطنبول .
- ومن المفيد ان نذكر في هذا الباب، ان هناك فصلاً خاصاً عن علل الحرب واسبابها بين العثمانيين والاييرانيين في سنة ١٧٤٣ م، كتبه اوتيه (الفصل ٣٩) في الجزء الثاني من رحلته (ص ٣٥٨ - ٣٦٦) .

٢ - الزحف الايراني على العراق وموقف والي بغداد:

زحف نادرشاه بجيوشه الجواراة من ايران، ودخل العراق عبر مدخله الشرقي - الوسطي: قصر شيرين - مندلي بغداد، ^(١) وكانت مدينة بغداد تعيش في حالة اقتصادية رديئة نظراً للسياسة التي اتبعها واليها احمد باشا ابن حسن باشا بسيطرته على كافة وارداتها من البصرة ^(٢) . كما انها كانت تعيش حالة رعب وفرع لما ستؤول اليه اوضاع الحرب . ^(٣) في حين كان نادرشاه قد وصل اطرافها الشرقية وضرب حصاراً متباعداً عليها، وبدأت المفاوضات المطولة بين واليها ونادرشاه، وذلك عن طريق المراسلات المدينة. ^(٤)

ارسل نادرشاه قبيل اقترابه من بغداد رسالة الى واليها احمد باشا يخبره فيها انه يريد التعايش معه بتفاهم، وسوف لن يسمع لجيشه العظيم ان يقوم بأي عدوان على بغداد واطرافها، وان مرماه الوحيد هو الاستيلاء على الاماكن التي لا تخضع له، وان يمضي في انتصاراته في اراضي السلطان الكبير، ولانه صديقه فهو يسأله ابنة من بناته ليتزوجها، وخمسة اشخاص كرهائن. ^(٥) لقد كانت هذه المطالبات مدعاة سهلة لوالي بغداد كي يتداول امرها مع مستشاريه، ^(٦) وقرر ان يرسل

سليمان باشا (٧) وهو أحد مساعديه محملاً بالهدايا إلى نادرشاه، وبعد أيام أرسل سفارة أخرى يعلمه فيها أنه - أي والي بغداد - كوال لا يمكنه أن يتخذ أمراً، أو يعقد معاهدة دون استشارة الباب العالي، وأنه يسأله أن يعطيه مهلة لكي يكتب بذلك إلى البلاط العثماني (٨). ومن الغريب أن رسل بغداد كانت تقتل في الطريق (٩) إلى نادرشاه، ولما طال الوقت أرسل نادرشاه مرة أخرى إلى بغداد للحصول على رد إيجاب بتسليمه بغداد، وعندما وصلت رسله بغداد، احتفل بهم وإليها احتفالاً عظيماً، وأرسلهم مثقلين بالهدايا من ضمنها مائتا فرس من أجل الاصناف، وبرفقة ذلك جراب مجهول - على حد ذكر وثيقة القنصل الفرنسي في بغداد، والتي يتابع فيها القول من أن والي بغداد قد أَرْضَى بذلك نادرشاه (١٠) فقام الأخير بإرسال هدية نفيسة من الحجارة الثمينة إلى والي بغداد، (١١) ويتضح أن معاهدة قد وقعت بين الطرفين.

لقد تناقلت المصادر التاريخية، ذلك الجواب المبهم الذي أرسله والي بغداد مخاطباً نادرشاه «إذا أخذت الموصل فسوف أسلم لك بغداد، وأكون من التابعين المطيعين ومن رجالك ولا يلحقني بعد ذلك عتب من السلطان» (١٢) ويعتبر هذا القرار تكتيكاً خادراً لكسب الجولة على كلا الجانبين، فقد أرسل والي بغداد يناشد البلاط العثماني قائلاً أنه ما من أحد يستطيع إيقاف زحف الشاه الإيراني وصدّه إلا جيش إمبراطوري كبير وتحت قيادة الصدر الأعظم للإمبراطورية العثمانية بالذات. (١٣) أما نادرشاه فلقد استفاد من عمالة والي بغداد له في ضربه للموصل من أجل تحقيق خطته الاستراتيجية المادفة إلى فصل العراق كاملاً عن جسم الإمبراطورية العثمانية، دون شقه جغرافياً عن طريق بغداد، كما اعتمده التقليد العسكري للحملات الإيرانية السابقة على العراق، إذ تقود السيطرة على رأس العراق إلى وقوعه سريعاً من شماله حتى جنوبه تحت الوطأة الإيرانية الثقيلة، ويصعب عند ذاك تخليصه نظراً للظروف الصعبة التي كانت تعصف بالبلاط العثماني.

كان الطرف التاريخي مدعاة لأن يرسل والي بغداد وكيله محمد كشتاده بغداد برفقة حامية له إلى العاصمة استنبول، وقد مرّ هذا المندوب بالموصل والتقى بواليتها الحاج حسين باشا الجليلي، وقد ضُرح عن غاية سفره وشرح تفاصيل الموقف (١٤). ولقد كان طلبة التصريحات صدى توزع بصورة سريعة بين سكان

الموصل، ولقيت معارضة شديدة من قبلهم، اذ نزلوا افواجا الى الشارع الموصل
مطالبين برأس كتخداه بغداد، (١٥) ولقد تدخل والي الموصل وصنّهم بما
يليق، (١٦) وخفف حدة الموقف الذي كاد يؤدي الى ازمة سياسية بين كل من
حكومتى بغداد والموصل، وعادت الامور بعد ذلك الى مجاريها، ومراقبة الاوضاع
الخارجية المحيطة بالموصل ومضاعفة الجهود لصد الخطر الزاحف نحوهم..
ونخرج مبعوث بغداد من اسوار المدينة فاراً مع جماعته. (١٧) ويظهر جلياً ان هذا
المبعوث قد صرح بما قرره والي بغداد وافق عليه مع نادرشاه، مما دعا الى اثارة
تلك الغضب العاصفة بالموصل. (١٨)

بعد وصول هذا المبعوث الى العاصمة، وتقدمه رسائل والي بغداد الى البلاط
العثماني، عقد هذا البلاط اجتماعاً في ٢٤ حزيران ١٧٤٣ م / جادي الاولى
١١٥٦ هـ. (١٩) اتخذوا بنظر الاعتبار كلا من التماسات وفرائع احمد باشا، ولكن لم
تكن استجابة البلاط في اجتماعه هذا الا اصدار فتوى تدين حركات حرب
نادرشاه الشريرة، وتدعو الى التحضيرات الكفيلة لوضع الامبراطورية في حالة
دفاع قصوى. (٢٠) وخلال تلك الاثناء كان نادرشاه قد سيطر على اماكن هامة
ومتعددة من العراق، وبدأت الجيوش الايرانية تنتشر على رقعة الجغرافية.. فقد
سيطرت على القرنة (٢١) ملتقى دجلة بالفرات، ثم سيطرت بطرية عسكرية على
الحلة. (٢٢) وارسلت بعض القوات الى البصرة، ولكن متسلماً رستم اغا حال
دون السيطرة من قبل هذه القوة عليها. (٢٣) وقبل ذلك بفترة طويلة، كان نادرشاه
قد ارسل بقواته الى اماكن مهمة من العراق ومنها سامراء، كربلاء والنجف
الاشرف. (٢٤) كما وارسل بأوامره الى حكومات كل من شيروان، شوستار
وديز قول لاجل مساعدة جيشه في احتلال البصرة. (٢٥) هكذا بدا واضحاً موقف
والي بغداد احمد باشا الذي عدّ اتفاقه السياسي مع نادرشاه سبباً مباشراً من اسباب
حصار الموصل. وبذلك امنت بغداد شرور الحملة الايرانية الكبرى رغم تأثيراتها
المزعجة.. تقول وثائق القنصل الفرنسي الذي كان يعيش تلك الاحداث ويرقبها
في بغداد نفسها: «ورغم ان لنا هنا نوعاً من السلام مع كولي خان - نادرشاه -، ومع
ذلك فاننا نلاقي ازعاجات الحرب كلها، وحتى ما يشبه الحصار، فالمواد المعيشية
نادرة جداً، بحيث ان كمية قليلة من القمح.. تباع حالياً بما يقارب ١٨ ليرة
والمواد الاخرى كلها تأتي بنا بواسطة المعسكر الفارسي الذي يستنفذه جميع مواد
المعيشة. وقد وصل عدد من التجار الاجانب.. الذين يسافرون بطريق نهر

دجلة، وعليهم النزول الى مدينة البصرة لشراء البضائع الغنية من الهند والتي يحملها رسل من الفرنسيين والانكليز. الا ان الباشا - والي بغداد - استولى على قسم من هذه المواد متذرعاً بحاجته اليها في زمن الحرب... ٤٠٠.

٢ - تركية الجيوش الايرانية وعدتها الاستراتيجية :

لقد كانت جهود نادرشاه قائمة على قدم وساق للسيطرة على العراق، والتقدم منه نحو اناضوليا وبلاد الشام، واتخذ من كرمنشاه قاعدة لبناء ترسانته الحربية العظمى وهي حصيلة امتداداته وحروبه في الهند وآسيا الوسطى. وما كسب من قوى بشرية اثناء سيطرته على شعوب قوقاسيا وداغستان وجورجيا وارمينية واذربيجان ثم ما اضاف له لاعداد كبيرة من الفئات والاقليات السكانية في ايران كاللور والبلوج مثلاً ثم الفرس ومن اقاليم شرق ووسط ايران. بلغت اعداد جيش نادرشاه ٣٧٥ الف جندي. (٢٦) وتنقسم هذه الاعداد الى تركيتها الفتوية حسب ما هو موضح ادناه : (٢٧)

٦٥,٠٠٠	١ - قوات من خراسان
٤٥,٠٠٠	٢ - عجم
٥٠,٠٠٠	٣ - لورستانيون، بختاريون، عربستانيون وبارسيون (فرس)
٦٠,٠٠٠	٤ - اذربيجانيون، جورجيون، شيروانييون، ارمن...
٢٥,٠٠٠	٥ - همدانيون، وكرمنشاهيون
٦٠,٠٠٠	٦ - تركستانيون وتركمانيون الاستبس
	٧ - غزنويون وافغان وهنود من (كابل، پيشاور، كشمير، مولتان ولاهور...)
٧٠,٠٠٠	
٣٧٥,٠٠٠ المجموع	total

استطاع نادرشاه ان يستفيد كثيراً من هذا الاجمالي الكبير في زحفه على العراق فأرسل ٤٠,٠٠٠ رجل في قوة كانت كافية لاستلاب المحاصيل من اطراف بغداد. (٢٨) اما القوة العسكرية التي ارسلها ضد البصرة فكانت تقدر بـ ١٢,٠٠٠ - ١٥,٠٠٠ رجل. (٢٩) وتعد هذه الاعداد ضئيلة بالقياس الى القوة العسكرية التي ارسلها نادرشاه الى اناضوليا ضد مدينة ارضروم الاستراتيجية اذ

تراوحت اعدادها بين ٦٠,٠٠٠ - ٥٠,٠٠٠ رجل (٣٠). اما القوات التي تقدم بها نادرشاه بنفسه على الموصل بعد ذلك فقد كانت اعدادها ٣٠٠,٠٠٠ مقاتل، (٣١) عدا القيادات ثم الاتباع من الخدم والاسرى الذين اكتسبهم اثناء تقدمه في العراق كغيرهم وهم الذين امتنهم كشغيلة حرب. يقول المؤرخ ياسين العمري بأنه اضافة الى عدد الجيش الايراني المقدّر بثلاثمائة الف مقاتل، فقد لحق نادرشاه بعض البدو من اهل الطمع اضافة الى الاسرى والخدم (٣٢) وخصوصاً بعد ان اضيفت اعداد اخرى بعد امتلاك نادرشاه لأربيل باعتبارها آخر قلعة سقطت قبل حصار الموصل، ويصل اجمالي العدد الكلي الذي حاصر الموصل عند هذا المؤرخ اربعمائة الف نفر. اما «منهل» محمد امين الخطيب العمري فيذكر انه اضافة الى ثلاثمائة الف مقاتل فقد بلغ عدد الاتباع والخدام والرعاع والاسرى نصف هذا المقدار، فيبلغ الاجمالي العام ٥٠,٠٠٠ نفر عند هذا المؤرخ (٣٣).

ونحن هنا شاهد عيان حصار وحرب الموصل عما احتواه جيش نادرشاه الجرار عدا الفرس من آلاف الهندود (٣٤) والافغان (٣٥) واللور والقاجار (٣٦) والبلوج (٣٧). اضافة الى الآلاف من شراذم القزلباش والتركمان (٣٨).

اذا ادهشتنا المصادر التاريخية من اعداد جيوش نادرشاه التي ساقها نحو الموصل، فكم يا ترى ستكون عدته الحربية وآليات تلك الجيوش؟؟ لقد وافقته مئات المدافع، والآلاف من الخيول والحيوانات ثم العشرات من المقاليع الحجرية وآلات الحفر، ومستلزمات بناء القلاع والابراج والجسور، ثم الدخائر بشقي انواعها، ومن ضمنها عتاد الجيش واسلحته واطعمته، ولقد استعمل نادرشاه في حربه هذه وخلال حصاره للموصل المدافع التي تسمى بـ (الباليمن) Paleemis (٤١) وانواع اخرى من المدافع ومدافع الهاون، (٤٢) كما واستعمل القذائف النارية والقذائف الحجرية، (٤٣) اضافة الى مرميات الزانپوركات (٤٤) والبنادق المسماة (ششخانة) Shesh - Khane (٤٥).

١ - ابعاد الزحف الايراني على العراق:

١ - البداية الاولى:

لم يكن الزحف الايراني على العراق قد جاء في دفعة واحدة، بل استكملت ابعاده وحشوده على مراحل... البداية الاولى في تحركات حروب

١٧٤٢ - ١٧٤٣ م، سجلها نادرشاه نفسه عندما قطع طريقه نازلاً من الاقاليم العليا لآذربيجان، واصلاً سونانديج Shahin Dezh (٤٦) إحدى الحصون الاستراتيجية في إقليم كردستان، (٤٧) وقد تقدم منها نادرشاه في طريقه الى كرمنشاه الى الاراضي العراقية، (٤٨) اذ دخل شهرزور عبر حدود كل من الدولتين عند مسلك بنجوين، شمال شرق العراق، وقبل ان يغادر نادرشاه سونانديج امر بتخزين المؤن استعداداً للشتاء القادم قرب بغداد (٤٩) ثم غادر نادرشاه أراضي شهرزور متوجهاً الى كرمنشاه. (٥٠)

٢ - اكتساح الخط الاستراتيجي الشمالي:

اما البداية الثانية لنادرشاه خلال مجرياته حرب الفترة المذكورة فقد كانت ضرورية شديدة في اكتساحه العراق شمالاً، اذ ترك اطراف بغداد متخذاً طريق شهرزور القديم شرقي دجلة، مسلحاً له كعادة اسلافه من الغزاة الايرانيين، وقد اجتاحت قواته تلك الاصقاع وما يقوم فيها من قرى ومراكز ومستوطنات دون رحمة اذ تلقت اشرس الضربات، حاصدة للشباب، قاتلة للرجال، مشتة للنساء والاطفال (٥١). . . واتلفت المزارع والحقول والبساتين بين اعمال الحرق والنهب للاموال والمحاصيل، (٥٢) فكان استلاباً شديداً لاقتصاديات المنطقة وقواها البشرية ومن خلال هجوم يعد من اعنف ما صادفته عبر تاريخها.

بعد وصول نادرشاه كركوك، فر منها منسحباً واليها (ابن جمال) او جمال اوغلي، ومحافظها احمد باشا الحلبي الى الموصل وكانا في حالة مزرية، وخرجوا منها الى ديار بكر. (٥٣) وفرض نادرشاه حصاره على كركوك التي احترقت قلعتها بنيران قنابله (٥٤) على مدى بضعة ايام، (٥٥) فاستسلم اهلهما اثر خيانة كل من ابن بداغ وحسن افندي الكركوكي، (٥٦) وقد اتخذ نادرشاه من الاخير مبعوثاً له ليحمل بيده الانذار الايراني الاول الى الموصل.

دخل نادرشاه كركوك وسيطر عليها، (٥٧) وعاث فيها فساداً، وقتل ٥٠٠ رجل من المدافعين عنها، (٥٨) واستولى على اموالها وذخائرها، واذل رجالها، وامتنع الآلاف الآخريين ضمن فصائل شغبية حربه (٥٩). . . وغادر نادرشاه كركوك في ٣ ايلول ١٧٤٣ م / ١٤ رجب ١١٥٦ هـ، (٦٠) وبدأ مسيرته الى

الموصل التي مضى في طريقه اليها عبر مرحلتين، (٦١) فقد وصل اربيل بعد قطعه للزباب الصغير، وحطم عنده مدينة التون كوبرى بشدة. (٦٢) وضرب نادرشاه قلعة اربيل العالية فاستسلم أهلها بعد اربع ساعات من القصف المدفعي، (٦٣) فسيطر نادرشاه عليها واضاف بعض رجالها الى جنوده بعد ان عبث بالبلدة واموالها، (٦٤) ثم توجه الآن بوجهته صوب مدينة الموصل الرابضة، عابراً في مرحلته هذه كلاً من نهري الزباب الكبير والحازر.

٥ - السيطرة الايرانية على اطراف العراق وتخومه :

١ - الخط الداخلي :

لم يقتصر زحف نادرشاه على شمال العراق للمرور في خط حربي ذي امتداد واحد ولم يقتصر نادرشاه في سياسته السيطرة على المدن والمراكز الاساسية، بل شملت امتداداته السهول والوهاد والجبال وما يتوزعها من قرى وحقول ومياه. . . ففي البداية الاولى من تحركات حربه في شهرزور الشمالي، ارسل نادرشاه قطعات من جيشه الى نقاط متعددة من هذا الاقليم ومنها نقطة ساوج بولاق Saouj Boolak (٦٥) المدينة الكردية الراكنة في احشاء الجبال، والواقعة على المسلك الجبل الذي يقطع الحدود العراقية - الايرانية شمال شرق العراق. لقد عاثت قوات نادرشاه بهذه المدينة فساداً، واكتسحت تحت قيادة نادرشاه نفسه مدن شهرزور، فهدمت مبانيها، ونهبت محتلاتها، وسلبت جوانبها ورساتيقها (٦٦) . .

بعد سيطرة نادرشاه على كل من كركوك واثنا زحفه على الموصل ومروره بالتون كوبرى وشي بعضهم نادرشاه بجماعات اليزيدية الذين تنتشر قراهم على اطراف نهر الزباب الاعلى، ويعزى ذلك الى اسباب دينية والعقيدة التي تتمسك بها هذه الجماعات. (٦٧) فاقتحم نادرشاه بيوتها الآهلة، واحرقوا حواصلها الزراعية، وقتلوا رجالها وشبابها، وتشتت اطفالهم ونسأهم بأيدي القوات التي ارسلها نادرشاه اليهم، وكانت جل هذه القوات من الافغانين القساة. . . وكانت تقدر اعدادها باثني عشر الفا من الجنود تحت قيادة ابن اخي الشاه علي قولي خان، (٦٨) ولكن يبدو ان اليزيديين كانوا قد اخذوا بعض الاستعدادات لذلك الهجوم، باحتمائهم بالجبال القريبة دون ان يأووا الى المدن القريبة منهم أو الى مركز الولاية، نظراً للاسباب المذكورة اعلاه.

ايضاً، استلبت قوات نادرشاه الافغانية قرى عقرة، ومنها قرية الحميدية
الجميلة بسفوحها وساتينها ومياهها الرقراق. (٧٩) واستطاعت جيوش نادرشاه
انشاء زحفها من اربيل الى الموصل ان تكتسح وتدمر العشرات من القرى
والاديرة (٨٠) التي تنتشر بين الزاب الاعلى والموصل فهناك برده راش القرية
الكبيرة الواقعة بين الزاب الاعلى والحازر. اما المنطقة الجغرافية الهامة التي نالت
تدميراً كاملاً فهي منطقة «مرج الموصل» المحصورة بين جبل مقنوب - زيار الزاب
الاعلى شمالاً، أو خط عين سفي - عقرة كقاعدة لثلاث تنحصر داخله الاراضي
الواقعة شرقي دجلة جنوباً الى النمرود أو ملتقى الزاب الاعلى بدجلة كرأس
مثلاث، ويؤلف طرفه الشرقي خط ملتقى الحازر والزاب - عقرة. ان اهم القرى
التي تعرضت لمأساة الغزو الايراني الرهيب، هي: كرمليس، بعشيق، القوش،
برطلة وعقرة قوش. . وتحطيمها مع لواحقها. (٨١)

وتعرضت الاديرة في هذه المنطقة من مرج الموصل لاسوأ الاعمال، ومنها دير
مار اوراها الذي سرقته اعماله وذخائره. (٨٢)

٢ - الخط الخارجي:

ارسل نادرشاه قوات من جيشه نحو جزيرة ابن عمر، فاحرقوا في طريقهم
مدينة زاخو واطراف قصبتها من القرى والربايا، (٨٣) وتوغلوا في منطقة
الجزيرة، (٨٤) مسيطرين على الخط الجغرافي الهام الذي يبين على المسلك
الصمودي للعراق برياً ونهرياً، واحرزوا مالا وعتاداً وفيراً. (٨٥) ويتضح ان
نادرشاه قد ابتغى من ارساليته لهذه القوات الفارسية على النقاط الجغرافية لشمال
العراق، الامور التالية:

- ١ - فتح الطريق له للزحف نحو الاناضول بعد سيطرته على الموصل.
 - ٢ - قطع اي نوع من امدادات العثمانيين العسكرية والاقتصادية للموصل
بسيطرتة على هذه المنافذ الشمالية، وفرض طرق اقتصادي عليها، اذ ربما كان
في نيته ان يقيم حصاراً طويلاً على الموصل. (انظر ملحق رقم ٢).
 - ٣ - توظيف هذه المنطقة ضد كل من خصومه المحليين في الموصل واتراك السلطنة
في استانبول، بالاستفادة بشرياً واقتصادياً من سكان المنطقة ومؤثم
وعاصيلهم.
- لقد حقق نادرشاه اغلب هذه المطالبات بصورة فعلية عن طريق قواته في
الاطراف البعيدة.

٣ - اطراف الموصل :

قبيل الحصار واثناؤه، تعرضت القرى المحيطة بالموصل الى اعمال العنف التي فرضها الحصار، ومنها: تلكيف وباطنايا وتل اسقف وبارجة وغيرها (٧٦) . . . وقد تعرض جامع النبي يونس وقريته لاستباحة الغزو الايراني، ولم تسلم حتى حاجيات هذا المكان المقدس وآثاره وحتى سجاده وحصرانه من النهب والسرقة (٧٧) . . . اضافة الى ذلك، فلقد ظفرت قوة عسكرية من ٥٠٠٠ مقاتل بقبيلة «ابي سلمان» العربية التي كانت تحط بمضاربها على اطراف الموصل فحصدتها شر حصاد، (٧٨) واغلب الظن ان ذلك قد جرى في الاطراف الشرقية من الموصل، وفي الايام الاولى من فرض الحصار.

٦ - الانذار الايراني الاول وموقف الموصل :

عند وصوله مياه نهر الزاب الاعلى، حرر نادرشاه انذاره الاول الى قيادة ولاية الموصل بعد اجتماعه بمستشاره الديني وجنرالات وخانات جيشه، وحمل الكتاب حسن الكركوكي والذي ترأس وفداً من اربع شخصيات (٧٩) . . . وقد وصلوا شواطئ دجلة الشرقية فالتقطتهم عيون الرصدة واتت بهم دورية خاصة (٨٠) . . . فقدموا انفسهم لوالي الموصل كموفدين من شاه ايران مع رسالة من مستشاره الديني موجهة بالعربية الى مفتي الموصل، وقد تضمن الانذار الايراني تحذير كل من الوزيرين الجليلي والغازوقجي بتقديم طاعتها لنادرشاه، وان يستقبله بالخفو والعظمة حيث لا ينفع بعد ذلك الندم، كذلك تحريض الناس على الاستسلام (٨١)

عقد والي الموصل اجتماعاً رسمياً حضره رجالات الولاية والشخصيات الدينية واطلعهم مطالبيب الشاه (٨٢) . . . ثم نادى بعقد مؤتمر شعبي كبير لكافة سكان البلد، (٨٣) فتدفقت الجموع الغفيرة خارج اسوار الموصل بحضور كل من الوزيرين الكبيرين والامراء والاعيان والعلماء والادباء، ورجالات الولاية الرسميين من القواد العسكريين والموظفين، اضافة الى الشخصيات الدينية . . . وكافة اهناء البلد من الاصناف والزراع والصناع والحرفيين والكبير والصغير . . . محتشدين على بقعة شاسعة مطلة على دجلة . . . قرب الجامع الاحمر جنوبي المدينة . . . واستمع الجميع بانصات الى رسالة شاه ايران مع كل وعيدها وتهديداتها، وانذاراتها الشديدة، فضجت تلك المجاميع الغفيرة من الآلاف المؤلفة بأصواتهم

الحادة بالرفض وعدم التسليم، وأقر هذا المؤتمر الاستشاري الكبير بالصمود والدود عن حصن الموصل، والدفاع عن الشرف والممتلكات حتى آخر نفس، ومنازلة الشاه المفرور حرباً، وردّه في نحره خدمة للدولة العليا (٨٤) . . . ولقد بلغ الأمر رفضاً واحتداداً في هذا الاجتماع التاريخي، ان اهل الموصل تمهلوا اذا ما غلبهم الفرس، يتجود من بقي حياً من الرجال بقتل جميع نساء الموصل كيلا يقعن بأيدي الفرس (٨٥) . . . وانفض الاجتماع بعد ان اعلن الوالي على الملا طرده لمبعوث الشاه، وان قرار الحرب ساري المفعول، وباهت الناس على ذلك فرداً فرداً بمصاحبة قرع الطبول وانتشر الجميع ليعززوا مواقعهم، واكمل حاجياتهم. (٨٦)

لقد كتب الجواب على رسالة نادرشاه في نفس الوقت، اذ املها الوزير الوالي بنفسه على مفتي الموصل الذي وقعها ووجهها الى المستشار الديني لنادرشاه . . . وكان جواباً قاسياً ذا عبارات شديدة مقارنة الى مضمون الرسالة نفسها، كما وانطوى الجواب على اعتزاز كبير بالنفس والارض، وكتب ذلك بأسلوب رجولي . . . انظر هذا المقتطف من جواب والي الموصل الى نادرشاه: «انرتاع بالقراع ونحن الاسود الضارية والسباع الكواسر العادية، اسيافتنا صفيلة، وسطواتنا ثقيلة، وحلومنا رزينة، وقلوبنا كالحديد متينة، وبلدتنا بحمد الله حصينة . . . فيا لله العجب كيف منا الطاعة تؤملون، والسدخول في ربة الخيانة تطلبون . . . » (٨٧)

والخلاصة: ان الموصل رفضت رفضاً باتاً أي نوع من انواع الخضوع والاستسلام لنادرشاه، او حتى المساومة على شروطه (٨٨) التي قدّمها والتي طلب فيها:

- ١ - تقديم الطاعة له وتسهيل امر السيطرة .
- ٢ - السيطرة على الموصل بصورة كاملة مع ايبالتها، والمرور من خلالها الى كل من ماردين وأمد .
- ٣ - تقديم الموصل خمسمائة الف درهم نقداً لنادرشاه .

٧ - موقف البلاط العثماني :

لعل المرء يتساءل عن موقف البلاط العثماني في مثل هذه الظروف التي كانت تعصف بمقادير العراق الذي يمثل من خلال ولاياته العظمى الثلاث بغداد والموصل والبصرة، اهم رقعة استراتيجية من الممتلكات العثمانية امام تحديات وامتدادات امبراطورية نادرشاه الايرانية ضمن عمليات الصراع الطويل بين الدولتين.

كان السلطان عمود الاول الذي حكم للفترة ١٧٣٠ - ١٧٥٤ م، قد وصلته اخبار الزحف الايراني، فجهّز حملة عسكرية ضد الفرس تحت قيادة سرخوش علي باشا الذي امتد في حركته الى مدينة ديار بكر، وما ان بلغه تقدم نادرشاه نحو الموصل، لم يباغت لأن يسعفها بل احجم عن ذلك خشية بشس المصير المجهول الذي كان يقدر الجميع وقوعه. (٨٩) كانت التقارير قد وصلت من الموصل الى البلاط العثماني (٩٠) الذي اخذ ينظر الى سلسلة الاحداث بجذبة اكبر، خصوصا عندما اخبرتهم التقارير ان كركوك قد سقطت بيد الفرس، (٩١) وان الموصل كما افادت رسائلها البلاط العثماني تعيش حالة من القلق الشديد، (٩٢) رغم استقبال الوالي حسين باشا الجليلي للمحافظ حسين باشا القازوقجي والي حلب الذي قدم الموصل مع ٢٠٠٠ نفر من الرجال (٩٣). وكان السلطان قد عينه ليتولى نيابته بالموصل اضافة لادارته ولاية حلب. (٩٤)

تحدثنا احدي وثائق آسبينول Aspinwall نائب سفير انكلترا لدى الدولة العثمانية عن الوضع المخرج للبلاط العثماني. وهذه بعض نصوصها: وان المجابهة في الشرق قد أصبحت في ازمة. ان المراقبين في الحدود متأكدون ان جميع المناطق التي يشملها كل من اقليم (Assyria) الموصل، واطليم (Chaldea) بغداد ليست في حالة تسمح لها الوقوف بوجه الفرس. (٩٥) وان البلاط العثماني يعيش قلقاً شديداً وبصورة متكافئة حول ما سيفعله الاكراد والنساطرة والارمن في الحوادث اثناء الحرب (٩٦). وتتابع هذه الوثائق معلوماتها حول الآثار السيكولوجية التي كفل بخلقها الزحف الايراني العاتي. يقول آسبينول: ولقد تأكد الآن وبصورة واثقة ان الموصل محاصرة من قبل الفرس (٩٧). وقد وصلت تقارير اخرى تفيد بحالة الذعر المتصاعد في حلب (٩٨) واذا يدرك الحلبيون انه اذا سقطت الموصل فسيتمتعها سقوط حلب

لا محالة»، وهذا الذي زاد من شدة القلق والازمة في استانبول، (١٩) إذ كان آخر أمل للبلاط العثماني ان تقوم قوات الفلاح في المناطق على الحدود أو في التخوم القريبة بالدخول في معركة مع الجيش الإيراني، وان تمهرع لنجدة وتخليص الموصليين، وايقاف زحف نادرشاه على الموصل. (٢٠) إلا ان مثل هذا لم يحدث، ولم يقف مع الموصل في محنتها إلا والي حلب بأمر من السلطان (٢١). . . وظهر انه من الاستحالة على السلطة المركزية عمل أي شيء آخر، لتترك أحد أقوى ممتلكاتها، واهق حصونها يواجه مصيره الذي سيقدر في لحظات السقوط مصير منطقة الشرق الأدنى ككل، ناهيك عن موقف والي بغداد الذي بدا وكأن مهمته رصد الاحداث يوماً بعد آخر لما ستؤول اليه الامور، وهو المشهور بدهائه السياسي في علاقاته مع جميع الاطراف وتاريخ حروبه ضد الإيرانيين. . . من ناحية أخرى كان البلاط العثماني مطمئناً ومقدراً لقيادة ولاية الموصل التي كان يمثلها الحاج حسين باشا الجليلي الذي اشتهر كذلك بحروبه ضد الإيرانيين، والخدمات التي قدمها بهذا الشأن في اطراف عديدة من شرق الامبراطورية.

٨ - استعدادات الموصل الكبرى :

كانت الموصل تحت قيادة واليها الحاج حسين باشا، قد ادركت النوايا الشريرة لنادرشاه قبيل تحركه نحو بغداد، اذ تسربت لها انباء الترسنة الحربية التي كان نادرشاه قد هيأها خلال وجوده في كرمنشاه، واثناء تمجازه مع البلاط العثماني في شروطه التعجيزية سنة ١٧٤١ م / ١١٥٤ هـ، (٢٢) وبدا الامر اكثر وضوحاً عندما بدأ الزحف الإيراني نحو العراق. . . ويبدو ان الموصل قد ادركت هذه المرة ان خطة نادرشاه تستهدف رأس حربة العراق والسيطرة من خلالها عليه وعلى جميع منافذه والتقدم منها شمالاً وغرباً، فانحذت تعد لاستعدادات كبرى ضمن امكانياتها المحلية التي وفرتها ظروف الولاية في المركز وتوابعه.

نخبرنا مذكرات دومينيكو لانزا Domenico Lanza ان ظروف الرخاء الاقتصادي الذي تنعم فيه الموصل هو محصلة الخواص الطبيعية التي حظيت بها، واهم هذه الخواص خصوبة التربة ووفرة المياه والموقع الجغرافي. . . . ونتج عن ذلك كثرة محاصيلها الزراعية واعتمادها القوافل التجارية، ومدينة تسويقية بالدرجة الاولى. (٢٣) ولعل ما يفيدنا ظروفها الاقتصادية قبيل الحصار.

خلال سنة ١٧٤٢ م، أي قبيل حصارها بستة واحدة، مرّت بالموصل موجة غلاء، وقلة في المحاصيل الزراعية نظراً لما قادت اليه شحة في الأمطار، كما وانعدم الضرع في أماكن متعددة، مما أدى إلى اضطرابات سكانية (١٠١). ويبدو أن الموصل استفادت كثيراً عندما توقفت قافلة تجارية فيها في نفس العام (حزيران ١٧٤٢ م)، وكانت قافلة كبرى تحوي على أكثر من ثمانمائة شحنة أو حمولة لمختلف البضائع، وقد تحقق من خلالها أموال طائلة (١٠٢). ثم سارت القافلة إلى حلب، ولكنها لم تسلم من أعمال السلب والهجمات التي تعرضت لها في الطريق (١٠٣). وخلال نفس العام المذكور احترق جسر الموصل، مما أثر في أحوالها العامة، ولقد سارع الوالي حسين باشا إلى إصلاحه. (١٠٤)

يصف وليم جونز William Jones الموصل أثناء حديثه عن حصارها عام ١٧٤٣ م، ومن وجهة نظر إيرانية بحثة بأنها مدينة كبيرة وثرية، (١٠٥) في حين يجبرنا مصدر تاريخي آخر أن المحاصيل الزراعية التي جنت قبيل الحصار بفترة قصيرة لم تكن وفيرة بأي حال من الأحوال. (١٠٦) من طرف آخر كان قد وصل إلى مركز ولاية الموصل مبالغ من المال تقدر بـ ٢٠ ألف قرش من العاصمة استانبول (١٠٧). هذا في حين كانت قوات نادرشاه تنهب القوت والغلال من قرى وأطراف بغداد. (١٠٨)

خلال زحف نادرشاه على الموصل، كانت الاستعدادات الحربية الكبرى في مركز الولاية قائمة على قدم وساق والتي تتوضح في الجوانب التالية:

١ - الأعداد الروحي:

الذي تميز بشتى صنوفه وأظهر تلاحم القيادة مع جميع القوى السكانية في التوابع، والفئات الاجتماعية في الداخل لمواجهة الخطر المهدق، ولقد نتج عن هذا الأعداد أن اشترك الجميع في الأعمال المناطة بهم، (١٠٩) كما تضافرت جهوداتهم على حد سواء، فلقد كان كل من الحكام والشحاذين في خندق واحد، (١١٠) الانكشارية والأهلون في ساحة تدريب مشتركة، الكبار والصغار في عملية بناء مشتركة الحفارون، البنائون، الحدادون، الكراؤون، السقاؤون، الدباغون، السراجون... المتصوفة والعلماء ورجال الفكر والدين، (١١١) كلهم يعملون، في حين كانت الموسيقى العسكرية تعزف أحياناً الحاناً شجيرة على مسامعهم (١١٢) استعداداً ليوم الفصل الكبير.

٢ - الاعداد الدفاعي :

بعد هذا الجانب ذا اهمية كبيرة، واستغرقت عملياته فترة طويلة بدءاً بالزحف الايراني حتى الايام الاولى من الحصار، (١١٦) ولقد اشترك في عملياته الخاص والعام على حد ذكر احد المؤرخين (١١٧) والذي يضيف مساهمة كل من الامراء والعلماء والنساء وحتى الاطفال . وتتأني عمليات الاعداد الدفاعي على النحو التالي الذي يقسم كل جانب منه الى اقسام، وعلى كل قسم رئيس يشرف عليه: (١١٨)

١ - اصلاحات سور المدينة المحيط بها، وسد ثلماته وثغراته، وتجديد اقسام متهدمة منه، ثم تقويم مزاغله وفتحاته العليا، وتحصين مواقعه وابراجها، وابوابه واماكن المدافعين العليا. (١١٩) وفي ٢٥ حزيران، غادر الرحالة لوتيه الموصل، وقد شاهد بعينه اعداداً كبيرة من العاملين في ترميم الاسوار والابراج.

٢ - حفر الخندق المحيط بالمدينة خارج السور، وتجديد اعماقه، وكري اقسام كبيرة منه. (١٢٠)

٣ - حفر عشرات الآبار العميقة لاغراض الدفاع داخل الخندق، ولمسافات محددة اذ تقدر المسافة بين بئر واخرى نحو خمسة اذرع، (١٢١) وتقوم مهمة هذه الآبار لحماية نصف السور بالبارود، اذ تقوم بامتصاص قوة ذلك. (١٢٢)

٤ - انتقلت عمليات الاعداد الدفاعي الى ابعد من ذلك في ازالة كافة التلويح والمرتفعات المحيطة بخارج سور المدينة ولمسافات متباعدة، لمنع العدو من اتخاذها مواقع اشراف أو اسناد للاشراف على داخل المدينة ومراقبة مركزها الداخلي، أو يساعده علوها في بناء ابراجها ومتاريسه الهجومية، فسويت تلك المرتفعات وازيلت برمتها. (١٢٣)

٥ - ميا المدافعون الآلاف من الاكياس وملأوها بالتراب، واخرى مهيئة للاستعمال، وذلك لاغراض سد الثلمات والفجوات التي قد يحدثها القصف المدفعي. (١٢٤)

٦ - رفع جسر الموصل وكافة السفن والعوامات والاكلاك. من شهر دجلة ومن حوافيه على جانبي النهر. (١٢٥) ويبدو ان جسر الموصل قد رفع منذ فترة طويلة من فرض الحصار، وقبل ورود الانذار الايراني الاول اذ عبر حامله بواسطة طرادة نهريه ارسلت له خصيصاً.

٣ - الاعداد العسكرية:

تبدو المعلومات التاريخية قليلة في هذا الجانب، نظراً لما قادت اليه طبيعة الظروف . . اشغل الوالي الجليلي منصب القائد الاعلى لجيش الموصل، واتخذ برج قلعة باش طابيه (١٢٦) مقراً لقيادته، وقد تألف جيش دفاع الموصل من: (١٢٧)

١ - الانكشارية المتكونة تشكيلاتها من خمس اورطات، (الواج عسكرية).

٢ - اهالي الموصل من رجال المدينة وشبابها.

٣ - الجند الخاص للوالي.

٤ - قوات من ولاية حلب.

٥ - قوات قوج باشا الكردية. وهي من عشائر السوران (كما يذكر الدر المكنون).

من ناحية اخرى، سحبت المدافع وجرت آلياتها الى الاسوار، والمراكز الحساسة، وبنيت الابراج لمواجهة المدفعية المعادية، وحددت مراكز المقاتلين. (١٢٨) ويعتبر غالب الاعداد الحربي من امكانيات الولاية المحلية ذاتها.

٤ - الاعداد الاقتصادي:

رغم الظروف الاقتصادية الرديئة بالنسبة للمحاصيل الزراعية التي طرأت على الموصل قبيل الحصار، الا ان احتياطات كبيرة اتخذها في هذا الجانب كل من سكان المدينة مع توابعها (١٢٩). . فقد ملأت المخازن بالحبوب والمواد الغذائية الجافة استعداداً لمواجهة الحرب الاقتصادية طويلة الامد التي ربما تواجهها المدينة في حصار طويل الامد، رغم ان الموصل قد استقبلت وحت داخل اسوارها سكان القرى المحيطة بها، والذين قدموا خدماهم لها في نقلهم الغلال والاشخاب (١٣٠). . الى داخل الاسوار، وكانوا يتدفقون في مجاميع كبيرة وهم في رعب شديد، من الموت والدمار. (١٣١)

وضمن هذا الاعداد، اهتم الوالي الجليلي الى خطة يقوم بموجبها بحفر قناة مائية تمتد من نهر دجلة ليجري الماء فيها بين كل من السور والقلعة الداخلية (ايح قلعة)، (١٣٢) وذلك لمنع العدو من السيطرة المقابلة على المجرى العام للنهر والتحكم بمياهه القريبة، اذ ربما يلعب نادرشاه لعبته في قطعه الماء بصورة تامة عن المحاصرين. لقد نجح مشروع الوالي، ولكنه لم يكن يدري بأن نادرشاه سوف يحول كامل الشعبة المائية الرئيسية لدجلة وقطعها الى الشعبة الثانية التي تجري بعيداً عن المدينة.

٩ - معركة الكوماندوز البطلة ودروسها:

طلع فجر يوم الثالث عشر من رجب، وظهرت معه طلائع الجيوش الإيرانية، ووصلت قرية يارمجة (١٣٣) (١٠ كم) جنوبي - شرقي الموصل، شرقي دجلة، (١٣٤) وانتشرت جموعهم كالجراد فقد كان يقدر عددهم عشرة آلاف مقاتل إيراني، (١٣٥) وبدت تروح وتغلو على السهل الشرقي الغربي لنهر دجلة المقابل للموصل، (١٣٦) كما عبر قسم منهم النهر الى جانبه الغربي. و اراد قادة الموصل اختبار قوة كل من الجانبين من ناحية، وتعزيز مواقعهم الجربية واضعاف معنويات الفرس من ناحية اخرى. وكان قسم من الايرانيين قد عبروا الى جزيرة تتوسط نهر دجلة، وساقوا امامهم مواش وابقار من الجاموس كانت ترعى هناك (١٣٧). فكان ان جردت قيادة الموصل حوالي سبعمائة فارس من قوات الموصل وابطالها، (١٣٨) وبدت تشكيلتهم العسكرية على النحو الآتي:

١ - قائد السرية عبدالفتاح بيك أخو الوالي. (١٣٩)

٢ - القواد الزعماء الذين يعتبرون من الفرسان (١٤٠) وعلى رأسهم مراد باشا ابن الوالي.

٣ - مغاوير انكشاريون وفدائيون من اهالي الموصل (١٤١) اضافة الى فوارس اكراد من اتباع قوج باشا حاكم كوي سنجق (١٤٢) وقد وصفهم كتاب «النهل» بـ «اسود عوابس»، (١٤٣) وقد شارك ايضا البعض من الجنود الحلبيين. (١٤٤) عبرت هذه القوات الخاصة نهر دجلة، والتقت مع الايرانيين، ودارت رحى معركة دامية غاية في الشراسة والعنف، (١٤٥) واستبسلت تلك القوات من الكوماندوز استبسالاً ليس له نظير، اذ قابل كل مغوار مائة إيراني - كما تقول إحدى الروايات التاريخية - . (١٤٦)

لقد استمرت المعركة حامية الوطيس، ولكن سرعان ما استطاع عشرون الفا من الاعداء الالتفاف حول القوات الخاصة المشار اليها وتطويقها من الورا ليقطعوا بينها وبين النهر ثم ليبلوها بالكامل، ولكنها استطاعت ان تجد لها ثغرة من بين الصفوف فشقت منها طريقها بشجاعة ودهاء، فوقع بينها بعد قتال ضار المزيد من الشهداء، ورجعت بسرعة قاطعة نهر دجلة، ودخلت البلد، ثم سدت الابواب من ورائها (١٤٧). . . بعد ان نجحت في مهمتها نجاحاً كبيراً. . . وانزلت بالاييرانيين خسائر فادحة فلقد قتلت مائة وخمسين ايرانياً، (١٤٨) وغنمت بعض

المدافع، ومقداراً من الاقترامات (١٤٩) . . وكان ان استشهد من بينها خزنندار الوالي الذي ذهب ليؤدي دوره جندياً كبقية الجنود، كما استشهد عشرون آخرون من الشهداء، وأمر ثلاثون من الابطال، (١٥٠) وتقول «سالتامة الموصل»: بأن الايرانيين قد قبضوا على خمسة وعشرين من القوات الخاصة، وهم من بين اكراد (الدلو واللواند)، والبعض من اغوات (الاندرون) الانكشارية، اضافة الى اثني عشر نفرًا من اكراد قوج باشا. (١٥١) ولم يتورع الفرس عن قتل الاسرى. . اذ جاء على لسان المؤرخ ياسين العمري قوله «واسر بعضهم. . ثم قتلوه ومات شهيداً». (١٥٢) ولقد قتل في هذه المعركة جيلول خان احد قواد نادرشاه، ودفن في قرية قرب الموصل. (١٥٣)

ومن المعتقد ان مسرح هذه المعركة كان على مسافة متباعدة من النهر في الطرف الشرقي المقابل لمدينة الموصل اي نينوى الجنوبية في ساحة جغرافية كبيرة تمتد بين التلول وبين حوافي النهر، فلقد كانت وقائعها تجري على مرأى من والي الموصل الذي كان يراقبها من غرفة العمليات (١٥٤) للقيادة في برج قلعة المتفطرة باش طاييه والشاهقة المطلة على نهر دجلة. أو ان تكون المعركة قد وقعت في منطقة جنوبي - شرقي الموصل لمسافة اقرب اليها من يارمجة. اما احد نصوص وثيقة رسمية ليقول بأن الايرانيين «قد سيروا هم ايضا حساكرهم فعبروا دجلة». (١٥٥) ونستفيد من هذا النص كون اما ان المعركة قد جرت على ارض الجزيرة التي تتوسط نهر دجلة، والمقابلة للمدينة تماماً اذ لا يفصلها الا شعبة من النهر، وهي الارض المتميزة باحراشها وادغالها (١٥٦) . . وان عبور الفرس قد عني بالشعبة الثانية منه. (١٥٧) واذا استثنينا ذلك فان قصد النص ربما ان قسماً من الايرانيين قد كانوا غرب النهر وعبروا دجلة نحو شرقه للاقاة سرية الكوماندوز البطلة.

نستفيد من فصول ونتائج هذه المعركة الجوانب التالية:

- ١ - اختبار القوة الايرانية من الناحية العسكرية، وموازنة ذلك مع الموقف العسكري في الداخل.
- ٢ - تلقين العدو درساً منذ بداية الامر، وتوضيح الصورة الكافية عن الوضع السيكولوجي للمدافعين وقوتهم العسكرية الكامنة في الداخل وذلك امام افراد جميع العدو.

٣ - لقد كانت المعركة اشارة عملية لكل من طرفي الصراع معلنة ان القتيل بدأ يحترق ولا سبيل لابقائه، وانه سينفجر بصورة هائلة دفاعاً عن الوطن فاما الحياة واما الموت لواحد من الطرفين.

٥ - تكتسب المعركة اهميتها بغلبة التكافؤ العددي لصالح العدو، ورغم ان النسبة تشكل ٢,٣ الى ١,٠ اذا افترضنا ان عدد افراد العدو في هذه المعركة هو ٣٠ ألفاً وهم طليعة الجيش الايراني المقدرب ٣٠٠ ألفاً، ضد ٧٠٠ بطلاً من الكوماندوز، او بمعنى آخر ان كل بطل قابل ٤٣ ايرانياً.

٥ - تكتسب المعركة اهميتها توبوكرافياً كونها وقعت على ساحة لها طبيعتها الصغية، والتي فرضت على قوة الكوماندوز اعلى درجات الحسم، فلم يكن امامها الا خيار الضرب من حديد، لان العدو من امامهم واعماق دجلة من ورائهم.

٦ - تكتسب المعركة اهميتها تاريخياً، كحركة عسكرية حسم موقفها المستميت العديد من النتائج، وبمقارنة هذا الحصار الكبير للموصل باوضاع حصارات تاريخية شهيرة لمدن هامة في العصور الحديثة على سبيل المثال: القسطنطينية عام (١٤٥٣ م)، (١٥٨) فيينا (عام ١٦٨٣ م)، (١٥٩) مالطة عام (١٥٦٥ م)، (١٦١) بغداد (١٦٣٨ م) (١٦١) وغيرها، لقادنا ذلك الى فريدة الحدث، وضرارته في ابداء العدو، وان الضربة الحاطفة قد جاءت من داخل الاسوار وليس من خارجها.

١٠ - الانذار الايراني الثاني ومواصلة الزحف نحو الموصل :

واصل نادرشاه زحفه بعد اكتساحه اربيل، وعبر كل من الزاب الاعلى والحازر، وتمشيط قواته لكافة القرى والتوابع والحقول المنتشرة هناك (١٦٧). وفي اليوم الثاني بعد معركة الكوماندوز البطلة، تدفقت الجيوش الايرانية الجرارة وضربت خيامها عند قرية ياراجة يوم (٢٧ رجب / ١١ ايلول)، (١٦٣) وانزل نادرشاه نفسه رحاله فيها. ثم انتشرت الجيوش على امتداد الحوافي الشرقية لنهر دجلة وشواطئه الخضراء لمسافات عريضة ومتباعدة شرقاً، وكان كالجراد في ارتقائه الجائمة والمتحركة، وكالغبار في سواده الاعظم (١٦٤) اذ تكاملت اعداد الجيوش الايرانية الهائلة وما يلحق بها من الاتباع. وتحولت تلك الاراضي الخضراء الى مساحات داكنة، ومناظر قاتمة، وبدت تلك السماء الزرقاء الصافية غبراء عاصفة يعلوها الدخان الكثيف.

ارسل نادرشاه سفيراً آخر من اهالي اربيل واسمه محمود الى الموصل وقد وردها حاملاً الانذار الايراني الثاني من نادرشاه ومجلسه الحربي، وكان الانذار يتكون من رسالتين موقعتين من ملا باشي علي اكبر المستشار الديني لنادرشاه. . . كانت الرسالة الاولى موجهة الى الوزير الجليلي والي الموصل، اما الثانية فلقد وجهت الى المحافظ الوزير القازوقجي. . . وحملت كل من الرسالتين انذار نادرشاه الاخير لكل من الاثنين يحملها مسؤولية الحرب وخطاياها، اضافة الى تهديدات شخصية بوجوب تقديم الطاعة وتسليم قلعة الموصل.

لقد بقي موقف كل من الوزيرين ثابتاً لم يتزعزع أو يلين، بل ازدادا منعة وصموداً وتحدياً، اذ كان جوابها غاية في الصرامة بأن الاستسلام محال، ولا يمكن للموصل ان تخضع لطغيانه حتى وان كلف ذلك آخر نفس فيها، وان حدهما السيف معه. . . . وقد بلغ اعتداد قيادة والي الموصل بأن طرد المبعوث الايراني، وهددت القيادة نادرشاه نفسه وتحديته انه ان ارسل سفيراً آخر للموصل فسوف يرسل رأسه جواباً منها اليه. (١٦٥)

يظهر من تسلسل الاحداث وربطها بموقف الموصل والانذار الايراني وجوابه، ان قيادة الموصل قد بلغ موقفها الآن بالذات طابع الحرب الامبراطورية رغم اختلاف وعدم تكافؤ قوى الصراع بين الطرفين، وذلك من خلال مخاطبة شاه ايران الكبير بمثل هذه اللهجة القوية التي لم يعرفها في حياته ابدأً، وهو الامبراطور الذي بنى تاجه الدموي من خلال سيطرته على بلاد واقليم وشعوب كثيرة، مدوياً بصوته في اعماق الهند، وآفاق قوقاسيا. . . دونما انتكاسه. لقد اكتسبت ولاية الموصل باصدارها مثل هذه القرارات الحربية صفة الخروج عن الطوق الاقليمي، في دفاعها عن الشرق الادنى ولاياتها وحصونه العثمانية بصورة عامة، والدفاع عن العراق واستراتيجيته الجغرافية - الاقتصادية بصورة خاصة.

بعد ورود الانذار الايراني الثاني اتخذت الموصل استعداداتها الاخيرة لساعات المواجهة المرتقبة اذ اخذ الجميع من المدافعين الاماكن المخصصة لهم، بعد ان شحنت عزائمهم ومعنوياتهم واستعداداتهم النفسية، اضافة الى الكوامن الدينية المتأصلة في عروقهم ومواردها المتعلقة في صدورهم، وانهم بلاريب يدافعون عن مدينة الانبياء والاولياء.

١١ - تطويق الموصل وبدء الحصار الثاني :-

اشتد طوق الحصار على الموصل بصورة اكبر عندما اصبح صبح النهار الثاني على وصول نادرشاه، وقد بدأت سراياه تنتشر في كل حذب وصوب حول الموصل وبمختلف الاتجاهات (١٦٦) وفي وقت كانت هندسة نادرشاه وآلياتها منهمكة بنصب جسر على نهر دجلة (١٦٧) وقد امضى نادرشاه نفسه خمسة ايام يصول ويحول في الجانب الشرقي دارساً طبيعة الرضخ الجغرافي للمنطقة، والاراضي المحيطة بالموصل، والقلاع في داخلها، كما تراءت له ابراجها الداخلية ايضاً والمنصورة لاغراض الدفاع والحرب... كما وكثف جهوده ورتب عدته، ونظم قواته. (١٦٨)

في اليوم السادس من وصوله ٢٨ رجب / ١٧ ايلول، اكتمل نصبه للجسر على دجلة، وقد وصف ولیم جونز W. Jones هذا الجسر بأنه كان جسراً قوياً عكماً، (١٦٩) وبدأت الجيوش الايرانية بالعبور من خلاله الى الطرف الغربي - الايمن من النهر، متدفقة مع عدتها الحربية. ولم تسعنا المعلومات المتوفرة عن المكان الذي نصب فيه هذا الجسر، وقد اقام نادرشاه جسراً ثانياً على دجلة، (١٧٠) وذلك اثناء حدة المعارك القاسية بين المهاجمين والمدافعين، وهو الجسر الذي ارتبط بحاوي الكنيسة شمالي شرقي الموصل. (١٧١)

احاطت الجيوش الايرانية بالموصل من جميع الجهات على نحو متباعد... وفي بداية شهر شعبان / ٢٠ - ايلول، اقتربت قطعان الهندسة الآلية اكثر فاكثر نحو اسوار المدينة الصامدة، وقامت حولها اثني عشر برجاً هجوماً مقابلة لبروج الموصل الداخلية، (١٧٢) واقاموا على هذه الابراج سبعة عشر من المتاريس، (١٧٣) والمدافع الكثيرة، والهاونات الكبيرة والتي بلغ تعدادها ١٦٠ مدفعاً ثقيلًا، و ٢٣٠ مدفع هاون، كما شملت ١٤ بطرية. (١٧٤)

دهش المحاصرون داخل الموصل لما قام به الاعداء من بناء التلوي العظيمة خلال ظرف قصير، وقد استفاد الغزاة كثيراً من البساتين المحيطة بالموصل، فقد قطعوا اشجارها، واحالوها الى ارض بوار، ناقلين اخشابها نحو المتاريس. وكانت شغيلة الحرب هذه في اعمال الحفر واعداد البروج ونقل المدفعية ومستلزماتها من مجاميع الاسرى (١٧٥) الذين كان قد استحوذ عليهم نادرشاه من مناطق متعددة من شمال العراق.

فرغ نادرشاه من كافة ترتيبات الهجوم في ٢٤ شعبان = ٢٤ / ايلول / ١٧٤٢ م اي بعد اسبوع كامل من عبوره دجلة . اما الجيش المزدحم الذي عبر دجلة فقد توزعت قطعاته مطوّقة الموصل ، في الايام الاولى من العبور تركّز الآلاف من الجند قرب جامع قضيب البان في الطرف الغربي خارج سور الموصل ، وعندما فرغ نادرشاه من ترتيباته الهجومية وصلت جيوش ايرانية اخرى نحو الموصل وتركزت جنوبي الموصل خارج السور عند الجامع الاحمر ، وتولدت فرقة كبيرة اخرى من الجيش وتوقفت عند قصر يحيى (١٧٦) خارج السور على خط باب العراق (راجع في تحديد المواقع المحلية المذكورة آنفاً في خريطة الموصل المرفقة رقم (٤) - نسخة المتحف البريطاني -).

هكذا انهى نادرشاه كافة عمليات زحفه وعبوره واستعداداته جميعاً بنجاح لبده الضربة القوية الاولى ، ولم يواجه نادرشاه اي ضربة من المدافعين لحد الآن ، وربما كان تكتيك قيادة الموصل يقضي باستدراج كافة حدة وهدد ايران استعداداً ليوم الحسم من ناحية . ثم تكثف جهود الدفاع وعدم تشتيتها بين بحر من الرجال والقوة والسلاح من ناحية اخرى . ولكن لدينا معلومة تاريخية مؤرخ شاهد عيان ، تؤكد عكس هذه النتيجة ، وهي معلومة تاريخية يتيمة لم تؤيدها المصادر التاريخية الاخرى . اذ تذكر المعلومات التاريخية التي سجلها الشاعر يونس الموصل في قصيدته بالثركية ، بأن والي الموصل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي قد امر رجال المدفعية في الولاية جميعهم ، ان يقصفوا جميع المتاريس والتحصينات التي كان العدو الفارسي يقيمها ، واستمر اطلاق النار من الصباح حتى المساء ، دون اذن تلكؤ ، ولكن القائمين ببناء المتاريس استمروا بعملهم رغم الخسائر التي سببها القصف المدفعي للموصل . وكانوا قد وضعوا على رأس كل مترس خناً من خاناتهم ، واصطنعوا من الاسرى عمالاً لانشاء تلك المتاريس . وبلغ عددها خمسة عشر مترساً ، وضع في كل منها الف رجل ، ثم جي بالمدافع والهاونات . (١٧٧)

ان تطويق مدينة الموصل كان امراً عسيراً على نادرشاه وجيوشه ، نظراً للتعقيدات التي تميز بها الموقع الاستراتيجي لها في غرب نهر دجلة ، اذ كانت التلويح البعيدة تحيط بالموقع . لقد استطاع نادرشاه ان ينصب متارسه في غربي المدينة وجنوبها وعلى منطقة سهلية غنية بيسانين الفستق . .

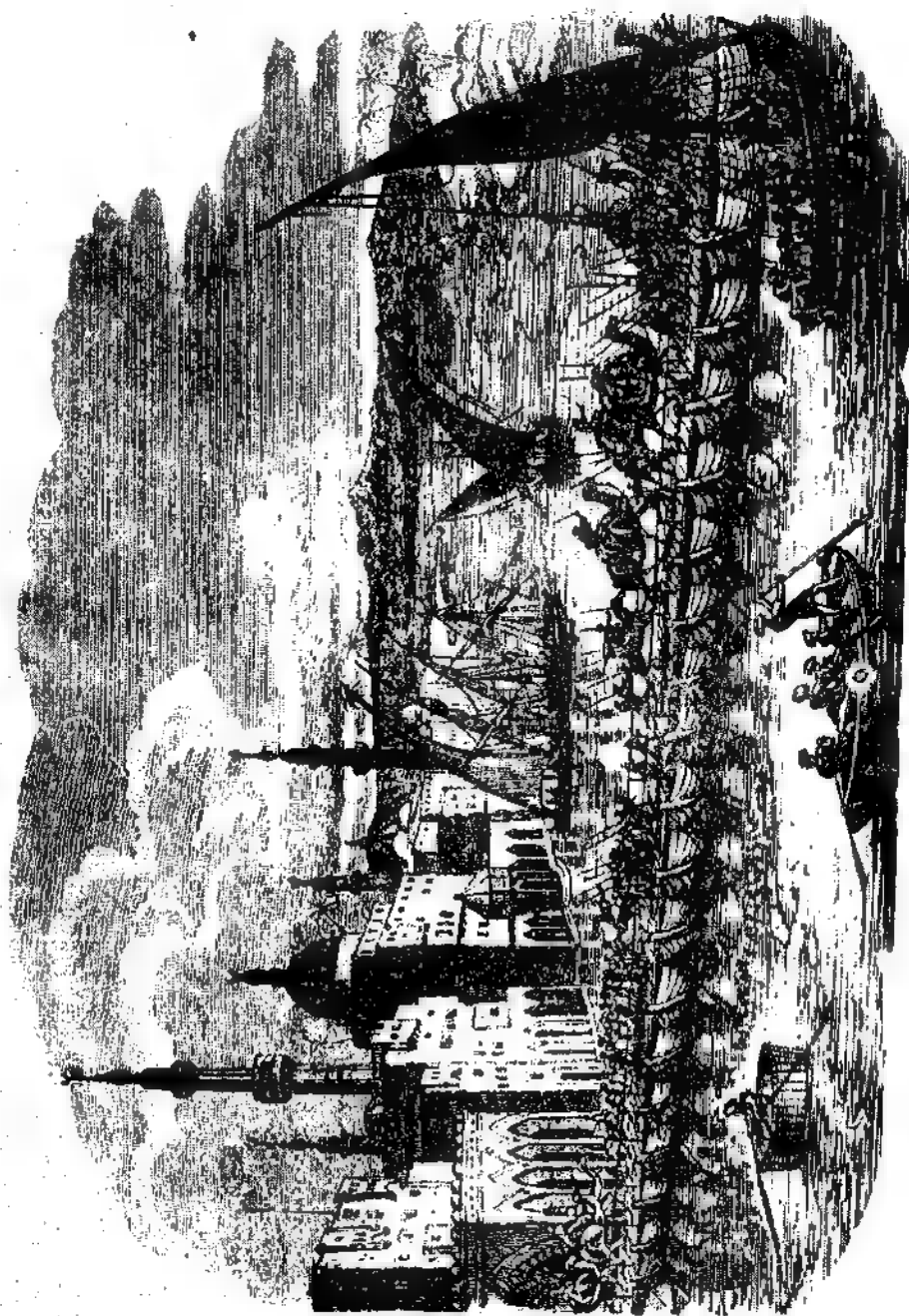
لقد وجه متاريسه نحو شرق المدينة وشمالها المتميز بالارتفاع النسبي والذي تقوم عليه (قليعات الموصل) (= المدينة القديمة) وهي المطلة على النهر مباشرة اطلالة مرتفعة، في حين يشكل نهر دجلة فاصلاً جغرافياً منيعاً، فالجانب الشرقي الذي يقابل الموصل القديمة لا يستوي مع الارتفاعات الجانب الغربي، مما يجعل جيش الموصل هو المسيطر استراتيجياً على مختلف النواحي المحيطة في شرقي النهر، أوفي جنوبي المدينة. لقد قدم الموقع الجغرافي للموصل خدمات عسكرية - استراتيجية باهرة، عكستها النتائج الكبرى التي خرج بها الحصار - الخطير.

١٢ - الهجوم الإيراني الكاسح على الموصل:

١ - القصف المدفعي الشديد:

اصدر نادرشاه اوامره بالمهجوم المدفعي الهائل من برج عملياته الحربية الذي اتخذ على رابية القاضية في الطرف الايسر من دجلة والذي جعله مقراً له للمراقبة ولجلس حربه، ففي فجر يوم الجمعة، ومع انبشاق خيوط النور من ٦/ شعبان / ١١٥٦ = ٢٥ / ايلول / ١٧٤٣ م اشتعلت النار، وهاجت السماء، واهترت الارض من عليها، واخذت القذائف تنصب بلا حساب على المدينة واسوارها وجنبتها الداخلية وقلاعها من المدافع وماوناتها. . . وقد وصف اكثر من مصدر وثائقي حالة الموصل المحصورة داخل اسوارها في تلك اللحظات الحاسمة من تاريخها المرتبط بحياة العراق، وهي تتلقى آلاف حمم القذائف المتساقطة اكداماً عليها فتحيل الارض الى بحر من نار. . . وترك وصف ذلك اليوم لاحد المؤرخين الذي كتب يقول: « . . . كان يوماً عبوساً قمطيراً بحيث يرى الناظر ان السماء امطرت نارا على الارض، وهاجت الحرب، وهاجت الارض، وعلا الصراخ، وكثر الرعيد كالصواعق». (١٧٨)

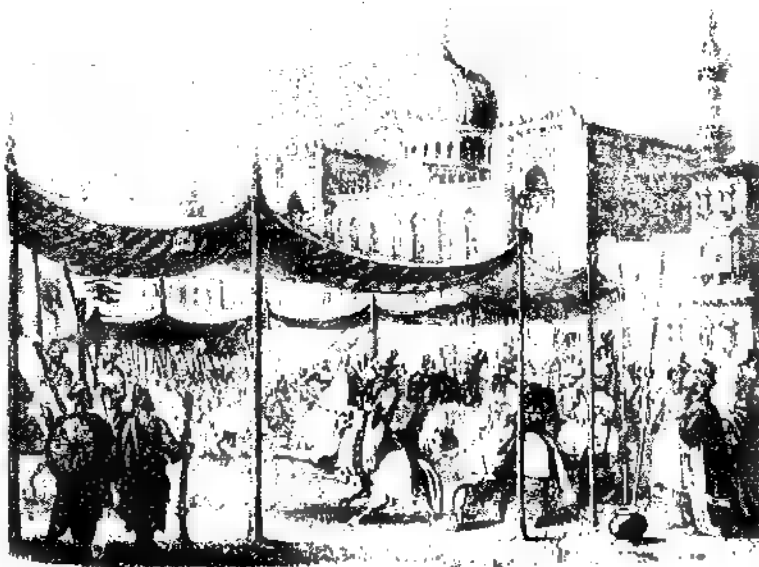
قابلت الموصل ذلك بمدافعها ايضاً مع اطلاق الرصاص، واستمر القصف المدفعي الإيراني الشديد ثمانية ايام بلياليها، كان الهول فيها عظيماً. . . الدور تحطم واسطحها تنحرق، والاحجار تنطابر، والاجساد تتمزق، واصبحت الدنيا تراباً وغباراً مع انصباب القذائف ونيرانها على الشوارع، البوت، الجوامع، القلاع، الخانات، الاسوار، دوائر الحكومة والباشوية، الازقة، المساجد، المدارس، الاسواق والحارات (١٧٩)



جسر الموصل في ١٨٢٥



موق في الموصل سنة ١٢٣٢ هـ = ١٨١٦ م (رحلة بكنكهام)



موكب خروج الباشا من جامع السراي ١٢٣٢ هـ = ١٨١٦ م (رحلة بكنكهام)

لقد كان تأثير القنابل المنصبة على المدينة وشظاياها قوياً جداً في دماره (١٨٠) . . وقد يبلغ عدد القنابل التي اسقطت خلال ثمانية أيام خمسين ألف قنبلة. (١٨١) واستمر حال هذا الهجوم الثقيل حتى ليلة ١٥ شعبان، (١٨٢) دون أن يتزعزع موقف اصحاب الدفاع ويقوا يحتفظون بمعنوياتهم العالية، وصمودهم البطولي.

٢ - الثغرة وعلاجها الحاسم: المخطط التاريخي الحرجة

لم تقتصر مدفعية نادرشاه أثناء إلقاء حممها المتواصلة الثبات في مكان واحد، فبعد ثلاثة أيام من بدء الهجوم ركزت المدافع نيرانها نحو غرب المدينة بعد أن كانت في جنوبها وحدث أن تهدم جانب من السور الغربي قرب باب سنجار، فعولج امره، وأصلح في ليلة واحدة باهتمام يفوق التصور، (١٨٣) واستخدمت الأكياس الرملية التي كانت قد أعدت مسبقاً، (١٨٤) وعادت المدافع والآليات والماونات هذه المرة لتصب قذائفها على شمال المدينة وسورها الشمالي المتصل بقلعة «باش طابية» العالية، (١٨٥) التي تمجثم قاعدتها في جرف من الهاوية على دجلة، وتتصل من خلال قاعدة أخرى على سطح مرتفع عال، ويشمخ برجها ونوافذه بحوافره واختايطه مطلقاً على كامل الاطراف في داخل المدينة وخارجها . . .

استمر القصف الإيراني دون رحمة، وقد بدا كثيفاً ومركزاً على هذه القلعة المنيعة والسور المتصل بها، وقد وقعت عليها آلاف القذائف، فتداعت بروجها ونهاوت بعض جوانبها (١٨٦) . . . أما السور الذي يتألفها فقد تصدعت أقسام منه، وبدأت ثغرة عريضة واضحة للعيان في جانب منه، أخذت تتوسع شيئاً فآخر بحيث تمكنت خيالة الأعداء من اجتيازها، وتدفقت عبرها رجالهم من المشاة تبغي الوصول الى قلب المدينة، وبرج قيادتها (١٨٧) . . . ولم تفد في هذه اللحظات مقاومة المدافعين في هذا المكان المتداعي، فكان موقفاً غاية في الخطورة، لم يسعفه، وينقذ المدينة منه إلا مجيئ الوالي نفسه على وجه السرعة الحافظة، معززا المقاومة وقتال الأعداء، (١٨٨) فاستطاع أن يدفع بالمهاجمين الى الوراء، وصد التداعي الحاصل في وقت اشتدت فيه مدفعية الأعداء بالتركيز على الثغرة . . . وبدأ البناء والشغلة في اعمال البناء لسد هذه الثغرة الخطيرة، وكان الذين يتقدمون للعمل السريع تأخذهم شظايا القنابل المنصبة في هذا المكان بالذات صبا

فيتطايرون، وتتمزق اجسادهم اشلاء، فهرب البعض وتراجعوا من هول النار وشراراتها وشرورها (١٨٩). . وكاد يعصف الامر ويختلط الحابل بالنابل، الا ان الوزير الوالي صاح بالجميع بأعلى صوته يثير هميتهم وغيرتهم على شرفهم ودينهم ووطنهم وينادي: «هذا يوم الفوز. ابواب الجنة قد فتحت لمن يسقى كأس الشهادة.»، (١٩٠) فاندفع الجميع دون تردد والنار والاحجار تتساقط فوق رؤوسهم، والوالي معهم بعد ان هانت عليهم نفوسهم، وضجوا بتهايلهم القدسية. «وعادت الحشث تتقطع» والرؤوس تتدحرج، وهم مع الوزير في يوم تذهل فيه كل مرضعة عما ارضعت. وعادوا بعد ان كانت الهزيمة قاب قوسين أو ادنى كلما انفتح جانب من السور سدوه بفرارات التراب ووضع اجسام القتل عوضاً عن الحجارة، (١٩١) بحيث تمتزج اوصال من تتلقفه النيران مع البناء، فتعالى السور الشمالي للبلد من جديد من اجساد الشهداء والتراب المضرج بدمائهم. . وتم علاج تلك الثغرة بأعجوبة، اذ ينذر ان تحكم القبضة من جديد على الوضع امام خطر قد تحقق فعلاً من قبل العدو. (١٩٢) وسدت الثغرة باحكام بعد ان تكدست عندها اشلاء الصرعى. (١٩٣)

ويتضح لمؤرخ الحصار، الدور القيادي للرجل الذي انقذ الموقف، وحسم امر الثغرة، وصد التداعي. ولم يتطلب ذلك الا ساعات قلائل، ولو فاته ما حدث لفضي على السور الشمالي بأجمعه وتهاوى حطاماً، ولكن قد انتهى امر المدينة وبسرعة خاطفة، ولفعل فيها نادرشاه ايران ما لم يفعله هولاءو التتار ببغداد سنة ٦٥٦ هـ/ ١٢٥٨ م.

٣- موقف الموصل ودور قيادتها:

بعد انقضاء ثمانية ايام بلياليها كاملة من الهجوم المدفعي العنيف، وما تعاقب خلاله من احداث دامية، وهول نفسي شديد من تأثير قوة الانفجارات والشظايا المتطايرة، وانبيال الاحجار فوق الرؤوس. . لم تكن العيون تغفو، ولا السماء تصفو، ورغم كل هذا وذاك الا ان الموقف العام بقي ثابتاً، وبقي القرار الواحد ساري المفعول وكان الصمود يحتل النفوس، وبدا الجميع وحدة مترابطة. . كل يعمل من موقعه الدفاعي المسؤول عنه، وكانت القيادة المتمثلة بكل من الوزيرين الوالي والمحافظ تتفقد الاحوال، وتزرع الهمم، وتبث روح الصبر والجهاد، وتفتش الطائيات والاسوار والابواب والمزاغل ليل نهار دون راحة

أو نوم، ويعاون الوالي في تلك المهام كل من أخيه وولديه وبقية الزعماء والأمراء والقواد، كما أن القيادة كانت تعقد مجلسها الدفاعي المشترك للتشاور ومتابعة الأمور ومراقبة الأوضاع عن كتب (١٩٤). . . وكان من أهم التكتيكات العسكرية التي اتبعتها قيادة الموصل، شحذ عزيمة المدافعين وتشجيعهم بأن أيام ورود جيوش الامداد العثمانية الكبرى من الدولة قد قربت، (١٩٥) إذ كان لذلك اثره المعنوي في الحفاظ على جلادة القلوب، ومتانة الموقف الداخلي من الناحية العسكرية.

١٣ - الحرب الاقتصادية :

خلال أيام الهجوم المدفعي العنيف الذي كان يدور رحاه . . كانت قوات ايرانية تجوس القرى والمراكز والنواجع والجوامع والمزارات والاديرة المأهولة بمن تبقى فيها من السكان والمنشرة حول الموصل، وتفتك فيها فتكاً شنيعاً، مستغلة مواردها، ومستلبة محاصيلها وثرواتها الحيوانية، وناهية لما تحتويه بيوتاتها الصغيرة من الذخائر والمؤن . . وقد سبب كل ذلك شقاء اقتصادياً مريعاً. ولم تسلم حتى المعابد المقدسة وبيوت الله، وما تحتويه من سجاد وستائر وشموع . . وقد قتل المئات من الفارين، وامتنع الاسرى من الباقين في عمليات حصار الموصل، ولم يبق نادرشاه شيئاً حياً الا واحرقه أو استعمله في صالح حربه، إذ لم تسلم حتى اعواد الاشجار بعد ان احترق اوراقها الوارفة الخضراء. (١٩٦)

كان صيف عام ١٧٤٣ م قد انهى ايامه في بدايات شهر ايلول، وكانت الحاصلات الزراعية من الحبوب وعلى الاخص الحنطة والشعير قد جنت منذ فترة قصيرة حينما وطأت اقدام نادرشاه كركوك، فلم يتسن للزراع بيع خزين المحاصيل تلك اما خلال ايام الصيف كما هي عادة الزراع من النهريين المنتشرة قراهم على حوافي دجلة، او البعيدة عنه من خلال جداوله فكانوا يستغلون اراضيهم الرملية الرطبة والغنية في زراعتها بأنواع خاصة من المحاصيل الآنية من ثمار الصيف، والخضراوات الزاحقة وأنواع البقول مستفيدين من انحسار المياه عن مساحات رملية واسعة. من هنا ندرك كم كانت ثروة اقتصاديات هذه المنطقة، وكم كانت حصيلة نادرشاه من خلال سيطرته على هذه القرى والمساحات، وما كانت تحويه من خزين الحبوب، وما تكتنزه الاراضي من محاصيل . . . هذا اذا علمنا بأن نادرشاه لم يتوان عن الاستفادة حتى من القش والتبن الذي جمعه وكذسه في آلاف الاكياس وذلك في عمليات حرب الحصار. (١٩٧)

وضمن اعمال الحرب الاقتصادية التي مارسها نادرشاه، محاولته الشريرة في قطع مياه نهر دجلة عن الموصل، وذلك من خلال تحويله لاحدى شعبتي هذا النهر والتي تمر بحاذية قلعة «قره سراي» شرقي المدينة، (١٩٨) اذ جرت هذه المحاولة عند موضع استراتيجي يقع في الحافة الشمالية لمسافة متباعدة من الاسوار، وعند مفترق كل من الشعبتين، وتفصل كل من الشعبتين (١٩٩) جزيرة كبيرة شاسعة، - اذ كانت طوبوكرافية نهر دجلة عند الموصل تختلف بصورة كبيرة عما هو الحال في يومنا هذا - فكان النهر يتفرع عند قرية «بحوي» (٢٠٠) القريبة من الموصل الى قسمين رئيسيين اثنين: (٢٠١) (انظر خريطة رقم ٣)

١ - الشعبة المائية الاولى:

وهي التي تمر بحاذية بأعماقها قلاع الموصل الشرقية على التوالي: قلعة باش طابية - قلعة قره سراي - القلعة الداخلية «ابج قلعة» - الجامع الاحمر. ومن اكبر الاحتمالات ان هذه الشعبة هي القسم الرئيسي من النهر للعمق الذي تتميز به اولاً، ولعراقتها وجغرافيتها التاريخية ثانياً.

٢ - الشعبة المائية الثانية:

التي تأخذ لها مجرى بعيد تتوضح ابعاده من الآثار التي تركها وهو المجرى المحاذي لمرتفعات القاضية، والمار ملتقاً حول اطلال نينوى القديمة غرباً ويلتقي بالشعبة الاولى في الطرف المقابل للصور النهرية للموصل، اي بعد ان يترك قلعة قره سراي وراءه. هذا اضافة الى تواجد شعبة ثالثة غير رئيسية (انظر خارطة فيلكس جونز).

تعتبر الشعبة المائية الاولى لدجلة هي المورد الرئيسي لحياة الموصل، واهلها، واقتصادياتها. . ويظهر ان محاولة نادرشاه قد نجحت الى حد ما، في وقت لم تفد خطة الوالي التي حفرت على اساسها القناة المائية حول القلعة الداخلية، اذ يؤكد اكثر من مصدر انه قد لحق من محاولة نادرشاه في قطع المياه ضيق داخل الاسوار ولقد سارع الوالي ببدء خطر الفوضى من نقصان المياه، فأمر بأن تتم السقاية من نهر دجلة في مناطق اخرى وعلى وجه السرعة، وتهيئة مستلزماتها من الاخشاب والدلاء والاحواض ونصاب من العاملين (٢٠٢). . ولكن هذه الخطة بادت بالفشل ايضاً اذ قابلت قوات الشاه الايراني المتربصة ذلك الامر، بما اعطته من

نيران بنادقها وآلياتها الموجهة على حوافي النهر (٢٠٣). مما جعل المواصلات لأن
يخفصوا من استعمالهم للمياه، ويمتنعوا عن السقاية النهرية، وشددوا من
تقشفهم باعتمادهم على مياه الآبار الصغيرة والكبيرة داخل المدينة. (٢٠٤)

نستفيد من هذا كله كلاً من الأمرين التاليين:

- ١ - عدم فاعلية وجدوى القناة المائية التي كانت الموصل قد امتتها حول القلعة
الداخلية، لكي يجري الماء فيها، اذ لم يستفد منها خلال هذا الظرف القاسي.
- ٢ - ان نادرشاه قد سيطر وبصورة مطلقة على حوض نهر دجلة، ويجري النهر من
خلال مياهه أولاً، والملاححة فيه ثانياً، والأراضي التي حوله ثالثاً، واستعمالاته
لأغراض الانقاذ الاقتصادي والبشري والعسكري ان طال الحصار اكثر مما
كان عليه رابعاً.

١٤ - محاولات إيرانية أخرى:

لم تفد جميع المحاولات الحربية والاقتصادية التي اجراها نادرشاه لكي يسيطر
على الموصل سواء في دخوله اليها عنوة أو استسلامها، فقرر تنفيذ خطط أخرى.
كان احدى مشاريعه الكبرى يقضي بدخول الموصل عبر انشائه لنفق تحت الأرض
يربط خارج المدينة بدخلها من جهة البر، ولم يكتب لهذه المحاولة
النجاح (٢٠٥). وكانت اسطنبول العاصمة العثمانية قد ارسلت الى الموصل احد
اشهر مهندسيها واسمه مصطفى باشا، الذي وصلها اثناء حصارها من قبل
نادرشاه، وقد قبض عليه الايرانيون ليستفيدوا من خبراته الحربية - الهندسية وقد
هلل له اهل الموصل « كونه احبط مشروعا غادرا آخر لنادرشاه يقضي بشق نفق
تحت نهر دجلة يبدأ من الساحل الايسر وينتهي الى قلب المدينة المحاصرة بعد
اختراقه اعماق مجرى النهر ويشق السور الشرقي (٢٠٦) للموصل. (٢٠٧) ومن
محاولات نادرشاه الاخرى، اضرامه للنار عند ابواب الموصل وذلك اثناء زحفه
الكاسح، فكان ان ردت الريح تلك النار على اصحابها ومضرميها. (٢٠٨)

١٥ - محاولة تفجير اسوار الموصل والاقحام الإيراني:

لما يش نادرشاه من تسليم الموصل له بعد كثافة هجوم المدفعية، وغزارة
القذائف التي انصبت عليها، قرر ان يكتسح المدينة اكتساحاً سريعاً من خلال
تفجير الاسوار، واستعمال السلام وتقدم كافة فرقته العسكرية بمساندة المدفعية،

وذلك من الجانب الغربي للمدينة في منطقة تمتد من باب سنجار حتى قضيب البان وعبر السور الذي يربط بين هاتين النقطتين، وصرف ثمانية ايام في اعداد هذه الخطة الحاسمة، واستطاع ان يلغمها بأربعة الغام بارودية كبيرة. . اثنان تحت السور المار بباب سنجلز، والآخران تحت السور الذي يشرب من قضيب البان (٢٠٩) (لاحظ الخريطة المرفقة رقم ٤).

استطاع المغمون ان يعبروا في عملياتهم تحت الارض، ونجحوا في حفر أربعة انفاق كبيرة وطويلة تبدأ من جانبهم وتتواصل حتى تلتقي بقاعدة السور وأساسه؛ ثم ألقت احشاء هذه الانفاق الطويلة بكميات هائلة من البارود. (٢١٠)

كان نادرشاه قد وصل الى ناحية العمليات هذه، بعد عبوره نهر دجلة اذ كان في الطرف الآخر لحد هذه الفترة، وكان يراقب عمليات القصف من برجه الذي اتخذته هناك. . وكان قد ارسل غالبية افراد جيشه وخاناته وجنراته وخيالاته وقراته من المشاة واصحاب الرماح والبنادق والخنجر والسيوف لكي يستعدوا لاكتساح الموصل بعد تفجير الاسوار من خلال الالغام الأربعة، وقد تقرر ان تكون ساعة الصفر للتفجير والانطلاق مع الحióط الأولى من فجر ١٥ شعبان، بدءاً بالهجوم الكبير. (٢١١)

يقول تقرير القازوقجي الوثائقي بأن مترصدي الاطراف والانحاء من المدافعين قد التقطت اعينهم التحركات الإيرانية العسكرية العظمى في جنح الظلام، والتي كانت قائمة على قدم وساق في ليلة البراءة المباركة، ليلة الجمعة الخامس عشر من شعبان، (٢١٢) وان المئات من السلام المحمولة كانت تتقدم باتجاه الموصل، (٢١٣) وتحمل كل سلم ثلاثة أو أربعة انفار من الاعداء على مناكبهم (٢١٤). . كما شاهدوا ان جميع الجيوش الإيرانية من مشاة وخيالة كانت تعبر نهر دجلة الى الساحل الغربي، (٢١٥) فوصلت اخبار ذلك بسرعة إلى قيادة الوزير الوالي، فأسرع الحاج حسين باشا بتعزيز الموقف العسكري بتهيئة الاسلحة الخاصة وادوات القتال، ومستلزمات معارك الاسوار (٢١٦).

كانت ليلة قاسية لم يغمض للمحاصرين جنف فيها، كانوا ينتظرون فيها ساعات الهجوم على غفلة، وما سبحدثه ذلك الهجوم الكاسح وعدته وعدده. .

وما ستزول اليه الامور، (٢١٧) في حين كان اصحاب الالغام من الاعداء في انفالهم المرحبة يحسبون اللحظات ليضرموا النار في الخشوات عند مطلع الفجر، وكانت آلاف عديدة من جيوش نادرشاه قد عسكرت متأهبة على رقعة واسعة، انتهت تحتها تلك الاتفاق وما فيها من ركعات البارود. (٢١٨)

قراءة الساعة الخامسة من صباح الجمعة ١٥ شعبان / ٤ تشرين الاول، ضجت الدنيا، واعتزت الارض بمن عليها اهتزازاً قوياً انفجار اللغمين العظيمين وبصورة هائلة تحت الارض التي كان يجتشد فوقها الآلاف من جيش نادرشاه استعداداً للهجوم، فطير البعض، ونزق الآخر، وانقلبت الارض وأسا على عقب فطوئهم جميعاً بين احشائها، (٢١٩) ولم يصل سور الموصل المتباعد اية اضرار اذ بقي محفوظاً بقوة وارتفاعاته. (٢٢٠)

لقد كان سبب فشل الخطة وارتداد الانفجار على اصحابه، انه لما حفرت الاتفاق وحشها الاعداء بالبارود، توهموا انهم زرعوها عند السور المتعالي، ولم ينتبهوا الى انهم قد انتهوا في حفرهم الى حيث تقوم أسس سور قديم للموصل تحت الارض التي كان الآلاف من جنود نادرشاه يتأهبون للهجوم الغادر فوقها. .. اما اللغمان الآخران فقد تعطل مفعولهما عن الانفجار بفعل الآبار العميقة المحفورة على امتداد الخنادق المحاذية للسور من الخارج. (٢٢١) لقد دفع فشل محاولة تفجير الاسوار خطراً آخرأ كان يهدد المدينة المحاصرة في سورها الغربي، وكلف ذلك نادرشاه غالياً.

١٦ - معركة السلام والاسوار:

لقد وصلت الاخبار المزعجة لنادرشاه الذي كاد يمين جنونه لدى سماعه لها، لا سيما وان الارض قد مادت بعد انفجارها، وابتلعت اربعة آلاف من جنده وطوئهم تحت طياتها (٢٢٢). ولكنه لم يتوان عما كان قد قرره في اخذه لمدينة الموصل عنوة واكتساحها، وتذكر «ملحمة الموصل» بان فشل الاعداء في تفجير الغلغم قد اكسب المواصلة التشجيع والمثابرة. (٢٢٣)

بدأت الجيوش من الاعداء تتقدم مع كامل عدتهم، واسناد المدفعية لهم التي لازالت تدق بمطرقتها الموصل الآلاف من القذائف النارية والحجرية، (٢٢٤) وتواصلت افواج المشاة مع سلاحهم التي تحركوا بها على خط يمتد من باب سنجار

حتى قلعة باش طابية والباب العبدى، (٢٢٥) أي الجبهة الشمالية من المدينة بعد خسران جولتهم في الجبهة الغربية، وفشلهم الذريع بتفجير الاسوار.. وحملوا اثناء تقدمهم الى السور الشمالي بملا الخنادق بفرارات القش والتبن، (٢٢٦) ليتمكنهم ذلك من نصب السلام، والتسلق وتسهيل عملية العبور على الاسوار، وتدفعوا نحو السور الشمالي وبدأت المعركة غاية في العنف والقسوة على جوانب هذا السور القاتم، ولقد حمل المدافعون على الاعداء بالبنادق والمرميات والرماح، (٢٢٧) كما استعملوا الزيوت الحارة المعركة للاجساد، (٢٢٨) وقد تساقط من روائها المئات من الاعداء، واستعملت القنابل اليدوية التي امطرها الابطال من المدافعين على الاعجام. (٢٢٩)

لم يصب السور أي شيء من النيران الكثيفة من مدفعية الاعداء، وكان المدافعون يتلقون من يصعد على السلام بالسلاح الابيض، فتأخذ السكاكين والسيوف، فتطيرت من اثر ذلك المئات من الرؤوس.. كما وتناثرت الجثث من فوق السلام الى قاع الخندق.. ويصف شاهد عيان المعركة ان الدماء سالت انهارا كدجلة خارج السور، وكانت الرؤوس المقطعة مثل حبيب دموي يطوف على سطحه، في حين لم يلتفت الاعجام الى قتلاهم وجرحاهم، وتركوهم طعمة للموت أو التزييف والالام. (٢٣٠) وبقي الموقف ثابتاً حتى عصر ذلك النهار، وصمد المحاصرون جميعاً، وحطمت السلام، وقد استفاد المدافعون من مزاحلهم وهي الكوى أو الفوهات في اعلى السور، (٢٣١) وعلى امتداد وقفاته، اذ امطروا الاعداء من خلالها بوابل المتضجرات والطلقات والمياه الحارة. (٢٣٢)

كان يوماً تاريخياً حاسماً من عمر العراق، ولم تبخل الشمس بأشعتها الساحطة على اسوار الموصل التي تحطمت عليها جماجم الاعداء، وعلى ارض المعركة التي شربها الدم، وصبغها الاحمرار.. كان الموصليون جميعاً في حلبة الصراع الهائل قائمين، وقد شاركوا فيه بمختلف فتاتهم دون كلل أو تعب أو ارق بعد اسبوعين كاملين من القصف المدفعي الشديد واثره الفتاك، وكانت المعنويات عالية، وقاتلهم ضروس وكانوا ينشدون اغاني الكلبد الصوفية (٢٣٣) التي تخرج فيها التكبيرات الدينية والتهاليل القدسية.. كانت هذه الموسيقى وانغامها تنبعث ضابحة تارة ورخيمة اخرى من جنبات المدينة واسوارها فتحيل الاعداء رغم قوتهم واعدادهم الى ضعف وخور امام رهبة ما يسمعون، (٢٣٤) بمشاركة طبول الحرب

وعزفها الذي تشاركه اصوات المنائر واجراس الكنائس ، واستمرت اغاني الكلبند والتهليل تقض مضاجع الاعداء حتى طلب نادرشاه نفسه ان يتوقف عنها اصحابها وذلك قبيل رحيله فأبوا ذلك. (٢٣٥) وقد سجلت في هذه المعركة جهود وبطولات عدت من الفاخر الحربية الالامعة.

١٧ - المعركة النهائية الفاصلة وانتصار الموصل : الحاصر

تواصلت معركة السلام والاسوار بما صاحبها من عنف وايتار، وما رافقها من هدير ونار وغبار مع تطاير البارود والرصاص والجثث. . . ومع توالي ساعات النهار لم يحرز الاعداء أي نوع من التقدم في تسلفهم الاسوار أو في قتالهم بعد أن لبى المواصلة بلاء حسناً في اللود عن منبهم، وقد استشهد اثناء هذه المعارك عثمان ■ الجليلي ابن عم الوالي (٢٣٦) . . وخابت آمال نادرشاه بعد ان حطمت سلامه، في حين كان يدفع بالمزيد من القوات لتطحنهم عجلة الحرب الدائرة.

بعد فشل الاعجام بالسيطرة على السور الشمالي، اجتمع الآلاف منهم شمال المدينة وراء السور المذكور، واحاطوا بالقلعة، فتكاثفت جهود المدافعين وخرجوا عليهم من داخل الاسوار، ووثب آخرون من فوق الاسوار الى الخندق (٢٣٧) . . وانقضت الكتل المتراصة من رجال الموصل انقضاضاً سريعاً على تلك الحشود من الايرانيين، وجرت معركة ضارية بالسلاح الابيض، تقطعت فيها المئات من رؤوس المعتدين، وسالت الدماء انهاراً غزيرة. . . ويعلق احدهم من الذين شهدوا ساعات هذا القتال المحتدم بأن الفرس لم يروا واقعة اصعب من هذه. (٢٣٨) لقد وقف وراء هذه المعركة الباسلة الفاصلة والى الموصل نفسه، وكان يستمطر جيشه ورجاله وابناء بلده الحماسة والغيرة والذود عن الوطن ودين الله والشهادة في سبيل ذلك. (٢٣٩)

لقد استمرت هذه المعركة زهاء ثلاث ساعات ونصف الساعة، اضمحل بعدها العدو الفادر وتقهقر مندحراً، خاسراً آخر جولاته (٢٤٠) . . وقد اضطر قسم كبير منه لأن يلقوا بأنفسهم في الخنادق خلاصاً، فلم يحالفهم قدر النجاة، وتشتت من بقي حياً. . . وبدأ جيش الموصل المتواضع في عهده بأطلاق النار من الأسلحة النارية واهلك جميع الذين انزروا في الخندق. (٢٤١) ولقد ارادت خيالة العدو التي

تشكل خط الهجوم الثاني ان تحول دون تشتت وتراجع من فر من هول هذه المعركة، وكان بين الخيالة نادرشاه نفسه إذ كان قد اتخذ له منخفضاً هناك يراقب من خلاله اوضاع المعارك الدائرة أثناء ذلك اليوم العسير. فأراد منع الفارين والمنسحيين والاحالة دون التراجع. ثم ما لبث ان اخذ جواده وامطاه واسرع به ذات اليمين والشمال يتنادي بقواده عساه يستعيد الانفاس من جديد (٢٤٢) .. ولكن فات الاوان، وضاع الامر وانتهى كل شيء في صالح المدافعين اذ رفعت قواته المتبقية من المشاة السيف في وجه الخيالة لتجد لها طريقاً للهروب، وقد خسرت الخيالة المنهارة جولتها ايضاً. (٢٤٣)

لقد تكاملت سبع ساعات على المعارك واختلط النهار بالليل، وفي الساعة الثامنة ليلاً هبت نسائم النصر العظيم، (٢٤٤) وارتفعت اصوات الشكر لله علماً تعانق السماء القريبة التي وقفت مع قلوب من تعلق بها. . وضجت المدينة في داخلها نساء ورجالا، شيوخاً واطفالاً تسبح بحمد الله وملكوته، وتعالى مرة اخرى اصوات منائر الموصل الرخلمية الشاهقة، ورافقتها اجراس الكنائس تدق دقات النصر (٢٤٥) . . .

يظهر لمن يقف دارساً هذه المعركة، ويحلل نتائجها من خلال المصادر التاريخية والوثائقية المتوفرة انها كانت معركة حاسمة تتجلى فيها الضراوة كعنصر اساسي من قبل المدافعين فهي مسألة موت أو حياة ومستقبل بالنسبة لهم، وقد وصفت وثيقة (اسبينول) Aspinwell هذه المعركة انها مجزوة رهية بين الطرفين المتحاربين، والتي وصفت المدافعين بالافذاذ البواسل، (٢٤٦) وتؤيد ذلك مصادر اخرى. (٢٤٧) ويظهر ايضاً ان نادرشاه قد قدم في هذه المعركة من مقاتليه طلائفة الفزياش من الشيعة التركمان الذين كانوا يؤلفون ركناً كبيراً في جيشه (٢٤٨) . . . كما ويظهر ايضاً ان نادرشاه - كما اكده اكثر من مصدر وثائقي - قد خسر في هذه المعركة الفاصلة وبضمنها معركة السلام والاسوار خمسة آلاف واربعمائة مقاتل من ذوي العمائم الحمراء التي بقيت ملقاة على مساحة المعركة المنسرجة بالدماء (٢٤٩) وإذا أضفنا هذا العدد الخامس من قتل نادرشاه الى من قتل في الخنادق أو احترق بفعل المياه والزيوت الحارة اضافة الى اربعة آلاف قتيل كان نادرشاه قد خسرهم في صباح نفس اليوم عند انهيار الالغام وانقلاب الارض عليهم بعد خسفها فيكون

الاجمالي العام لخسائر نادرشاه البشرية وخلال يوم واحد من ايام الحصار هو اكثر بكثير من عشرة آلاف قتيل . الامر الآخر الذي تعالجه الذاكرة بأعجاب منقطع النظر هو رهبة وسطوة القوة البطلة وثباتها ، والتي شفت غليلها بمنزلة العدو خارج الاسوار ، واستبسالها في اثنائه وقتيله ثم اجتياح قلوه المنهارة ، ورغم قلة عددها بالمقارنة مع قوى المهاجمين الا انها بقيت خلال ساعات النهار الطويلة متوقفة حية ومقتدرة لم يصبها تعب أو كلال أو ضعف وخور . (٢٥٠) وقد استشهد من المدافعين خلال معارك ذلك اليوم عدد قليل ، اضافة الى بعض الجرحى . (٢٥١) علماً بأن «صالنامه الموصل» تذكر بأن اورطات انكشارية الموصل لم تفقد اي فرد من بين افرادها خلال المعارك الطاحنة . (٢٥٢) من ناحية اخرى ، اذا ما قارنا طبيعة هذا الحدث وانحصار المعركة الاخيرة الفاصلة بأحداث حصارات تاريخية شهيرة مررنا بها ، (٢٥٣) فانا نجد فيها فريدة الحصول ، اذ لا يستطيع أي جيش من جيوش الدفاع ان يتوكل في عز هجمة الآلاف المؤلفة من الاعداء خارج الاسوار ليقاتلهم ويدحرهم على النحر الذي رأينا . ومن النتائج الهامة الاخرى التي كسبها المنتصرون هي المغنم وما خلفته هذه المعركة من عزة حرب واسلاب ، فقيدها احرزوا عدداً كبيراً من البنائق والسيوف ، اضافة الى سحبهم السلالم التبقية والقائمة على الاسوار ، وما تبقى في ارض المعركة من ادوات الحرب الفارسية . . . وفاز الفقراء بأسلاب الجيش . (٢٥٤) وبانتهاء الدقائق الاخيرة على هذه المعركة الضروس اسدل الستار على الاهداف التي من اجلها بدأ زحف الحملة الايرانية الكبرى ، اذ سدت هذه المعركة كافة الابواب بوجه نادرشاه .

١٨ - المفاوضات :

عاد نادرشاه ادراجه الى مخيمه بعد ان عبر دجلة الى طرفه الايسر مع جيشه المنهار والاعداد الهائلة من الجرحى . . اما ارض المعركة فقد تراكت عليها تلول الرؤوس المقطعة مع آلاف الاجساد من قتلاه . (٢٥٥) وادغم الليل المتعب سدوله وهدأت الحركة ، وهيجت الانفس ، وصفت السماء من هيجان التراب ، وسطع القمر المتكامل بلزغاً في كبدها ، واضاء بنوره الوهاج جنبات الموصل واسوارها ، ورسوم على صفحات دجلة المتعوجة وخلجاته المنسابة انمكاساته المادلة هنا والبراقة هناك . . . وما ان طلع صبح اليوم الثاني على تلك المعركة الحاسمة حتى سكن كل شيء ، فقد عادت الحياة تستعيد انفاسها ، اذ ابطلت النيران ، وسكنت

المدافع وتوقفت اصداؤها، ومات ازيز الرصاص، وجمع التراب، وحدثت الحرائق. ووجدت الطيور لها طريقاً لتحلق عالياً في السماء البعيدة. وصوت الفرقة قلوب المدافعين كبيراً وصغيراً وتعالصت اصوات صلوات الشكر والتضرع لما تحقق من نصر في اليوم السابق (٢٥٦). اما نادرشاه فقد جلس على ذلك التل العالي لضريح قاضي كند، وقد رافقته الحمية والمرارة وهو ينظر الى تلك المدينة الباسلة التي تقابله في الطرف الآخر من دجلة ولا زالت بمناظرها وقلاعها وابراجها واسوارها (٢٥٧). وما كان مصداقاً انها مرخت طقواته وجبروته في تراب رقعته الشمالية، وهو الامبراطور الذي ما انكسر ابداً في حروبه العظمى التي خاضها في اصفق الهند واراضي جورجيا وارمينية وجبهات كرمها (القرم)، واطراف تركستان ونيراته المتأججة مع الروس حول قوقاسيا ومع العثمانيين حول العراق واذربيجان واناخوليا. فلا ريب في ذلك فهو كسل وصفه الصنيد من المؤرخين الاوربيين كونه «آخر الغزاة الآسيويين العظام» (٢٥٨). انتبه نادرشاه من آلامه، فطوى نظراته ونهض طالباً ان يحفظ له ماء وجهه في هزيمته خوف استعداء نفس من قاتل بهم تحت قيادته، وحفظاً لحيته في بلاده نفسها، ثم كسباً لموقف سياسي كـ «متصالح»، اذا ما دخل في مفاوضات سياسية مقبلة مع العثمانيين على المستوى الدولي. هذه هي الاسباب التي - اراها - دعت لان يرسل سفيراً من عنده الى والي الموصل الوزير الجليلي والي المحافظ الوزير الفاروقجي ويهده كتاب من نادرشاه طلب اليها فيه «ان يرسل اليه رجلين من عقلاء اهل البلد، لانه لنا معكم بعض مكالمات»، كما ذكره حرفياً (٢٥٩). ولما قرأ طلبه رد السفير الى نادرشاه بأن ليس لديها واهل الموصل اهل في الصلح، «اذ ان العزم ماض لا حقايق الحق» (٢٦٠). فرجع السفير الايراني خائباً، فاستفسر نادرشاه منه عن الاحوال الداخلية للبلد واهلها، فاجابه بأنها لم تؤثر فيها ما ألقي عليها من قنابل، وهي عامرة بأهلها الذين لا يزالون اصحاب يقظة وضراوة (٢٦١). فدهش نادرشاه، ودعاه الامر لان يقدم التماساً آخر اشد تواضعاً، واكثر توضيحاً، فأرسل سفارته الثانية الى الموصل وحملت معها كتابين الى كل من الوزيرين المذكورين ايضاً، قال فيهما: «لم يكن مرادي مجرد الحرب، بل تنفيذ مدعياتي الواقعة في خصوص اثبات المذهب الجعفري» (٢٦٢). وقد ادهى نادرشاه في كل من الرسالتين انه قد ارسل بهذا الخصوص محمد كنداده والي بغداد الى العاصمة العثمانية (٢٦٣). وهذا يظهر الاتفاق الدبلوماسي بين كل من والي بغداد ونادرشاه (راجع فقرة (١)) موقف والي بغداد - من هذا الفصل) . . . ويتابع نادرشاه قوله: «والآن قد شطبت

على صحيفة القتالة والمحاربة بقلم مضي ما مضي، وفرغت منها. (٢٦٦) وأكد مرة أخرى بأوسال الرجلين من اعيان الموصل اليه، وقد اعتمد كل من الوزيرين هذا الطلب اسماً لفض النزاع القائم بعد زوال ظنهما بغدر نادرشاه فأرسلا اليه وفداً من ثلاثة اعيان هم قاضي الموصل، ومفتي الشافعية وأحد الزعماء العسكريين (٢٦٥) . . فعبروا نهر دجلة ووصلوا الى السراشق الملكي لنادرشاه فتلقاهم حنجا به ودخلوا عليه فاستقبلهم استقبالا حسناً وأثنى عليهم وعلى ثباتهم ومثانة قلوبهم، وأرسل بتحياته الى الوزيرين المشار اليهما (٢٦٦) . . وقد جرت محادثات مطولة بين الجانبين - كما يتبين - وقال للوفد مشيراً الى الوزيرين: «فان

رضياً بالصلح ودفع القبل والقال فهو مطلوب، وإذا كان مرادهما القتال والحرب فليظهرا ما عندهما ومهما اختاره من احد الامرين يجران ما يختارانه الى الدولة العلية» (٢٦٧) . . وأدعى نادرشاه ادعاءً ليس له صحة من التحقيق بعد ذلك اذ انه حسبما ذكر سيقم قرب بغداد، منتظراً ملاقة المسافر العثمانية وان يدخل معها الحرب فان غلب على امره رجع الى بلاده، وإذا انتصر فانه سوف لن يتخل عن الموصل «فهي ملكي» - على حد تعبيره -، (٢٦٨) ونهض نادرشاه من مكانه وخلع على هؤلاء الرجال الثلاثة من وفد الموصل الهدايا الفاخرة ثم تركوه ودخلوا على مستشاره الديني وشيخ علمائه ملا باشي علي اكبر الذي خرج لاستقبالهم من خيمته ورحب بهم وكرمهم «وجرت محادثات معه اثنى فيها على شجاعة بطل الحصار، وان الشاه يؤمل ان يقتني عدداً من الخيول المندوحة لحضرة الوزيرين . . . ففهم مغزى هذا الطلب كونه بمثابة المصالحة (٢٦٩) . . وفي اليوم الثاني رجع الوفد صباحاً الى الموصل، وتحدثوا بما جرى في حين كان الاعداء يرفسون طابعاتهم ومدافعهم وهوازينهم . . . وارسلوها الى يارمجة» (٢٧٠)

قرر الوزيران اسكات نادرشاه سلباً بعد ان وصلهم من حديثه، ورفعوا لابرار حربه وآلياتها واستعداده للرجوع خائباً خاسراً جميع جولاته بأن ارسلا له ثمانية من الجهاد العربية المطهمة، (٢٧١) كما ارسلا رأس بلا رخت لكل من خاناته المقربين: مصطفى خان، ومعمار باشي، وميرزا بك، وعبدالكريم بك. فسر بذلك نادرشاه سروراً عظيماً واطلق جميع الاسرى الذين كان قد قبض عليهم في تقدمه ومعارك كل من الكوماندوز والحصار . . . وارسلت الاسرى الى الموصل، (٢٧٢) برفقة هدايا ثمينة منه لقيادة الموصل وحكومتها.

١٩ - رحيل نادرشاه وتقهقر الايرانيين :

في اليوم الرابع من شهر رمضان / ٢٣ تشرين الاول، رحل نادرشاه عن الموصل وتوجه لي نفس الطريق الذي سلكه في زحفه العاتي. . . وفتحت ابواب الموصل، وتنافس الناس الصعداء عقب حرب الحصار وما تحقق من انتصار الذي صنعتة كافة فصائل وقطاعات البلد. . . وعاشوا افراح النصر الكبير اياماً طويلة، وهم يحملون لازالة آثار العدوان الايراني، وما سببه القصف المدفعي في المباني والاعمال. (٢٧٢)

تقهقر نادرشاه مع جيشه ومجلس حربه وزوجاته جنوباً، (٢٧١) وخيم قرب كركوك فترة ثم انسحب منها الى جنوب العراق ليزور العتبات المقدسة في كربلاء والتجف الاشرف بعد ان بعثر جيشه في اماكن عديدة (٢٧٥). . . وقد طلب من والي بغداد احمد باشا ان يجهز أحد علماء السنة الكبار، ليكون حكماً نزيهاً في المناظرة الدينية أو المؤتمر الذي دعا اليه نادرشاه يحضره العديد من علماء الدين في العراق في محاولة لتبديد الاختلافات المذهبية. (٢٧٦) ولم يتوصل المؤتمر في مناقشاته الى نتيجة، في حين كان نادرشاه يفاوض على معاهدة سلام مع احمد باشا، وهو الشخص الوحيد الذي بقي له مفاوضاً. (٢٧٧) ورغم ما يقال ان نادرشاه قد تخلى عن مذهبه بعد فشله، (٢٧٨) ولكن ليست هناك أية دلالة تاريخية تؤكد تخليه عن مطالبه الدينية بعد فشله الدريع في تحقيق مطالبه السياسية في التوسع والسيطرة على العراق.

عاد نادرشاه الى بلاده بعد اخفاقه في حملته الكبرى على العراق من جميع الوجوه اذ لم يحقق حتى على وثيقة سياسية تحفظ له قدره السياسي. . . وكانت أعمال السخط والشغب قد عنت ايران، (٢٧٩) وكثرت الاضطرابات في انحاءها فعاد ليمالج الاوضاع الداخلية المستفحلة وليستعد من جديد لمواجهة العثمانيين، (٢٨٠) ولكن في مكان غير العراق والذي لم يطأ اراضيه مرة اخرى ابداً.

٢٠ - نادرشاه بعد فشل الحصار - برواية شاهد عيان - :

اجل نادرشاه جيوشه عن الموصل - كما علمنا - ورجع يمر اذبال الحية فوصل قسبة الاعظمية قرب بغداد. وقد عرض الصلح على الوزير احمد باشا والي بغداد، تنازلاً عن شروطه المتقدمة، وفي نفسه رغبة شديدة «وذلك لما شاهد من

ثبت أهل بلدان الاسلام، وقوة هزمهم... (٧٨١) فأجابه أحد باشا بالقبول، إذ أرسل اليه مساعدته الأمير محمد باشا والأمير سليمان باشا، معزراً إياهما بكتابته الديوان ولي الخدي، فعقد الصلح بين الطرفين مشروطين عليه الارتحال عن أرض العراق، ويوسلون بذلك إلى البلاط العثماني، فإن قبل بذلك فيها، والا فإن قرار الحرب سيحمل من جديد كرة أخرى... فرضى نادرشاه بذلك..

لقد زار نادرشاه كل من النجف الأشرف وكربلاء، وادعى خلال ذلك أنه خدام من أهل السنة والجماعة «إذ أظهر نفسه سنياً - على حد تعبير عبدالرحمن السويدي» (٧٨٢) - وقد أرسل إلى الوزير أحمد باشا وإلى بغداد يطلب منه عالماً من علماء السنة، وقد فهم من طلبه هذا أنه يريد للمناظرة مع علماء المعجم في جيشه فاختار الوزير الشيخ عبدالله السويدي صاحب كتاب «الفتحة المسكية في الرحلة الحكيمة» والتي ينقل ولده عبدالرحمن السويدي عنها المعلومات التاريخية النادرة وقد سجلها في كتابه «حديقة الزوراء».

لقد أجرى الشيخ عبدالله السويدي مع الوزير أحمد باشا مذاكرة بخصوص ذلك الأمر، عملاً بماه آراءه فيها هو مقبل على طرحه مع علماء المعجم... وسجل الشيخ السويدي ذلك اللقاء الذي أجراه مع نادرشاه ووصف تفاصيله، إضافة لوصفه نادرشاه الذي كان يجلس في خيمته الكبيرة التي يمحطها سراق كبير من الجليان، ويحرسه نحو أربعة آلاف مقاتل ليل نهار.

كان استقبال السويدي في خاية الترحيب من قبل حاشية الشاه الذين اصطحبوه لملأفة نادرشاه، وهم «معيار الممالك حسن خان، ومصطفى خان، ونظر علي خان، وميرزا زكي وميرزا كافي... وكان معيار الممالك هو وزير نادرشاه، كرجي الأصل... أخذوا الشيخ السويدي ضمن برقوقول، الخاص لتلك المقابلة التاريخية، ومشوا به بين الأروقة... حتى وصلوا به إلى خيمة نادرشاه، فلما وقع بصره عليه رحب به ثم تقدم السويدي إليه، وعن يمينه جميع الخانات، وعن يساره عبدالكريم بك مسكوتيره الخاص، يقول في مخطوطته «الفتحة المسكية...» في وصف نادرشاه: «فرايته رجلاً طويلاً، كما يعلم من جلسته، حل رأسه قلنسوة مربعة بيضاء كقلانس (المعجم) وعليه عمامة من المرعزي مكللة بالدر والياقوت والاملس وسائر نفائس الجواهر، وفي عنقه قلادة

الدر والجوهر وعلى عضديه كذلك الدر والالاس واليواقيت منقطة على رقعة
مربوطة بعضده - ويلوح وجهه اثر الكد وتقدم السن، حتى ان اسنانه المتقدمة
ساقطة، فهو تقريباً ابن ثمانين عاماً، ولحيته سوداء مصبوغة بالسوسمة لكنها
حسنة، وله حاجبان مقوسان مقرونان، وعينان يملآن الى الصغر قليلاً، ■ انها
حستان والحاصل ان صورته جميلة، فحينما وقع نظري عليه، زالت هيته عن
قلبي وذهب عني الرعب. (٧٨٣)

كان نادرشاه يجيد اللغة التركمانية، وقد خاطبه سائلاً عن الوزير احمد باشا
والي بغداد، ثم عقب قائلاً: «ان في مملكتي فرقتين: (تركستان) و(افغان) يقولون
(للايرانيين): «انتم كفار». فالكفر قبيح، ولا يليق ان يكون في مملكتي قوم يكفر
بعضهم بعضاً. فالآن، انت وكيل من قبل جميع المكفرات، وتشهد على الفرق
الثلاث بما يلتزمون، وكل ما رأيت أو سمعت تخبرني به وتقله لـ احمد
خان». (٧٨٤)

ثم خرج من عند نادرشاه، فلقبه في الطريق مفتي الافغان الملا حزة القلجاني
فقال له الاخير: «يا سيدي! اياك ان تغتر بقول الشاه، وانما ارسلك الى الملا
باشي ليباحثوك في اثناء الكلام... فاحترز منه...».

لقد جرت مناورات عديدة وبعض الدسائس الماكرة عند اقامة الشيخ
السويدي بينهم... في حين كانت الافراح قد حمت «اهل السنة» وعلى حد تعبيره
السويدي عن تلك الحالة من الفرح قوله: «لم يقع مثله في هذه العصور لا تشبه
اهراس ولا اعياد، والحمد لله على ذلك». (٧٨٥)

■ الشيخ السويدي لمقابلته نادرشاه ثانية، وادي بروتوكول المقابلة من
جديد، فقال نادرشاه مخاطباً السويدي: «جزاك الله خيراً، وجزى احمد خان خيراً
فوالله! انه، قصر في اصلاح ذات البين، واطفاء الفتنة، وحقق دعاء المسلمين...
لكننا لا نصدق - وآل عثمان لا يصدقونه، فهو منهم بين الفريقين، جعل الله عزه
ورفعته اكثر من ذلك». (٧٨٦)

ثم عقب قائلاً: «يا عبد الله الفتني، لا تظن ان الشاهنشاه يفتخر بمثل
ذلك، وانما هذا امر يسره الله تعالى، ووفقي له، حيث كان رفع سب الصحابة

على يدي، مع ان آل عثمان منذ السلطان سليم الى يومنا هذا كم جهزوا عساكر وجنوداً، وضرمو اموالاً، وتلفوا انفساً يدفعوا السب، فلما عييا لهم. وانا، بحمد الله وعونه، ووفعته بسهولة، وهذه القبائح نشأت من الخبيث الشاه اسماعيل (الصفوي): اغواه اهل لاهيجان ولم تزل الى يومنا هذا». (٢٨٧)

ثم قال: «كنت ارسلك، لعلمي ان احمد خان (والي بغداد) بانتظارك. لكن ارجو ان تبقى غداً، فاني امرت ان نصلي الجمعة في جامعة الكوفة، وامرت ان تذكر الصحابة على المنبر على الترتيب، ويذمى لاهي الكبير حضرة الخنكار سلطان آل عثمان قبل، ويذكر بجميع الالقب الحسة... وفي الحقيقة والواقع هو اكبر واجل مني، لانه سلطان ابن سلطان، وانا جئت الى الدنيا ولا اب لي سلطان ولا جد». (٢٨٨)

ثم خرج الشيخ عبدالله الفندي السويدي من عنده، وقضى راجعاً الى بغداد في حين رحل نادرشاه عن ارض العراق بعد فشل تجرته المبررة، وموت احلامه المريضة... وتوجه الى ارضه وانقشعت صحابته، وبعدت عن العراق عصابته». (٢٨٩)

— ملاحظات ونقادات —

- 1 - Longrigg, op. cit., P. 147. (نقلًا عن المؤرخ عامر)
- - شرح الفصل الفرنسي في بغداد المعاصر للأحداث، وهو اسقف الكاثوليك فيها المطران (مسانويل سانت البرت) اوضاع بغداد الداخلية من خلال رسائله الوشائية - الدبلوماسية التي كان يرسلها باللغة الفرنسية الى حكومة باريس... وقد اهتمت عليها في كتابي لموضوع موقف احمد باشا والي بغداد، نظراً لمعلوماتها الجديدة:
- Archives National, (Paris); E. St. Albert, "Letters from Baghdad", L. dated 14/9/1743 A.D., 17.
- - Loc. cit.; cf. also, Longrigg, op. cit., P. 147.
- - "Letters from Baghdad", Loc. cit.
- - أكد هذه الصداقة، مؤرخ ايران المشهور Sykes إذ قال بأن علاقات صداقة حميمة كانت تربط نادرشاه بوالي بغداد - احمد باشا، انظر:
- (Sykes, op. cit., vol. 2, P. 343).
- - "Letters from Baghdad", Loc. cit.
- 7 - Loc. cit.
- 8 - هو سليمان باشا كتنخداة الوالي احمد باشا. وهو المملوك الذي كان قد رباه الوالي حسن باشا في قصره... وقد حالفه القدر، لأن يتولى ولاية بغداد بعد وفاة واليهما احمد باشا ابن حسن باشا. وقد عرف واشتهر باسم (ابن ليلة) نظراً لما قامت اليه حركته الحزبية ضد القبائل في اطراف بغداد. راجع عنه بالتفصيل: (سليمان فاتح، تاريخ بغداد، ترجمة موسى كاظم نورس، بغداد 1962).
- - "Letters from Baghdad", Loc. cit.
- 10 - Loc. cit.
- 11 - Loc. cit.
- 12 - Loc. cit.
- 13 - انظر هذا القول الشهير الذي نقل عن لسان الوزير احمد باشا في مصادر موثوقة متعددة، منها (مخطوط الدر المكنون، نسخة Paris، ورقة 297a).
- - Olson, op. cit., P. 154. (عن تاريخ صبحي)
- 14 - فتح الله القادري الموصل، ملحمة الموصل، تحقيق وتعليق سعيد الديوه جي، بغداد 1960، ص 16.
- 15 - المصدر نفسه، ن ص.
- 16 - المصدر نفسه، ن ص.

١٨ - المصدر نفسه، وقد ذكرت الوثيقة الدبلوماسية للفنصل الفرنسي بأن والي بغداد أرسل كتابه إلى العاصمة استنبول، ولكنها لم تذكر لنا اسمه، وقد اعلمتنا بأن حملة كبيرة كانت برافته انظر (Letters from.. Loc. cit.)، راجع الفقرة ١٧ من هذا الفصل، والملاحظة رقم ٢١٣ منه.

19 - Olson, op. cit., P. 154.

20 - Ibid. (عن تاريخ صبيح)

٢١ - الزبدة... ص ١٠٠.

22 - Olson, op. cit., P. 122.

٢٣ - النوحة... ص ٥٠.

24 - Olson, op. cit., P. 122.

25 - Ibid.; see also (مياس المزاري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٦)

26 - Olson, Loc. cit.

27 - cf. Olson with Lockhart, op. cit., P. 228.

28 - W. Jones, op. cit., P. 105; also

(م. ا. زكي، المصدر السابق، ص ٢٢٩) وانظر بالفارسية (سرلشكر فلاحين مقتدر، نادرشاه، مهران ١٣٣٩ شمسي، جاب اول ص ٩٣).

29 - Olson, op. cit., P. 123.

30 - Loc. cit.

٣١ - تؤكد جميع المصادر التاريخية المحلية العراقية والاجنبية اجمالي هذا العدد المائل من جيوش نادرشاه.

■ - مخطوط الدر المكنون، نسخة (Brit. Mus.)، ورقة 117a، ويذكر المؤرخ من صايغ، بأن العدد كان ثلاثمائة ألف محارب وبنف. انظر (صايغ، ص ٢٨٢).

■ - المئبل... ج ١، ص ١٥٠.

٣٤ - المصدر نفسه، ص ١٦٣. (عن قصيدة الشيخ عبدالله الاربط).

■ - ملحمة الموصل، ص ٢٣.

٣٦ - المصدر نفسه، ن. ص.

٣٧ - المئبل... ج ١، ص ١٦٣، (عن القصيدة للنو عنها).

٣٨ - مخطوط الدر المكنون، نفس النسخة، ن. و.

39 - Olson, op. cit., P. 137. (عن تاريخ صبيح)

٤٠ - الدر المكنون، النسخة نفسها، ن. و. أيضاً بإجماع المصادر المحلية والاجنبية.

■ - سائفة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ، ص ٦٩، والبالييز Paleemis هي نوع من انواع الاسلحة. انظر عنها (ع المزاري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢٠٣).

■ - سليمان صايغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٨.

٤٧ - لقد تراءت لنظر الرحالة ايفز Ives اثناء تقدمه في شمال العراق سنة ١٧٥٨ م آثار

الغزائف الحجرية الهائلة التي كانت جيوش نادرشاه قد تركتها بعد استعمالها. انظر:

Edward Ives, Journey from Persia to England by An Un-usua' Route, London, MDCCLXXIII, P. 322.

٤٨ - هذه المعلومات التاريخية عن المخطوط التركي الذي يحكي قصة الحصار، والمحفوظ في

مكتبة المتحف البريطاني، وهو خال من اسم مؤلفه، ولكنه تحت عنوان: «تاريخ وفتة

نادرشاه در آمد نش يرلسر كركوك واريل وموصل»

Account of the Siege of Miran by Miran Shah, (MS)-(Brit.

Mus. Library) Add. 7867-Old Turkish Text.

الزانبوركات نوع من الاسلحة النارية، مفردا (زنبرك)، تلفظ بالتركية

ويفارسية Zanburak. وفي بالانكليزية A Swivel-Gun انظر

J.W. Redhouse, A Turkish and English Lexicon, Constantinople 1921, P. 1015.

٤٩ - شيشخانة Sheak-Khane نوع من الاسلحة النارية القديمة، والمعنى الجزئي لها

بالانكليزية (A rifled barrel gun) وانظر:

(Ibid., P. 1125)

لا يزال مصطلح (شيشخانة) يستعمل الى حد الآن في العراق، وعلى الاخص عند

القبائل العربية، واغرافها من اصحاب الاهتمام بالقصص والصيد والاسلحة النارية

وتقواها.

46 - Olson, op. cit., P. 122.

47 - Hassan Arfa, The Kurds, London 1966, P. 65.

٤٨ - دخل نادرشاه اراضي العراق عن طريق المسلك الجبل الحاد (سارج - بولاق)، على حد

ذكر صاحب (ملحمة الموصل، انظر ص ١٢).

49 - Olson, op. cit., P. 123.

50 - Ibid.

٥١ - ملحمة الموصل، ص ١٠.

٥٢ - المصدر نفسه.

٥٣ - الدر المكنون، نسخة (Paris)، ورقة 247a.

٥٤ - المخطوط نفسه، وانظر (التهل)، ج ١، ص ١٥٠.

٥٥ - تختلف المصادر التاريخية والادبية والجغرافية في عدد الايام التي حاصر خلالها نادرشاه

كركوك، فعلى سبيل المثال الحصار وردت المصادر المعتمدة التالية في ذكرها ان الحصار

الابراني لكركوك دام ساعات فقط عند (ملحمة الموصل، ص ١٢)، يومان عند

(التهل، ج ١، ص ١٥٠)، ويشاركه (الاسترآبادي، المصدر السابق، ص ١٩١، -

وانظر نسخته الفرنسية -)، ثلاثة ايام عند (الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة

(247b)، وتشاركه (الزبدية - نفس المؤلف - ص ١٠٠)، ثلاثة أسابيع عند (Lon-

Ives, op. cit., P. 149)، grigg, op. cit., P. 149، يوماً عند (Ives, op. cit., P. 322).

بضعة أيام عند (حماد رز وف، م س، ص ١٠٤) وتشاركه أولسن (Olson, op. cit., P. 165).

٥٦ - الدر المكنون، نسخة (Paris)، ورقة 247b، وانظر أيضاً: (ملحمة الموصل، ص ١٧).

(انظر مقارنته للمصادر التاريخية المعتمدة) Olson, op. cit., P. 57 -

58 — Longrigg, op. cit., P. 149.

٥٩ - المنهل، ج ١، ص ١٥٠.

60 - W. Jones, op. cit., P. 144. (وقارن الاسترلابي مع سالنامة الموصل).

٦١ - المنهل، ج ١، ص ١٥٠.

■ - Olson, Loc. cit.

٦٢ - يذكر المؤرخ المحلي ياسين العمري، بأن قلعة أربيل قد صمدت نصف يوم (الدر المكنون، ورقة 247a). أما الرحالة ايفز Ives فيذكر بأن حصارها قد دام ٥ - ٦ يوم. ويبدو ان ايفز قد اخطأ في هذا التقدير أو ان معلوماته التي حصلها كانت تشوبها المبالغة فلقد ترك نادرشاه مدينة كركوك متوجهاً نحو الموصل في ١٤ رجب، وصل باربعة قرب الموصل في ٢٧ - ٢٣ رجب، فالفترة التي استغرقها في قطعه للمسافة بين كركوك - الموصل هي ٤ أيام. فإذا انقصنا فترة الحصار التي ذكرها ايفز، فيبقى لنا يومان وهي فترة غير كافية لاجتياح القوات الايرانية الجريئة مسافة كركوك - الموصل، علماً بأن نادرشاه بعد اجتياحه لقلعة أربيل كسب ثرواتها، ونحطت رجالها اسرى في صفوف جيوشه. من هنا نعلم بأن المؤرخ العمري هو الاصلق في روايته. راجع مقارنا: (Ives, op. cit., P. 322); also (cf. ■ Olson). الجدير بالتنويه ان ايفز قد ذكر في رحلته بأن حلة نادرشاه حل الموصل قد حدثت وقائعها قبيل رحلته بخمسة عشر سنة. انظر (Ives, Loc. cit.). ولقد اخطأ المترجم جعفر خياط في ترجمته لذلك، فلقد ذكر ان الحملة قد وقعت قبل خمسين سنة من رحلة ايفز. راجع مقالة جعفر خياط تحت عنوان (مشاهدات الدكتور ايفز بين بغداد وكركوك والموصل) في مجلة الاعلام العراقية، ج ١٧، السنة ٢، آب ١٩٦٦، ص ٤١.

٦٤ - انظر د. صديق الجليلي في تحقيقه لديوان حسن عبدالبقي الموصل، ملحق رقم (١)،

الموصل ١٩٦٦، ص ١١٢. وراجع للاستزادة: الدر المكنون، نسخة (Paris)، ورقة

247a، وانظر المنهل، ج ١، ص ١٥٠.

٦٥ - ملحمة الموصل، ص ١٢. معنى (سلوج بولاك) هو الريح البارد، تفصيلها الطبوكرافية عند:

(JAOS), op. cit., ■ vol., P. 114.

٦٦ - ملحمة الموصل، ص ١٢، وانظر (ص الجليل، المصدر السابق، ملحق رقم (١)، ص ١١٢).

67 - Olson, op. cit., P. 165.

68 - Ibid. (ملحمة الموصل، ص ١٥)

٦٩ - ملحمة الموصل، ص ١٥. وانظر ملاحظة رقم ٣٥ فيها. أيضاً (النية، ص ٨٤).
٧٠ - صداد رؤوف، المصدر السابق، ص ١١٠، (تقلاً عن ذخيرة الأذهان). وراجع عن تعبّر القوس للدير مار ايليا ايضاً قرب الموصل في كتاب (الموصل في الجبل الثامن عشر حسب مذكرات دومنيكو لترا، ترجمة د. روفائيل بيدوي، الموصل ١٩٥١، ص ٢٨).
٧١ - انظر عنها: ملحمة الموصل، ص ١٩، ص صايغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٥. ايضاً راجع (R. Olson, op. cit., P. 170). اما وصفها الجغرافي والسكاني الفتح بعد تلك الاحداث المبررة فتجدها عند:

C. Niebuhr, Reisbeschreibung nach Arabian und andern Umliegende, Landern | vol. 2, PP. 369-70.

72 - Olson, op. cit., P. 170.

٧٣ - ملحمة الموصل، ص ١٩.

٧٤ - المصدر نفسه، ن ص.

٧٥ - المصدر نفسه، ن ص.

٧٦ - المصدر نفسه، ن ص. وانظر (Olson, op. cit., P. 170)

٧٧ - الدر المكنون، نسخة (Brit. Mus.)، ورقة 117b.

٧٨ - المخطوط نفسه، وايضاً (ملحمة الموصل، ص ١٩).

٧٩ - التفاضيل في التقرير الوثائقي الرسمي الذي ارسله الوزير حسين باشا القازوقجي والي حلب ومحافظة الموصل الى البلاط العثماني. وبعد من اهم وثائق الحصار، وقد كتبه بالتركية (بارهي افندي)، ونشره بالعربية سعيد الديوه جي في ملاحق تحقيقه لكتاب (النية، .) المذكور سلفاً. انظر (النية، ص ٢٧٧-٢٧٨)، وانظر اصله بالتركية في (سائلنامة الموصل لسنة ١٣٠٨ هـ، وايضاً في عدد سنة ١٣١٠ هـ). وقد اعتمدت عليه اعتماداً وثيقاً، لأنه اقرب نص رسمي اطلع العاصمة العثمانية عن الاحداث.

٨٠ - ملحمة الموصل، ص ١٥، التي تذكر بأن حكومة الموصل قد ارسلت اليهم احدي دورياتها وجلبتهم في (طراقة) مائة، وذلك من الجانب الامير لهر دجلة نهر خريه.

٨١ - راجع نص كتاب الانذار الايراني الذي وجهه المستشار الديني لنادروشا ملا باشي علي اكبر ولتنشور في ملاحق الجزء الاول من كتاب (النهيل، . ملحق رقم ٢ ص ٣٢٥-٣٦). وكان اصله موجوداً في حاشية «النهيل». كما نشر الوثيقة المذكورة (د. صداد رؤوف، المصدر السابق، ملحق رقم ٥، ص ٥١١-١٢)، وانظر ملحفتنا رقم (٣).

٨٢ - راجع تقرير القازوقجي الوثائقي، المصدر السابق، ص ٣٣. من المعلوم ان هذا المجلس الاستشاري قد عقد بحضور الوفد الموصل من قبل نادروشا. وقد اعترض والي

الموصل الوزير الجليلي دبلوماسياً على الصيغة التي تصرف بها الجانب الإيراني، إذ تقضي الأصول الدبلوماسية أن يخاطب الوالي نفسه، وليس مفتي الولاية الذي وجه إليه الأتذار باللغة العربية. وقد حمل ذلك والي الموصل لأن يرد جوابه على ذلك بتوقيع المفتي المذكور (المصدر نفسه، ص ٢٧٨).

٨٣ - الجامع الاحمر أو (المجاهدي) أو (جامع مخضرم) من جوامع الموصل العريقة ويقع خارجها جنوباً آنذاك. انظر (سعيد الدبوزي «جوامع الموصل في مختلف العصور، الموصل ١٩٦٣، ص ٥٧-٧٢).

٨٤ - المصدر نفسه، ص ٢٧٨-٧٩. وانظر (ملحمة الموصل، ص ١٣). ايضاً (التهل، ج ١ ص ١٥١). (لنزا، ص ٢٩). وراجع: (صايغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٢) و (Olson, op. cit., P. 172).

٨٥ - لنزا، المصدر السابق، ص ٣٠. وقد ذكر هذا القول ايضاً الرحالة (ابن)، وهو اقرب الرحالة الاجانب الى عصر الاحداث. انظر:

(Ives, op. cit., PP. 322-23).

86 - Olson, op. cit., P. 172.

٨٧ - انظر نص وثيقة جواب حكومة الموصل على الأتذار الإيراني الأول في ملاحق (التهل، ص ٣٢٦-٣٢٧). وانظر نصه ايضاً عند (د. عماد زوف، المصدر السابق، ملحق رقم ٦، ص ١٠٤-١٠٥)، وقد نقل هذا النص عن نسخة خطية محفوظة في مكتبة الدراسات العليا في كلية الآداب بجامعة بغداد، رقم (٤٤)، ملحق رقم (٤).

٨٨ - ملحمة الموصل، ص ١٥.

٨٩ - اعتمدت في كتابي لموقف البلاط العثماني اعتماداً أساسياً على الوثائق السياسية - الدبلوماسية لنائب السفير البريطاني في العاصمة العثمانية اسطنبول Aspinwall، والمحفوظة في دائرة الوثائق الخارجية بوزارة الخارجية البريطانية - لندن. وتحوي هذه الرسائل حل معلومات تاريخية جديدة لاحداث منطقة الشرق الأدنى آنذاك، انظر: (Public Office, London-State papers 97-TURKEY vol. 24-32. Letters from Stanhope Aspinwall).

٩٠ - هذه المعلومات عن الحصار وموقف البلاط العثماني منه هي معلومات جديدة لم تذكرها للمجلات.

٩١ - Aspinwall, 1997, Loc. cit.

٩٢ - Loc. cit.

٩٣ - Loc. cit.

٩٤ - التهل، ج ١، ص ١٥٠. وانظر (الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 297a 95 - Aspinwall, SP 97, Loc. cit.

- 96 - Loc. cit.
 97 - Loc. cit.
 98 - Loc. cit.
 99 - Loc. cit.
 100 - Loc. cit.
 101 - Loc. cit.

١٠٢ - انظر فقرة (٩) (شروط نادرشاه) الفصل الثاني من الكتاب

١٠٣ - لتزأ، المصدر السابق، ص ١٧ - ١٥.

١٠٤ - الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 296b.

105 - Olson, op. cit., P. 134.

106 - Ibid., PP. 134—35. (تقلاً عن Otter)

١٠٧ - الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 297a.

108 - W. Jones, op. cit., P. []

109 - Hammer, op. cit., 7/474; 8/62.

110 - [] Otter, Voyage en Turquie et en Perse avec une relation des expéditions de Tahmas Kouli-Khan, vol. 2, Paris 1748, []

111 - "Letters from Baghdad", Loc. cit.

١١٢ - المنهل، ج ١، ص ١٥٢.

113 - Longrigg, op. cit., P. 150.

١١٤ - الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 118a.

115 - Longrigg, op. cit., P. 150; also (ملحمة الموصل ص ٩)

١١٦ - يورد للأروخ ياسون العمري هذه المعلومات في اعطال سنة ١١٥٥ هـ، أي قبل سنة من الحصار الأيوبي للموصل. انظر (الزبدة، ص ٩٩ - ١٠٠).

١١٧ - المنهل، ج ١، ص ١٥١، ايضاً (الدر المكنون، نسخة Brit. Mus.، ورقة 117b).

١١٨ - المنهل، ج ١، ص ١٥٢، وانظر ترجمة ذلك في اطروحة كيمب، وانظر ايضاً: رحلة اوتيه Otter بالفرنسية، الجزء الثاني، ص ٢٥٧.

١١٩ - لتزأ، المصدر السابق، ص ٢٩. وانظر (عماد زؤف، المرجع السابق، ص ١٠٥)، ايضاً مخطوط (الدر المكنون، نسخة (Brit. Mus.)، ورقة 118a).

١٢٠ - المصادر نفسها.

١٢١ - الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 118a.

١٢٢ - ع زؤف، المرجع السابق، ص ١٠٥.

١٢٣ - المنيل، ج ١، ص ١٥١.

١٢٤ - وثيقة القازوقجي المذكورة سابقاً، المصدر السابق، ص ٢٨٢.

١٢٥ - الزبدة، ص ١٠٢.

١٢٦ - قلعة باش طاية: هي القلعة العظيمة المطلة على نهر دجلة والنابع الكبيرة والواقعة في منطقة عالية وهامة من شمال مدينة الموصل. وكان قد جدد عمارتها حماد الدين زنكي أمير الموصل في القرن السادس الهجري. ولم يبق من القلعة سوى بناء شاهق متميز يعلو البرج العالي الذي تتوزعه امكنة منيعة كانت متخصصة لوضع المدافع، وتحتها الزندان الذي كان خزناً للعتاد والذخيرة في عمليات الدفاع العسكرية خلال الحصار الايراني. (المعلومات من مصادر محلية. ومسح طبوكرافي للمكان).

127 - Account of Seige of Mosul, (MS), op. cit., fol. 16a.

وانظر: (الزبدة، ص ١٠١ - ١٠٢، ملاحظة بحوثها رقم ٩).

128 - Ibid., fol. 16a-b.

129 - Loc. cit.,

للاستزادة انظر المصادر المحلية.

١٣٠ - ملحمة الموصل، ص ٩ - ١٠.

١٣١ - سائنة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ، وانظر (ملحمة الموصل، ص ١١).

١٣٢ - ابيج قلعة: هي القلعة العسكرية الداخلية في الموصل والتي بناها الاثراك بعد احتلالهم للموصل. انظر مقالة من الديورجي عنها في (مجلة سومر، بغداد، ١٠، ص ١٠٧ - ١١١). تقع هذه القلعة عند باب الجسر القديم للموصل والمسما بالميدان، وفي المكان الذي كانت تقوم عنده بناية بلدية الموصل القديمة، وامتدادها الممتد شمالاً حتى حزام القلعة التي يتحدر الطريق منها الى مجرى النهر. وكان يفصل هذه القلعة عن المدينة خندق أو قناة، وقد اجري الماء فيها اثناء الحصار الايراني، اما المدينة نفسها فتعالي منطقتها المطلة على هذه القلعة، وقد زالت - اليوم - جميع آثار (ابيج قلعة) ومعناها - القلعة الداخلية -، كما زالت آثار القناة المذكورة، ولم يبق لها أي أثر يمكن ان يقف عليه الدارسون. (استطعت ان اوفر هذه المعلومات الطبوغرافية من المسح المكاني الذي قمت به في خريف عام ١٩٧٨ م للمكان، مستنداً على كل من خريطة - نيويورك وفيلكس جونز - القديمتين للموصل، ومقايستها مع طبيعة المكان، والجغرافية المحلية للقلعة المذكورة اعلاه، ثم مقارنة ذلك مع خريطة - هرسفيلد - للموصل، وهي خريطة حديثة رسمها صاحبها عام ١٩١٧ م، والتي لم تشر للمكان المذكور، في حين يتوضح ذلك في كل من الخريطتين القديمتين المشار اليهما. للايضاح انظر منطقة C قرب الجسر في خريطة فيليكس جونز المرفقة بالبحث رقم ٤).

١٣٣ - وصلت طلائع الجيش الايراني الموصل ٢١ رجب / ١٠ / ١٧٤٣ م (ص الجلال،

س، ص ١١٢).

134 - C.J. Rich, Narrative of Residence in Koordistan, London 1830, vol. 2, P. 349.

- ١٣٥ - وثيقة الفازوقجي أنفة الذكر، المصدر السابق، ص ٢٨٠.
- ١٣٦ - سائنة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ.
- ١٣٧ - وثيقة الفازوقجي أنفة الذكر، المصدر السابق، ص ٢٨٠.
- ١٣٨ - التل، ج ١، ص ١٥٢. علماً بـ - مسحه - ذكرت بأن مقدم الجيش كان مراد بك ابن الوالي (ملحة الموصل، ص ١٦)، وقد شاركت - الزبدة - في تقديم اسمه على اسم عمه فتاح بك قائد العملية. قارن (الزبدة، ص ١٠١).
- ١٣٩ - الزبدة، ص ١٠١، ملاحظة رقم ٥.
- ١٤٠ - المصدر نفسه، ن، ص، ملاحظة رقم ٤.
- ١٤١ - ملحمة الموصل، ص ١٦.
- ١٤٢ - التل، ج ١، ص ١٥٢.
- ١٤٣ - ملحمة الموصل، ص ١٦.
- ١٤٤ - التل، ج ١، ص ١٥٣. للاستزادة انظر (سائنة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ).
- ١٤٥ - ملحمة الموصل، ص ١٧.
- ١٤٦ - التل، ج ١، ص ١٥٣.
- ١٤٧ - ملحمة الموصل، ص ١٧.
- ١٤٨ - وثيقة الفازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨١. وانظر (سائنة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ).
- ١٤٩ - ملحمة الموصل، ص ١٧. ويذكر المؤرخ ياسين العمري بأن بعضهم خرق في نهر دجلة أثناء عملية عبورهم السريع واجتمع للموصل (الدر المكنون، النسخة السابقة، وثيقة 248). أيضاً (صايغ، م، ص، ص ٢٨٣).
- ١٥٠ - وثيقة الفازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨١.
- ١٥١ - المصدر نفسه، ن، ص. (الدول واللواتد من القبائل الكردية. لما الاندرون فهم لصلال انكشارية).
- ١٥٢ - الدر المكنون، النسخة السابقة، ن و.

153 - Olson, op. cit., 172;

- يذكر صايغ بأن هذه القرية لا تزال تسمى بقرية جيلونخان (صايغ، م، ص، ج ١، ص ٢٨٣).
- ١٥٤ - سائنة الموصل لسنة ١٣٢٥ هـ، ص ٢٧٤.
- ١٥٥ - من نصوص وثيقة الفازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٠.
- ١٥٦ - تمتد هذه المنطقة المحيطة اليوم على امتداد شرق نهر دجلة المقابل لشمال مدينة الموصل، وقد استغلت من احراشها بلدية الموصل في خمسينات هذا القرن، لتقيم عليها غابات نموذجية، التحقت قبل سنوات كمقرحات طبيعية باسم (غابة الحديباء النموذجية) والتي ساهلت لأن تكون رقة محظرة لبلدية الموصل الحديثة. ويخترقها شوارع للسيارات المحورية، والمطل في اجزاء منه على النهر مباشرة، وقد زاد من أهمية المنطقة لوقتها الموصل الجديدها (الجزء الثالث).

- ١٥٧ - انظر فقرة (٤) موضوع (استعدادات الموصل) الفصل الثاني من هذا البحث.
 158 - S. Runciman, The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965, (cf. Chap. X) (غير اساسي لموضوع هذا البحث)
 159 - S. Shaw, op. cit., vol. 1, PP. 56-57.
 160 - E. Bradford, The [] Siege (MALTA 1565), Penguin-1979 Chapters 5-18. (غير اساسي لموضوع هذا البحث)
 161 - V.J. Parry, A History of the [] Empire..., Cambridge 1976, P. 144.
 162 — Olson, op. cit., P. 165.

(الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 118a) also;

١٦٣ - علماً بأن صاحب ملحمة الموصل يذكر بأن الوصول قد جاء في اليوم [] الذي انقضى على معركة الكوماندوز (الملحمة، ص ١٧)، وتذكر سالتمة الموصل من طرف آخر [] نادرشاه وصل بارجة بعد مضي عشرة ايام على المعركة المذكورة (قارن السالتمة، ص ٢٥٢). اما المصادر الايرانية فتذكر بأن وصول نادرشاه بارجة كان في يوم ٢٥ رجب. انظر: (الاسترايادي، المصدر السابق، ص ١٠٥). اما المؤرخ النمساوي فون هامر فيذكر بأن وصول نادرشاه كان يوم [] رجب. انظر (Hammer, mer, vol. 8, P. 63). وتقول الوثيقة الإيطالية الملحقة بالبحث يوم ٢٥ رجب..

(وقد احتملت على ملحق ص الجليلي، م ص).

- ١٦٤ - من تقرير القازوقجي آف الذكر، المصدر السابق، ص ٢٧٩.
 ١٦٥ - المصدر نفسه، ص ٢٨٠.
 ١٦٦ - ملحمة الموصل، ص ١٨.
 ١٦٧ - المنهل، ج ١، ص ١٥٤. ايضاً (ملحمة الموصل، ص ١٩).
 ١٦٨ - تقرير القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨١.
 169 - W. Jones, op. cit., P. 105.

- ١٧٠ - ملحمة الموصل، ص ٢١.
 ١٧١ - ص صديق الجليلي، المصدر السابق، ملحق رقم (١)، ص ١١٤.
 ١٧٢ - بلغت بروج الموصل الدفاعية الداخلية اثنا عشر برجاً (المنهل، ج ١، ص ١٥٤). وانظر: (تقرير القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨١)، ايضاً (الوثيقة الإيطالية المرفقة بهذا البحث).
 ١٧٣ - ملحمة الموصل، ص ١٩.
 ١٧٤ - عماد زوف نقلاً عن ص صايغ. وانظر (المنهل، ج ١، ملاحظة رقم ٣، هامش ص ١٥٤). ويذكر فون هامر ان عدد مدافع نادرشاه قد بلغ ٣٦٠ مدفعاً كبيراً وصغيراً مع مدافع المورتوس. انظر (Hammer, op. cit., vol. 8, P. 63-4).
 ١٧٥ - ملحمة الموصل، ص ١٩.

- ١٧٦ - المصدر نفسه، ص ١٨. وانظر (Olson, op. cit., P. 173).
- ١٧٧ - عن نصيحة يونس الموصل بالتركية، ضمن مجموعة خطية في مكتبة يعقوب سرخس بيهناد.
- ١٧٨ - النبل، ج ١، ص ١٥٤ - ١٥٥. وراجع تحليلات المؤرخ اولسن لهذا الخصوص.
- ١٧٩ - الدر المكنون، نسخة Paris، ورقة 247b.
- ١٨٠ - المخطوط نفسه، ن. و. وقرن ذلك مع (ملحمة الموصل ووثيقة الفاروقجي). وانظر (الزينة، ص ١٠٢ - ١٠٣).
- ١٨١ - الدر المكنون، ن. و. ايضاً (النبل، ج ١، ص ١٥٥)، وتشاركها (سائنة الموصل، ص ٢٦٧) والمؤرخ (صايغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٤). اما الرحالة الشهير نيبور فيذكر بأن مجموعة عند القنابل الساقطة كان ٤٠ ألف قبلة (Niebuhr, op. cit., P. 369). اما دومينيكو لتزا فيذكر بأن احداها كانت نيفا واربعين ألف قبلة (لتزا، المصدر السابق، ص ٣٠) اضافة الى سقوط مائة ألف قبلة هاون على الموصل (الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 247b).
- ١٨٢ - اجمال المصادر الاساسية، كما ضبط ذلك بدقة د. صديق الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٣.
- ١٨٣ - وثيقة الفاروقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٢. وقرن ذلك مع (سائنة الموصل).
- ١٨٤ - الوثيقة نفسها، ن. ص. وانظر (ملحمة الموصل، ص ٢٧).
- ١٨٥ - الوثيقة نفسها، ن. ص. وراجع (Olson, op. cit., P. 174).
- ١٨٦ - الوثيقة نفسها، ن. ص.
- ١٨٧ - تفاصيل موضوع الثغرة الخطيرة عند (النبل، ج ١، ص ١٥٦ - ١٥٧)، وترجمة برسي كيمب لذلك في اطروحة - بالانكليزية - (Kemp, op. cit., P. 310-317).
- ١٨٨ - المصدران نفسها، ن. ص.
- ١٨٩ - المصدران نفسها، ن. ص.
- ١٩٠ - المصدران نفسها، ن. ص.
- ١٩١ - المصدران نفسها، ن. ص.
- ١٩٢ - المصدران نفسها، ن. ص. ايضاً (صايغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٥).
- وراجع تحليل اولسن من الفترة (Olson, op. cit., P. 174-5).
- Longrigg, op. cit., P. 152.
- ١٩٤ - حدثت وثيقة الفاروقجي الرسمية واجبات كل من والي الموصل وحافظها ومسؤولياتها المباشرة أثناء حدة الازمة العاصفة لساحات ولبام الحصار (الوثيقة، م. ص، ص ٢٨٣ - ٤).
- ١٩٥ - الوثيقة نفسها، ن. ص.
- 196 - Hammer, op. cit., 8/56-7.
- ١٩٧ - ملحمة الموصل، ص ٧٢، وانظر (وثيقة الفاروقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٥).

- ١٩٨ - قره سراي (القصر الاسود) انظر (رحلة التنشي البغدادي، ترجمة العزاوي، بغداد ١٩٤٨، ص ٨٣). اجمت اغلب المصادر التاريخية في ذكرها لهذا الحدث، ويشير صاحب الملحمة بأن عملية قطع مياه دجلة عن الموصل قد جرى في بداية شهر شعبان. انظر: (ملحمة الموصل، ص ١٩).
- ١٩٩ - القبة، ملاحظة المحقق، رقم ٧، ص ٢٨٣.
- ٢٠٠ - تقع قرية يعوية: حل الضفة اليسرى من نهر دجلة مقابلة لدير مار ميخائيل الواقع غرب النهر، اما على الجانب الشرقي من النهر والقرية فيقع دير مار كوركيس على رابية عالية. . وقد دخلت القرية - اليوم - ضمن امتدادات الموصل الحديثة.
- ٢٠١ - استنتاجات طبوغرافية عن المسح الجغرافي لهذه الامكنة.
- ٢٠٢ - انظر (وثيقة الفاروقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٣، وانظر ملحمة الموصل، ص ١٩).
- ٢٠٣ - الملحمة نفسها، ن ص.
- ٢٠٤ - الملحمة نفسها، ص.
- ٢٠٥ - سلطنة الموصل، لسنة ١٣٢٥ هـ.
- ٢٠٦ - السور الشرقي للموصل: يعتقد العديد من الآثاريين والمؤرخين المحليين - الذين التفت بهم - بأن لا وجود هناك لسور شرقي للموصل خلال تلك الفترة. . اذ ان سورها كان يحيطها شمالاً وغرباً وجنوباً فقط، ونهر دجلة في شرقها. ولقد ثبت لدى خلال المسح الآثاري لطبوغرافية شرق الموصل القديمة، والذي قمت به أثناء زيارتي العلمية للموصل خريف ١٩٧٨ م، بأن هناك آثاراً وحروفاً لسور كان يقوم في منطقة محدودة من شرق الموصل كان يمتد بين قلعة قره سراي حتى الجرف الواقع عند منحدر منطقة القلعات شرق الموصل القديمة، لمسافة متباعدة من حمام القلعة، والقلعة الداخلية للموصل (ابج قلعة). ولقد ثبت صحة ذلك عندي، نظراً لاستنادي حل الرسم الذي وضعه رسم السور المعني في خريطة (نيبور) القديمة للموصل خلال القرن الثامن عشر. كما استندت في ذلك من حدث تاريخي. . اذ ان المواصلة لم يستطيعوا أثناء قطع نادر شاه لياه الشعبة الرئيسية لنهر دجلة عنهم ان يسحبوا المياه من اي مكان حل طول خط النهر المحاذي (ملحمة الموصل، ص ١٩). ونستنتج ان المدافعين كان لديهم ان يستقروا الماء اما من منطقة قرب قلعة قره سراي، او من منطقة اخرى قرب قلعة ابج قلعة. ويعتبر سور الموصل من اقدم واعظم اسوار مدن الشرق (لاحظ دراسة الديوه جي ■ في (مجلة سومر، السنة ٣، ١٩٤٧). اما بخصوص السور الشرقي النهر للموصل الذي وضعنا حوله. انظر خارطة (Niebuhr, Tab. XLVI) ولاحظ الابراج الدفاعية الستة عليه.

207 — C.J. Rich, op. cit., vol. 2, P. 46.

208 — Longrigg, op. cit., P. 152.

٢٠٩ - المنهل، ج ١، ص ١٥٧. وانظر (ملحمة الموصل، ص ٧٢)، أيضاً (عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ١١٠). والتفاصيل التاريخية في الدر المكنون.

٢١٠ - المصادر نفسها، اعلان، ن ص.

211 - Olson, op. cit., P. 174.

٢١٢ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٢١٣ - يذكر (اسبينول) بأن السلام الايرانية كان يبلغ ١٧٠٠ سليماً. انظر: (الوثيقة الايطالية الملحق بهذا البحث، ملحق رقم ١).

٢١٤ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٢١٥ - يبدو جلياً، انه خلال اليومين السابقين للهجوم الايراني، استطاع نادرشاه ان ينصب جسره الحربي الثاني على نهر دجلة. راجع (ملحمة الموصل، ص ٢١).

٢١٦ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٢١٧ - الوثيقة نفسها، ن ص.

٢١٨ - ملحمة الموصل، ص ٢٢.

٢١٩ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٤.

٢٢٠ - المنهل، ج ١، ص ١٥٨.

٢٢١ - المصدر نفسه، ن ج، ن ص. وانظر (Olson, op. cit., P. 174-5).

٢٢٢ - الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 248a.

٢٢٣ - ملحمة الموصل، ص ٢٣.

٢٢٤ - المصدر نفسه، ن ص.

٢٢٥ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٥. وقد اخطأ المؤرخ اولسن في تسميته الباب العمادي بالموصل بـ (باب المهدي)، قارن (Olson, op. cit., P. 173).

٢٢٦ - ملحمة الموصل، ص ٢٢، وانظر (وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٥).

٢٢٧ - المصدر نفسه، ص ١. وانظر (المنهل، ج ١، ص ١٥٨ - ٥٩).

Olson, op. cit., P. 174.

٢٢٨ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٥.

٢٢٩ - الوثيقة نفسها، ن ص.

٢٣٠ - عماد رؤوف، المرجع السابق، ملاحظة رقم ٣، ص ١١٠. والكوي او المزاغل في الانكليزية (Porthole).

232 - Aspinwell, SP (20/11/1743) الوثيقة الايطالية الملحق بالبحث

٢٣٣ - الدر المكنون، النسخة السابقة، ورقة 248a.

٢٣٤ - المخطوط نفسه، ن و.

٢٣٥ - المخطوط نفسه، ن و.

٢٥٧ - ملحمة الموصل، ص ٢٤.

258 - Sykes, op. cit., vol. 2, P. 339;

نقل هذا الوصف الشهير المؤرخ (لونكريك) في كتابه من تاريخ العراق انظر:
(Longrigg, op. cit., P. 135).

٢٥٩ - المنهل، ج ١، ص ١٥٩.

٢٦٠ - الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة 247a.

٢٦١ - المنهل، ج ١، ص ١٦٠.

٢٦٢ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٩.

٢٦٣ - الوثيقة نفسها، ن ص.

٢٦٤ - الوثيقة نفسها، ص ٢٨٩ - ٢٩٠.

٢٦٥ - المنهل، ج ١، ص ١٦٠.

٢٦٦ - المنهل نفسه، ص ١٦٠ - ١٦١.

٢٦٧ - المنهل نفسه، ص ١٦١.

٢٦٨ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٩٠.

٢٦٩ - الوثيقة نفسها، ن ص.

٢٧٠ - المنهل، ج ١، ص ١٦١.

٢٧١ - انظر: سائلة الموصل وقرنها مع الملحمة ص ٢٥. ويذكر من صائع بان تبادل الاسرى
قد جرى من قبل كل من الطرفين (صايغ، م ص، ج ١، ص ٢٨٧).

٢٧٢ - وثيقة القازوقجي، م ص، ص ٢٩٠.

٢٧٣ - المنهل والمصادر المحلية الاخرى.

274 - Hammer, op. cit., 8/73.

275 - Olson, op. cit., P. III.

276 - Ibid., PP. 185-6.

277 - Ibid.; see also, Longrigg, op. cit., P. 153 n. 1.

٢٧٨ - الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة 247b.

279 - Hanway, op. cit., vol. 4, P. 235; Lockhart, op. cit., P. 232,
234.

280 - Longrigg, op. cit., PP. 160-1.

٢٨١ - راجع المعلومات التاريخية الهامة للمؤرخ عبدالرحمن السويدي، والتي سجلها باسمه

محمد بهجة الاثري في كتابه: فرائع العصبية العنصرية في اثاره الحروب وحملات

نادرشاه جل العراق في رواية شاهد هبان، مطبوعات المجمع العلمي العراقي، بغداد،

١٩٨١، ص ٨٦.

٢٨٢ - المصدر نفسه، ص ٨٧.

٢٨٣ - المصدر نفسه، ص ٨٩ - ٩٠.

- ٢٣٦ - ملحمة الموصل، ص ٢٣.
- ٢٣٧ - المصدر نفسه، ن ص. وانظر (المنهل، ج ١، ص ١٥٩). كذلك راجع: (وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٧).
- ٢٣٨ - الوثيقة نفسها، ص ٢٨٦.
- ٢٣٩ - ملحمة الموصل، ص ٢٣.
- ٢٤٠ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٧.
- ٢٤١ - الوثيقة نفسها، ن ص.
- ٢٤٢ - الوثيقة نفسها، ن ص.
- ٢٤٣ - الوثيقة نفسها، ن ص.
- ٢٤٤ - الوثيقة نفسها، ص ٢٨٨.
- ٢٤٥ - ص الجليلي، المصدر السابق، ملحق رقم (١)، ص ١١٥.
- ٢٤٦ - (الوثيقة الإيطالية [] بالبحث).
- ٢٤٧ - انظر المصادر المحلية وامها (المنهل والدر المكتون وملحمة الموصل ووثيقة القازوقجي والسالنامة...) وانظر اوصاف الرحالة الجغرافيين من الاجانب وامها اوصاف كل من (ابن زبير)، وراجع حديث (دومينيكو لنزا) المختصر ثم التحليلات التاريخية للمؤرخ (اولسن) بهذا الخصوص.
- ٢٤٨ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٧.
- ٢٤٩ - الوثيقة نفسها، ن ص.
- ٢٥٠ - ان اهم من يبرز هذا الاستنتاج المؤكد حول خسائر نادرشاه البشرية ما ذكره صاحب (ملحمة الموصل) ذلك ان ربع جيش نادرشاه قد فقد، وربعه الآخر قد جرح. انظر (الملحمة، ص ٢٤)، علماً ان جيوش نادرشاه كانت تقدر اعدادها ثلاثمائة الف مقاتل - كما رأينا -.
- ٢٥١ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٨.
- ٢٥٢ - سالتامة الموصل، ص ٢٦١.
- ٢٥٣ - انظر الملاحظات المرقمة (١٥٧)، (١٥٨)، (١٥٩)، (١٦٠) في هذا الفصل.
- ٢٥٤ - وثيقة القازوقجي، المصدر السابق، ص ٢٨٧، وانظر (ملحمة الموصل، ص ٢٤).
- ٢٥٥ - ملحمة الموصل، ص ٢٤.
- ٢٥٦ - انظر سليمان صايغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٧. ايضاً، سعيد الديوه جي، في حديثه عن (الموصل ام الريمين)، بغداد ١٩٦٥، ثم ما كتبه صديق الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٥. إضافة الى اوصاف الشعراء في قصائدهم وابجوزاتهم ومنهم (فتح القادري وغيل البصري وعبد الله الفندي الفخري والشيخ عبد الرحمن السويدي وونس الموصل) عن ملاحق (المنية، ص ٢٧٧ - ٢٧٣)، ايضاً ما تدخره مكتبة الاوقاف العامة بالموصل من المخطوط النادرة للأعلام المذكورة اعلاه ومعلومات عديدة اخرى، وأثار كتابية تحتوى مكتبة يعقوب سرخس ببغداد.

- ٢٨٤ - الصادر نفسه، ص ٩٠.
- ٢٨٥ - الصادر نفسه، ص ٩١.
- ٢٨٦ - الصادر نفسه، ص ٩١ - ٩٢.
- ٢٨٧ - الصادر نفسه، ص ٩٢ - ٩٣.
- ٢٨٨ - الصادر نفسه، ص ٩٤ - ٩٥.
- ٢٨٩ - الصادر نفسه، ص ٩٥.

الفصل الرابع

نتائج الحصار وآثاره: الدروس التاريخية

اصداء الانتصار:

في صباح يوم الثلاثاء ٤ رمضان ١١٥٦ هـ / ٢٢ تشرين الاول ١٧٤٣ م، فتحت الموصل ابوابها جميعاً، واخذ الناس بجمعهم وعوائلهم والارادهم يفتي بعضهم الآخر وهم في نشوة النصر الكبير. شاكرين الله الذي انجاهم من الكارثة العظمى التي كادت تعصف بهم ويستقبلهم ووطنهم. واقامت صلوات الشكر والتضرع في الجوامع التي ابتهلت منائرهما، وفي الكنائس التي نرعت اجراسها، ثم اقيمت الاحتفالات الكبيرة ابتهاجاً بذلك في البيوت والساحات والدوائر والاسواق... وتبارى الشعراء والادباء في اناشيدهم وقصائدهم ومقاطيعهم وارجوزاتهم تخليداً لهذا الحدث التاريخي العظيم، الذي كان له اثره الكبير في الهاب المشاعر النفسية، والفرائح الادبية. (١)

ثم ارسل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل ولده محمد امين باشا الذي ترأس وفداً الى العاصمة استانبول، (٢) وكان عمره آنذاك ٢٤ عاماً، (٣) وحمل معه بشار النصر والظفر الذي حققته الموصل ضد الفرس وذلك في تقارير رسمية تحكي تفاصيلها قصة الاحداث بصورة كاملة، (٤) وكان البلاط متوقفاً لما ينتهي القلق - كما تحدثنا احلى وثائق اسبينول - (٥) وقد استقبل السلطان محمود الاول الامير محمد امين باشا والوفد المرافق له، واطلع على الاخبار وما تحقق من انتصارات (٦) فاحتفلت بذلك العاصمة استانبول رسمياً، واطلقت المدافع اطلاقاً ابتهاجاً بذلك في يوم ١٠ تشرين الثاني، كما تخبرنا الوثيقة المؤرخة في ٢٠ نوفمبر ١٧٤٣ م لاسبينول - (٧) أي ان احتفالات استانبول قد جرت بعد ١٩ يوماً من فتح الموصل ابوابها. وقد اتفق السلطان على الخلع التي اداها والي الجليل وقواده وارسل للوزير الوالي هدية خاصة كانت عبارة عن سيف مجوهر، وروب عثمانى مفرى والمسمى بـ «الخلمة السنية» كما ملكه قرية «قره قوش» القريبة من الموصل. إضافة الى ذلك فلقد منح

• ورد في الصفحة الأخيرة من الوثيقة المخطوطة الموجودة في مكتبة المتحف البريطاني والموسومة: «تاريخ وقعة نادرشاه مر امد تقي برلوسر كركوك واريل وموصل»، انه في يوم الاربعاء للمصادف ■ من شهر شعبان الموافق ١٧٤٣/١٠/٩، سافر القاضي ومفتي الشافعية في الموصل الى مركز السلطنة اسطنبول لعرض ما وقع من امور المحاصرة والحرب والصلح على رجال الدولة هناك. ويبدو لنا ان ايفاد القاضي ومفتي الشافعية من قبل حكومة الموصل، كان الغرض منه بيان المناقشة التي جرت مع نادرشاه وعلمائه في الامور الدينية.

السلطان لامين الوالي الجليلي محمد امين باشا رتبة «الميرميرانية»^(٨) مع هدايا الى مراد باشا وقواد الموصل . وارسل السلطان محمود الاول فرمانه السلطاني المعروف بـ «خطي همايون» الى الوزير الحاج حسين باشا يقدم فيه شكره اليه ، ويشفي على شجاعته ، وشجاعة اهل الموصل^(٩) . . وقد وصف فرمان ذلك النصر للحقوقي^{١٠} «انتصارات الجيش الاسلامي للامبراطورية العثمانية» ، ويخلص المؤرخ اولسن في معالجته وتحليله التاريخي لموضوع الحصار بقوله «انها اعمال وانتصارات ذلك الوالي البطل وشعب الموصل الباسل وليست انتصارات الجيش الاسلامي للامبراطورية العثمانية»^(١١) . ومن اهم النقاط التي تسترعي انتباه المؤرخ في دراسته لقوى الدفاع الداخلية والمحاصرة داخل اسوار الموصل هي :

١ - تلاحم سكان المدينة بصورة قوية وفعالة مع واليها واركان قيادته الادارية والعسكرية ، ومبعث ذلك مشاركته هو نفسه مع جميع الافراد والفتات والعناصر ، ومرونته السياسية الصعبة .

٢ - تلاحم جميع العناصر من السكان بعضهم مع البعض الآخر ، وتفاعل المدينة معها ومسيحييها^{١٢} مع من دخل داخل اسوارها من العناصر الخارجية المتنوعة مثل المحتمين واللائذين بها من سكان القرى والتوابع . ثم قوات القازوقجي المحلية ، وقوات فوج باشا الكردية . ويؤكد الرحالة «نيبوره» ان نصاري الموصل قد حملوا جنبا الى جنب مع اخوانهم المسلمين خلال ايام الحصار^(١٣) . ويتوضح ان الجميع قد ارتبطوا بأوضاعهم وسماتهم دون اية هواجز .

٣ - شاركت المرأة الى جانب الرجل بحماس منقطع النظير في الدفاع عن وطنها وشرفها خلال ايام الاستعدادات الكبرى ثم خلال ايام الحصار العنيف ، كما نجبرنا بعض المصادر^(١٤) .

وثيقة عنه بطل الحصار :

هو الوزير الحاج حسين باشا بن اسماعيل باشا الجليلي . ولد بالموصل سنة ١١٥٨ هـ / ١٦٩٦ م ، وتوفي فيها سنة ١١٧١ هـ / ١٧٥٨ م .^(١٥) ويعد من اشهر وزراء الامبراطورية العثمانية خلال القرن الثاني عشر الهجري . ويتسبب الحاج حسين باشا الى البيت العربي الذي اسسه جده الاهل عبد الجليل ، والمنحدر الى الموصل من ديار بكر في حدود سنة ١٠٣٠ هـ / ١٦٢١ م ، نظراً لارتباطات كل

من المدينتين تجارياً . . وتصاعدت سمعة هذه الاسرة لما تحلّت به من صفات في
التجارة والاعمال، ^(١٤) وساعدها ذلك لأن تنبؤ عجلها في السياسة، وكسبت
موافقها تلك كي تنجح بصورة كبيرة في الادارة المحلية.

تولى الحاج حسين باشا ولاية الموصل بعد ابيه اسماعيل باشا، وكان برتبة
«بكلر بكى» أي رئيس بيكات باشا ذو طوغين، وذلك سنة ١١٤٣ هـ /
١٧٣٠ م، ^(١٥) ثم انتقل منها ليتولى أماسيه ثم عاد ليتولى الموصل سنة
١١٤٤ هـ، حتى سنة ١١٤٨ هـ. ^(١٦) وفي عهد السلطان محمود الاول منحه
البلاط العثماني رتبة الوزارة سنة ١١٤٧ هـ، وقد قدمت اليه من قبل الوزير الكبير
عبدالله باشا الكوبرلي سردار جيوش الشرق في الامبراطورية اثناء مروره بالموصل
ضمن بروتوكول خاص، وكانت من طراز الثلاثة اطواغ. ^(١٧)

تولى الحاج حسين باشا ولاية الموصل ثمانى مرات في حكم متقطع غير
متواصل خلال ٢٨ سنة بين ١١٤٣ هـ - ١١٧١ هـ. وفترة سني حكمه للموصل
من هذا الاجمالي ١٣ سنة، اما خلال الخمسة عشر سنة الاخرى فقد تولى الحاج
حسين باشا كلا من الولايات العثمانية الشرقية التالية: أماسيه - وان - ارضروم -
قارص - ادنه - سيواس - كوتاهيه . . . كما تولى ولاية البصرة ثلاث مرات، وولاية
حلب. ^(١٨) واستندت اليه ادارة بغداد في سنة ١٧٣٤ - ١٧٣٥. ^(١٩)

لقد تصاعدت سمعة الحاج حسين باشا لدى السلطة المركزية في اسطنبول
من خلال مساعداته الكبرى التي قدمها للعثمانيين ضد الفرس، ويعتبر دفاعه
الشهير عن الموصل سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م ضد نادرشاه، من ابرز الاعمال
التاريخية التي سجلت لهذا الرجل العظيم مكانته في التاريخ الحديث، وحفظ له
البلاط العثماني مآثره في الحروب التي خاضها ضد الايرانيين بأن ثبتوا كيان اميرته
المحلية في حكم ولاية الموصل العربية حقبة طويلة في التاريخ تزيد على قرن
كامل. ^(٢٠) ولقد استطاعت هذه الاسرة ان تبرز غيرها من الاسر المحلية في شرق
الامبراطورية، ^(٢١) وذلك من خلال بسط نفوذها الاقليمي طوال حكمها على
الموصل، كما استفادت السلطة المركزية من بعض ابناء هذه الاسرة المشهورين
لكي توليهم على اقاليم اخرى، او ان تسند لهم مناصب قيادية في الجيش العثماني
الامبراطوري كما حدث للوزير محمد امين باشا ابن الحاج حسين باشا الجليلي

والذي نال من البلاط العثماني لقب «الغازي»، نظراً للخدمات الحربية القيادية التي قدمها خارج حدود الامبراطورية في حروبها مع روسيا. (٢٢)

ونستطيع ان نجمل الاعمال الحربية التي خاضها الحاج حسين باشا الجليلي ضد الفرس على النحو التالي:

- ١ - قيادة الحاج حسين باشا لقوات عسكرية شاركت مع والي بغداد احمد باشا بن حسن باشا في احتلال همدان سنة ١١٣٦ هـ / ١٧٢٤ م. (٢٣)
- ٢ - مشاركة الحاج حسين باشا لوالي بغداد المذكور اعلاه في الحرب ضد الشاه طهماسب سنة ١١٤٤ هـ / ١٧٣١ م، وقد اشاد الفرمان السلطاني بجهوده الكبيرة. (٢٤)
- ٣ - انتصار الحاج حسين باشا الجليلي وقواته الاهلية على قوات تركيز خان الايرانية التي كان نادرشاه قد ارسلها لاحتلال الموصل، والمؤلفة من ٨٠٠٠ مقاتل ايراني، وذلك سنة ١١٤٥ هـ / ١٧٣٢ م، وقد قتل في المعركة تركيز خان وتبعثرت قواته بعد معركة حامية قرب الموصل. (٢٥)
- ٤ - مشاركة الحاج حسين باشا الجليلي للوزير العثماني الكبير طوبال عثمان باشا في حربه وانتصاره على نادرشاه سنة ١١٤٦ هـ / ١٧٣٣ م. وقد جعلت الموصل مركزاً للمراقبة والتجمع والاسعاف الطبي ضد الفرس. (٢٦)
- ٥ - مشاركة الحاج حسين باشا الجليلي في معركة كركوك الفاتلة ضد نادرشاه، اذ كان الحاج حسين باشا مشاركاً الوزير طوبال باشا والذي صرع في المعركة المذكورة بعد ارتداد العثمانيين وانتكاستهم، وذلك لعدم تكافؤ قوى الصراع، وقد حدثت المعركة في شهر تموز من العام المذكور اعلاه. وقد عاد الحاج حسين باشا بأعجوبة الى الموصل. (٢٧)
- ٦ - قيادة الحاج حسين باشا الجليلي الكبرى لقوات الدفاع المشتركة، وتخطيطه وسياسة حربه وانتصاره على الايرانيين الذين قادهم نادرشاه في حصاره الشهير للموصل سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م، (موضوع البحث).
- ٧ - مفارقة الوزير الحاج حسين باشا الجليلي الموصل مع قواته نحو الحدود الايرانية حيث عسكر بالقرب من دشت للمشاركة مع القيادات العثمانية لكل من ديار بكر واردلان وتقديمهم لمطاردة جيوش نادرشاه سنة ١١٥٨ هـ / ٧٤٥ م، حتى اجبر نادرشاه على عقد الصلح مع العثمانيين. (٢٨)

إضافة الى كل هذه الاعمال الحربية، فلقد كان البلاط العثماني يعتمد عليه في الادارة وفرض الازمات الداخلية في الاقاليم سواء كان ذلك في المدن أو على المسالك الخارجية. فقد نجح الوزير المذكور في اتخاذ تدابير محلية أو اعمال شغب أو اعمال السلب والنهب في اماكن عديدة منها نجاحه بصورة فائقة لأن يعيد الامن والاستقرار في ولاية طرابزون العاصية من قبل بعض المنشقين. كما وجهت اليه ولاية كوتاهيه الشاسعة ومنحه البلاط لقب «الوزير الكبير» سنة ١١٧٠ هـ. ثم احتاجه البلاط العثماني لأن يضع حداً للاضطرابات التي تسود ولاية حلب، واعمال الشغب التي كانت تعج بها المدينة، إضافة الى اعمال السلب والنهب على المسالك التجارية. فاستطاع ان يعيد الامن الى نصابه في المنطقة سنة ١١٧١ هـ. (٢٩) ثم نقل الى ولاية الموصل التي كانت مدينتها هي الاخرى تعاني من الانقسامات الشديدة بين الادارة والاهالي ورؤساء الجيش الانكشاري، فاستطاع ان يحسم ذلك خلال فترة قصيرة (٣٠). ولم يمحض على قدومه الى وطنه الموصل التي استقبلته بحفاوة كبرى الا ايام قلائل حتى وافاه اجله بعد حياة متمرسة ومضيئة وحافلة بالانتصارات والاعمال الكبرى.

يعتبر الوزير الحاج حسين باشا الجليلي اكفاً واقدر الولاة الجليليين الذين حكموا الموصل على وجه الاطلاق، نظراً للصفات والقدرات التي امتاز بها، والاعمال الكبرى التي قام بها خلال حياته السياسية والادارية. وقد وصفته «الانسكلوبيديا التركية» بـ «المدافع القوي». (٣١) كما ولقبه المؤرخ لونكريك بـ «بطل الدفاع» (٣٢) وكثرت فيه اوصاف الادباء وكتاباتهم، وقصائد الشعراء واحاديث المؤرخين. ومعالجات وتحليلات المحدثين منهم مؤخراً عنه. (٣٣)

مقارنات ودروس:

ان اهم نقطة تستدعي الاعجاب والاهتمام معاً هي مقارنة عدد السكان من المحاصرين باجمالي قوى نادرشاه الضخمة التي فرضت الحصار والمجوم معاً والبالغ عددها كما رأينا مسبقاً ٣٠٠ ألف مقاتل عدا جماعات الاسرى والشغيلة والخدم والقيادات. لما اجمت عليه كافة المصادر.. (٣٤) اما المحاصرون؛ فقد كان يبلغ عدد سكان الموصل ٧٥ ألف نسمة، او على الاكثر ١٠٠ ألف نسمة، (٣٥) وبطبيعة الحال فان هذا العدد يشمل الشباب والكهول إضافة ■

تشكله نسبة النساء والاطفال ضمن هذا العدد . . ومن ضمنه ايضاً ، فقد بلغ عدد افراد جيش الموصل ٣٠ الف مقاتل ، ^(٣٦) وهو الجيش التابع لقوى الولاية العسكرية ويضمه قوات الوالي الخاصة والامراء والقواد والضباط . ويدعم هذا العدد ٢٠٠٠ مقاتل كانوا يتبعون والي حلب الوزير حسين باشا القازوقجي . ^(٣٧) ثم قوات قوج باشا حاكم كوى سنجق والبالغ عددهم ٥٠٠ مقاتل وهم من الاكراد . ^(٣٨) وتبلغ حصيلة المجموع الكامل لقوى المدافعين العسكرية - المشتركة ٤٥ الف وخمسمائة مقاتل ، قادها جميعاً والي الموصل ضد الفرس ومقارنة عدد المدافعين بعدد المهاجمين الايرانيين ، فان النسبة التي نلاحظ عليها لقوى الطرفين هي ١١ مدافع موصل ضد ٦ مهاجم ايراني .

اما من ناحية الخسائر بين طرفي الصراع منذ عمليات بدء الحصار حتى آخر يوم من هجوم الايرانيين على الموصل فقد بلغت خسائر نادرشاه حوالي عشرة آلاف قتيل يتوزعون على النحو التالي : ١٥٠ قتيل خلال معركة الكوماندوز البطلة ، ^(٣٩) ثم ٤٠٠٠ قتيل ^(٤٠) طمتهم الارض في احشائها بعد انفجار الالغام عليهم وقلبت الارض التي يقفون فوقها رأساً على عقب ، ثم ٥٤٠٠ قتيل طمتهم المعركة النهائية الضارية ^(٤١) . . هذا اضافة الى عشرات القتل والجرحى الذين ذهبوا متساقطين في الخنادق اثناء معارك السلام والاسوار العنيفة بفعل السلاح الابيض وانفجارات القنابل اليدوية ، وبفعل القاء المدافعين فوق الاسوار للزيوت المحرقة والمياه الحارة فوق رؤسهم واجسادهم . ^(٤٢) اما الموصليون فقد خسروا منذ بدء الحصار وحتى انتهاء آخر معاركه مائة من المقاتلين أو اقل - كما حقق ذلك المؤرخ اولسن - ، ^(٤٣) وبضمنهم طبعاً شهداء معركة الكوماندوز البطلة والبالغ عددهم ٢٠ شهيداً . وتذكر «السالنامة» - وهي من اوثق المصادر - بأن الموصل لم تنحسر اياً من جند الاسلام ، ^(٤٤) أي من قوى جيش الدفاع . ويتضح - هنا - ان اغلب ضحايا الموصل كانوا من تأثير القصف المدفعي الايراني على المدينة الآهلة ، أو ان البعض الآخر راح شهيداً حينما كان يؤدي واجبه اثناء فتح الثغرة ، أو كان على الاسوار ، وجميعهم من الاهالي . .

من ناحية اخرى ، فقد كان خانات الشاه قد عقدوا اجتماعاً بهم اثناء المفاوضات احصوا فيه عدداً من القنابل والقذائف فبلغت ٤٥ الف قنبلة - مدفع ثقيل - ثم ٢٠٠ الف قذيفة - مدفع هاون - . اضافة الى ٥٠ الف حجرة

كبيرة، وهذا ما رماه الفرس على المدافعين من آلاف الطلقات من البنادق والزانبركات.^(٤٥)

ولقد تأثرت بعض مرافق الموصل وبنائاتها نتيجة القصف المدفعي عليها، وخصوصاً ما أصاب السور من اضرار بالغة، كما تهاوت جوانب عديدة من قلعة باش طابية الشاذلي وتهدمت أيضاً بعض كنائس الموصل التي يشرح عنها المؤرخ المحلي سليمان صايغ ويتابع قوله عنها ان الوالي الجليلي قد جدد واصلاح احداها، واستحصل الموافقة من السلطنة في تعمير الكنائس الاخرى،^(٤٦) كما جدد حصن القلعة، ورمم غرفها... ثم عُمِّر سور الموصل الذي لم يكمله نظراً لنقله الى ولاية اخرى.

يتضح من مجمع الخسائر انها كانت جسيمة للغاية بالنسبة للايرانيين وعلى الاخص الخسائر البشرية، وتبلغ نسبة ذلك لكل من الطرفين ١٠٠ شهيد من المدافعين الى ١٠ ٠٠٠ قتيل ايراني. اي ١٠٠٪ من خسائر نادرشاه البشرية الى خسائر الموصل.

لقد علمنا هذا الحصار الشهير درساً عديدة بالغة الاثر من خلال الوقوف عنده ملياً، والبحث عما دار خلال ساعاته وايامه العصبية في داخل تلك الاسوار العالية التي احاطت الموصل، وخصوصاً بمقارنته مع احداث دامية مشابهة له في التاريخ.

١ - يظهر من دراسة تاريخ أي حصار قوي لاية مدينة أو قلعة أو حصن جبلي أو جزيرة بحرية كانت أم نهربية انه قلما يظهر المحاصرون (بفتح الصاد) بنصر اكيد، ومن النادر العجيب ان يتم ذلك خلال فترة محددة منه، لا سيما اذا كان العدو يصيب حممه وناره بشكل مكثف وعلى نحو رهيب كالذي جرى خلال الاسبوع الاول من حصار نادرشاه للموصل ليلاً ونهاراً، ورغم كل ذلك فان الموصل لم تستسلم لنادرشاه ايران.

٢ - يظهر من مقارنة النصر الذي حققه المدافعون انهم فكّوا عنوة بأنفسهم اغلال الحصار العاتي، واستماتوا في تحقيق ذلك، ومواجهتهم للاعداء من الداخل دون ان تستعففهم اية قوة عسكرية اقليمية كانت أم امبراطورية من الخارج،

كما حدث في فشل حصار بغداد المؤلم من قبل الايرانيين سنة ١١٤٦ هـ /
١٧٣٣ م (انظر موضوع رقم (٤) - حصار بغداد ونتائجه المحزنة - الفصل
الثاني من هذا البحث) . . وكما نتج عن الامدادات الاوربية في افشال حصار
فيينا الثاني سنة ١٦٨٣ م من قبل العثمانيين^(٤٧).

٣- ان النصر الذي حققه المدافعون على الجيش الايراني قد اتى من داخل
الاسوار، في صد القصف المدفعي الايراني بقصف مضاد، ثم افشال خطط
نادرشاه في الهجوم الكاسح من خلال تحصينات الموصل الداخلية، علماً بأن
المدون كان يتمتع بساحة أوسع وحركة أكبر مما يجعله أكثر قدرة على الالتفاف
والمناورة والتقدم السريع، واختيار اصلح الامكنة لبناء الترسانات والبروج
ونقل المدفعية. اما حركة وساحة اصحاب الدفاع فقد كانت ضيقة ومحدودة
وغير قابلة للتوسع على نحو مطلوب لا سيما وان الموصل المحاصرة كانت قد
اكتظت بالبشر من الاهالي والنازحين . . وعلى نحو شديد.

٤- يظهر ان استراتيجية نادرشاه في البداية قد كانت موفقة في ضرب السور
الشمالي للموصل، وفتح الثغرة فيه، وذلك لقرب السور من برج غرفة
عمليات قيادة دفاع الموصل وكاد نادرشاه ان ينجح في عملياته الخطيرة هذه،
لولا مجيئ الوالي الحاج حسين باشا على وجه السرعة، ومعالجته لأمورها من
خلال نزوله بنفسه اليها ومشاركته واشادته في قواته وبني قومه للصمود بروحه
الاعداء، واصلاح الخلل الناتج بحركة خاطئة دون ان تتوسع الثغرة
ويتهاوى السور امام نادرشاه.

■ استطاع المدافعون ان يتوثبوا بحركة شجاعة وعنيفة الى خارج الاسوار بعد ان
فشلت عملية الايرانيين في اكتساح اسوار المدينة وبعد فشلهم في معارك
السلام والاسوار، فقابل ذلك هجوم قوي مضاد من قبل المدافعين ليردوا بعد
عدة ساعات من القتال الضاري القوات الايرانية على اعقابها خاسرة منهزمة،
وكان بين تلك القوات الشاه نفسه، والعديد من قواده وخاناته . . ولكنه لم
يستطع ان يعالج الموقف لصالحه والسبب الاساسي في ذلك الخسائر البشرية
الفادحة التي لحقتها طوال ذلك اليوم، وفشله في جميع خططه التي كان يزمع
نجاحها، وحسم الحصار لصالحه ودخوله واستباحته الموصل. في حين نعلم
ان النصر الحاسم الذي ■ المدافعون في المعركة الفاصلة الاخيرة قد جاء في

الايام الاخيرة من امد الحصار . . واذا علمنا بأن المدافعين لم تفيض لهم عين، ولم يجمع لهم بال وهم يطلقون آلاف القنابل والقذائف . . ويدربون مخاطر هجوم الاعداء لاكثر من اربعين يوماً تمثل امد الحصار والذي تمثلت فيه اخطر الهجمات العسكرية ورافقتها حرب اقتصادية قاسية، وحرب نفسية رهبة . . ادركنا ما تحمل به المدافعون من القيم والصفات . . وما تميزت به قيادة الدفاع الحكيمة من الميزات العالية التي جعلتها تنجح في جميع خططها وسبلها .

الآثار الداخلية:

لقد كان لحصار الموصل آثار داخلية بالنسبة لولاية الموصل في كل من مركزها المحلي ولواقعها . . بدت واضحة خلال فترة تاريخية طويلة بعد الحصار، ونستطيع ان نجمل اهم مواصفات تلك الآثار العميقة وظواهرها في تاريخ الولاية المحلي فمن الناحية السياسية:

١ - ساعد كل من حصار وانتصار الموصل على الايرانيين لكي تقوى سمعة الجليليين لدى البلاط العثماني، نتيجة ما ادوه من خدمات في خلاص الموصل من وقوعها في القبضة الايرانية. فاناطت الدولة مسؤولية الموصل لهذه [ملاحظة] العربية الاصل كما يذكر المؤرخ البرت حوراني، وذلك على امتداد معظم سني القرن الثامن عشر وأوائل القرن التاسع عشر. (٤٨) وبقيت الاستانة تنظر اليهم كعمود لها على باشوات بغداد (٤٩) الممالك خريبي الاصل والصفات عن كل من المجتمع العراقي والمجتمع التركي. (٥٠) ورغم هذا فان بطل الدفاع الوزير الجليلي لم تمنحه اسطنبول امتيازات كبرى أو منصباً خاصاً لديها وقد يكون السبب في ذلك انه كان ادارياً قديراً بالنسبة لولايات الشرق ومحارباً لدوداً ضد ايران بل ان يكون سياسياً تركياً اذ لم يعيش في كنف البلاط العثماني وبجانبه اسراره، أو أن يعمل في الجناح الغربي للامبراطورية العثمانية الذي يضم ولاياتها في شرق اوربا . . . فقد ولد وتوفي في الموصل التي كانت بحاجة اليه، فترسخت من خلال اسرته ادارتها المحلية لها وللأقاليم في الشرق الادنى وتميز ذلك من خلال دفاع الموصل لفترة طويلة اذ كانت الموصل تتنفض أو تنور في وجه أي وال تركي غريب عنها فيكون مصيره القتل أو العزل أو الهروب .

٢ - من الناحية الادارية فقد اعتبرت فترة حكم الوزير الحاج حسين باشا الجليلي للموصل ازهى فتراتنا في التاريخ الحديث، فقد خبت الفتن المحلية، والقلاقل في لواحقها وديارها، واعمال السلب والنهب على المسالك... ولقد وُجد الدفاع لمصائلها وقطاعاتها وشهدت ذلك بعد انتصارها الذي حققته على نادرشاه، وما ان اغترب هذا الوالي عنها حتى بدأت الاضطرابات والقلاقل تظهر من جديد، وقد سببت الانشقاقات الداخلية في المدينة، وانقسم الاهالي على انفسهم بعد الانقسامات التي حدثت بين الادارة والجيش من طرف، وبين الاسرة الحاكمة نفسها... ثم انقسامات اورطانات الجيش وقوادهم على انفسهم ايضاً^(٥١) وقد ازدادت اعمال العنف والشغب بصورة كبيرة بعد وفاة الحاج حسين باشا الجليلي، وبقيت احداثها تمتد من ههنا الى آخر، وقد جرت الى نتائج سياسية كان من اهمها ضعف مركز حكومة الموصل، وتدخل الحكام الماليك بصورة مباشرة في امورها^(٥٢) وخصوصاً بعد اغتراب ووفاة الوزير الخازي محمد امين باشا الجليلي سنة ١٧٧٥ م / ١١٨٩ هـ، والذي عاد الى العراق بعد الاعمال الكبرى التي اداها في بسارابيا ضد الروس بحكم منصبه «سردان الجيوش العثمانية»، وقد عينه السلطان عبد الحميد الاول بعد استقباله له بحفاوة لمهمة «تعديل نظام بلاد الشرق والعراق»، وولاه العراق^(٥٣)... ولكنه توفي قبيل الشروع بمهمته فتلاشى هذا المشروع الكبير بوفاته. وهكذا بدت الموصل وبغداد بعد حصار الموصل تعالجان الانقسامات الادارية، والقلاقل القبلية التي ازدادت انتشاراً، وملاحقة اعمال السلب والنهب واحلال واصلاح الامور الداخلية خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر، بعد ان كانتا مركزي دفاع قويتين ضد الفرس خلال النصف الاول منه، كما رأينا من خلال تطور تاريخ العراق وعلاقاته السياسية... ولو قدر للوزير الحاج حسين باشا الجليلي ان يحكم بغداد، او ان يجد دعماً سياسياً كبيراً من الوزير احمد باشا والي بغداد، لكان انتصار الموصل على نادرشاه وقواه الامبراطورية قد وُجد العراق سياسياً في ظل نظام عراقي وحكومة واحدة كان من السهل عليها الانفصال عن العثمانيين والتأثير في توحيد الشرق العربي بأجمعه.

٣ - اما من الناحية السيسولوجية فلقد اثر الحصار الايراني داخلياً على البنية الاجتماعية وتركيبها الطبقي ، ورغم تجمد النزاعات المحلية بين فترة واخرى بين مختلف الاطراف . . الا ان دفاع الموصل ضد الايرانيين واستماتتها في صيده وقهره قد حفظ لها روابطها الاسرية القوية ، وحفظ مجتمعا من الانهيار والفتاء أو التشرذم والتشتت على ايدي الايرانيين . ومن ناحية اخرى فقد حفظ دفاعها لها عاداتها وتقاليدها الاصلية التي تشترك فيها كافة صنوفها وطبقاتها وسكانها في مركزها بالذات . وترك الدفاع بصمات روحية في المجتمع من خلال ضرب الامثلة التاريخية عنه والاشادة بعظمته وكانه الحكايات عنه ينقلها جيل بعد آخر لأكثر من قرنين من الزمن .

٤ - اما من الناحية الاقتصادية ، فلقد كان لدفاع الموصل الاثر الكبير في حفظ علاقات الموصل الاقتصادية بغيرها من الاقاليم والساجق والدساكر والتخوم المجاورة لها أو المرتبطة بها من خلال المسالك البرية والنهرية ، سواء كانت في اعالي الجبال أو في البراري الغربية وبقيت الموصل مسيطرة على جميع تلك المسالك واممها مسلك اسطنبول - بغداد الاستراتيجي ^(٥٤) عبر الموصل . . . وبقيت خاناتها الكثيرة والكبيرة تعج بالقوافل والتازلين والراحلين ، وبقيت اسواقها عامرة بالبضائع والمواد ، اذ استمرت فيها حركة التجارة العالمية التي يمثلها التجار للكبار عبر الشرق واوروبا ، وبقيت حركة التجارة المحلية سارية المفعول والتي يمثلها التجار الصغار عبر اتصالاتهم بالاقاليم والتوابع المجاورة . وقد وصف الرحالة «ابن بطوطة» اسواق الموصل بعد مروره فيها عقب حصار فادرشاه لها بسنوات قليلة ، وذكر بأنها اسواق عامرة تعج بالمتروجات ^(٥٥) . وبقيت الصناعات والحرف بالموصل على حيويتها في المركز والتوابع ولقد وصف الرحالة «جاكسون» الوضع الصناعي المتطور في الموصل سنة ١٧٦٧ م / ١١٨١ هـ وذكر بأن بعض المصنوعات الموصلية تتفوق على المصنوعات الاوربية مثل صناعة السروج والاحزمة والسجاد الحريري المطرز بالازهار . . ثم مصانع الحديد والنحاس لمختلف المواد التي يتم شحنها الى الخارج عبر دجلة نحو البصرة ^(٥٦) . هذا اضافة الى وصف صناعات الموصل للمنسوجات المختلفة ، وصناعة الموصليين الذي تصدره الموصل الى اوروبا . . وقد اشد بذلك كل من الرحالة «ابن بطوطة» سنة ١٧٥٨ م / ١١٧٢ هـ ، والرحالة «نيبور» سنة ١٧٦٦ م / ١١٨١ هـ . اضافة الى

تطور التنظيمات الحرفية، والعلاقات الانتاجية بين الاصناف المختلفة . .
وتطور المبادئ النقابية والعمل من خلالها . . وبدون شك، فان دفاع الموصل
الذي اشتركت فيه كافة الفصائل الاجتماعية ومن ضمنهم الحرفيين والصناع
قد زاد من روح العمل النقابي وتطور تكويناته . (٩٩)

ولقد بقي النظام الضرائبي يُعمل به، (١٠٠) وتطور مع نمو الحياة
الاقتصادية، وتحولت الموصل من مركز دفاعي عسكري الى مركز مدني وثقافي
وتجاري . . ورغم هذا كله الا ان الموصل بقيت اسيرة للظروف الطبيعية
والاقتصادية نسبة الى حركة ازدهار أو دمار المنتجات والمحاصيل الزراعية
والآفات الطبيعية. وتحولت الموصل بعد ان كانت تحكمها العلاقات
الاقتصادية الى مركز يتصرف في حياته الاقتصادية اصحاب رؤوس الاموال
والتجار مما زاد في تعقد احواله مما كان عليه في السابق .

٥ - اما من الناحية العمرانية والثقافية، فقد شهدت الموصل بعد حصارها حركة
عمرانية متطورة (١٠١) بدأها الحاج حسين باشا الجليلي بأصلاحه مرافق عديدة
بعد حصوله على موافقة السلطان العثماني فجند ب باشاوية وسور الموصل
والعديد من المساجد والكنائس . ولقد فتحت ابواب جديدة في الموصل بعد
قيام الوالي بسد باب العمادي شمال المدينة اثناء الحصار (١٠٢) . . اضافة الى
تجهيد وتعمير العديد من دور الحكومة والقصور والبيوت والشوارع والجوامع
والاسواق والمدارس، (١٠٣) ولقد أصعب الرحالة «هفزه» بالموصل بعد
حصارها بسنوات وذكر بأنها احسن مدينة شاهدها في الامبراطورية
العثمانية. (١٠٤) وشهدت الموصل حركة ثقافية وعلمية وادبية مزدهرة،
وارتقت بمدارسها ومكتباتها وعلمائها وشعرائها ومؤرخيها واطبائها وعُدّت
مركزاً ل العربية ابان القرن الثامن عشر. (١٠٥)

الآثار الخارجية:

١ - أثر حصار الموصل وفشله على تاريخية كيان العراق:
ل فشل نادرشاه في حصاره للموصل نتائج وأثر عديدة بالنسبة الى احوال
العراق ومستقبله . ولو قدر لنادرشاه ان ينجح في سيطرته على الموصل لكان قد
تغير تاريخ العراق وجغرافيته ومجتمعه وتركيبه السكاني بصورة غريبة ومجهولة . .

وعلى الدارس ان يتحسس قيمة ذلك من خلال نظراته الواسعة لتاريخ العراق
وبنيته الانثروبولوجية وطاقاته الاقتصادية. واهم النتائج بهذا الخصوص هو فشل
السيطرة الايرانية على شمال العراق التي تتميز باستراتيجيتها الاقتصادية
والجغرافية ومسالكتها التجارية ومراكز مدنها المتصلة بممرات جبلية وقنوات نهريّة.
كما انها غنية بثرواتها الحيوانية ومحاصيلها الزراعية (٦٦) ...

اثناء الحصار الايراني للموصل، ارتفعت اسعار المواد الغذائية في بغداد،
وذلك بسبب سيطرة نادرشاه القوية على نهر دجلة ومركز اتصالاته عند الموصل،
وقطع شحن الحبوب جنوباً، ولم تنته الازمة الاقتصادية في بغداد حتى انتصار
الموصل وفشل نادرشاه امامها. (٦٧) وعلى الدارس ان يتساءل ماذا لو طال امد
الحصار لعدة اشهر؟ وماذا لو استطاع نادرشاه ان يقتحم الموصل ويسيطر عليها؟؟
ان كارثة اقتصادية كانت ستحل بالعراق، وعلى الانعص مدنه الكبرى، مما يجعله
فريسة سهلة لكي يلتهمها نادرشاه، وان تكون حياة العراقي تحت بطش ودموية
ايران.

من جانب آخر، حافظ فشل الحصار الايراني على الموصل في ابقاء البنية
الاجتماعية العراقية راسخة وسليمة من عناصر الاختلاط، وما تتميز به طبيعة
المجتمع العراقي من الصفات التي تجتمع بالعادات والتقاليد الأصيلة. لا بد
للمرء ان يتصور ماذا سيحل بحالة المجتمع العراقي في المدن ولواحقها من القرى
والارياف لو استقر فيه اكثر من ربع مليون نسمة سحبت من ايران واصقاع
الشرق البعيد وهي متعددة الاجناس والاخلاق والعادات بالنسبة الى عدد سكان
العراق ابان تلك الحقبة التاريخية؟؟ وماذا سيكون الحال عليه لو بقي العراق تحت
حكم ايراني طويل الامد؟؟ وماذا سيحل باماكنه وعياناته المقدسة العراقية
العريقة؟؟ وماذا سيحل باحوال القوميات والاقليات السكانية المتأخية التي ارتبط
مصيرها مع كيان بلاد وادي الرافدين منذ عهود تاريخية طويلة؟؟ لقد نكل نادرشاه
اثناء زحفه في اراضي العراق الشمالية بالعرب والاكرد والتركمان والاقليات
الاخرى تنكيلاً مفعجاً وظللاً، ويذكر محمد امين زكي في تاريخه عن كردستان قاتلاً
وكان الاكرد يكرهون - نادرشاه - اشد الكراهية، حتى انهم ألفوا القصائد
باللهجة الكوردانية الكردية في هجومه ونعته بالقسوة والغدر. (٦٨)

نستفيد بعد هذا كله الدروس التاريخية التالية بما يخص المحافظة على كيان العراق:

- ١ - فشل نادرشاه في السيطرة على العراق، مراكز ولواحق واطرافاً.
- ٢ - فشل نادرشاه في السيطرة على المسالك العمودية بركة كانت أم نهرية من شماله حتى جنوبه وهي التي تربط اناضوليا بالبحر العربي والمحيط الهندي عبر العراق والخليج العربي.
- ٣ - فشل نادرشاه في السيطرة على منافذ العراق الشرقية ومسلكه الافقية التي تربط الشرق بأوروبا.
- ٤ - فشل نادرشاه في الحصول على أية مكاسب اقليمية عراقية سواء بطريق العدوان أو بأسلوب المفاوضات.
- ٥ - مثل دفاع الموصل انتصاراً للعراق في الحفاظ على رقعة الجغرافية الموحدة وحدوده الشرقية القديمة.
- ٦ - حفظ هذا الانتصار على موارد العراق الاقتصادية من استغلال السيطرة الإيرانية.
- ٧ - حافظ هذا الانتصار على وحدة المجتمع العراقي ومستقبله من التبعثر والتشرد أو التفرق والانقسام.
- ٨ - كان دفاع الموصل درساً قاسياً لإيران، فكانت حملة نادرشاه الثانية عليه خاتمة الحملات الإيرانية الكبرى على العراق، وقد أعقبتها فترة سلام طويلة ارتاح فيها العراق ضمن حلقة الصراع.

٢ - حروبة دفاع الموصل وأثر فشل الحصار الإيراني على الشرق العربي:

تميز دفاع الموصل ضد نادرشاه سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م بحرويته الخالصة، سياسة وإدارة وجيشاً ومجتمعاً واقتصاداً. وما ترتب عليه من آثار داخلية وخارجية. وقد توضح ذلك بصورة تلفت النظر من خلال سياسة الولاية نفسها وإدارتها الذاتية، ومن مجرى الأحداث، وصنع القرارات، والتكاتف الاجتماعي المتماسك في داخل المدينة مع كافة الفصائل من الاقليات السكانية التي نزحت لها من لواحقتها واطرافها، ومع القوات العسكرية المشتركة في صد نادرشاه. إضافة الى الطابع العربي الذي تميزت به لغة المراسلات الدبلوماسية.

ليس خافياً قبل كل شيء بأن الموصل تعتبر من أحرق حصون العرب ومعاقلهم في الشرق منذ فترات تاريخية سحيقة وحتى اليوم، ولقد استطاعت بأمكانياتها المحلية والذاتية - كما رأينا - أن تصمد من خلال دفاعها أكبر خطر وهيب كان يهدد الشرق العربي بصورة كاملة، ووحدة أراضيه وسكانه ومستقبله. . . ولم يكن دفاع الموصل دفاعاً إقليمياً فحسب، إنما انتصاراً للشرق العربي في صدها الخطر الإيراني عنه، وأنها ومن خلال ما حققت من مكاسب قد انتهت وبصورة نهائية، التهديد الإيراني المزمن في السيطرة على المسالك الاستراتيجية التجارية التي تربط منافذ الموصل الشرقية بالبحر المتوسط^(٧٩) عبر حلب، فأبنت بذلك أحلام نادرشاه في سيطرته عليها، ففشل في مد نفوذه إيران إلى البحر المتوسط، وانضمت بذلك مصالحه الاقتصادية مع أوروبا وعلاقاته التجارية مع موانئها الكبرى. وشبه المؤرخ «اولسن» الامبراطور نادرشاه بالشاه الإيراني عباس الأول، كون الاثنين لم يستطعا الوصول إلى موانئ البحر المتوسط،^(٨٠) وتحقيق هدف إيران الاستراتيجي في السيطرة على المشرق العربي، وذلك من خلال حملاتها الحربية الكبرى ضد العراق. وظهمن من هذا كله، أن الموصل في دفاعها عن الشرق العربي كانت سداً منيعاً أمام الإيرانيين، ولو سقطت بأيديهم فلم يكن لولايات بلاد الشام المتاخمة لها غرباً وهي كل من ولاية الرقة وولاية حلب وولاية طرابلس الشام بقاعدة على إيقاف وصد الزحف الإيراني العالي وذلك لأسباب ثلاثة هي:

- ١ - ضعف حجمها العسكري والإداري والذاتي، واستعداداتها الحربية.
- ٢ - المشاكل الداخلية التي كانت تعيشها سواء في المدن أو على المسالك.
- ٣ - لم تخضع أي تجربة حربية واحدة في الصراع طويل الأمد مع إيران.

ورغم كل ذلك، فإن مشاركة والي حلب الوزير حسين باشا القازوقجي في دفاع الموصل ضد إيران لم يخطط لها، وإنما جاء بحكم منصبه كمحافظ للموصل بابعاز من السلطان العثماني وكانت مشاركته بقوات رمزية قياساً إلى حجم الهجوم وقوات الأعداء. وتتساءل بعد هذا كله: هل كان البلاط العثماني مقبلاً للأوضاع التي كانت عليها ممتلكاته الشرقية في الأقاليم العربية، ليقف مفتعداً على قدرات الموصل الذاتية وحدها ضد اعنى حملة إيرانية زاحفة على الشرق العربي، دون أن يشاركها بقوات كبرى؟

من ناحية اخرى، فقد اتصفت الجبهة الداخلية في الموصل بطابعها العربي المحلي وهذا ما ميز الولاية عن غيرها من الولايات العثمانية في المشرق العربي ابان الحقبة الجليلية. وكانت الموصل، هي مسقط رأس واليها الحاج حسين باشا وفيها نشأ وتعلم... غبار اذا علمنا ان ادارة الولاية ودواوينها كانت تعمل بالعربية، (٧١) كانت هي الامم الوالي. وقد اخطأ اولسن عندما ذكر بأنه كان يرافقه «الترجمان» في حملاته ومؤتمراته لأنه لم يكن يجيد اللغة التركية اجادته للعربية، كما يذكر المؤرخ «اولسن» (٧٢) فهم الاخير كلمة «الترجم» فظنها «الترجم» ومن الجدير بالذكر ان المراسلات الدبلوماسية التي تبودلت بين الطرفين نادرشاه - حسين باشا الجليلي قبيل الحصار واثنائه كانت قد كتبت جميعها باللغة العربية، (٧٣) اذ لم تكتب باللغة التركية، اللغة الرسمية للدولة العثمانية، كما انها لم تكتب باللغة الفارسية وهي اللغة الرسمية لنادرشاه ايران، ومعزى السبب اولاً واخيراً ان اللغة العربية كانت هي اللغة الرسمية لولاية الموصل، مما اضطر نادرشاه ان يتنازل عن تقليده الرسمي امامها. من طرف آخر نعلم بأن التقرير الرسمي الذي ارسله والي الموصل الى العاصمة اسطنبول بعد فشل الحصار، كان قد كتبه المحافظ الوزير حسين باشا القازوقجي بالتركية، (٧٤) ورفع الى السلطان العثماني باسم الاثنين الوالي والمحافظ معا.

ولم يتوقف الامر على الناحية الادارية فقط، فقد انبثقت عن المجتمع اغلب فصائل الدفاع منذ بداية استعدادات الموصل الكبرى وتحضيراتها لصد نادرشاه وحتى رحيله وتفهم الايرانيين، ومشاركتها ابان الحصار العديد من الاقليات والفئات والقوات وقد ضمهم جميعاً هذا المعقل، فكانوا خلية واحدة، وتكفينا اشارة المؤرخ ياسين الخطيب العمري الذي ذكر بأن قبيلة قد اسقطها العبي الايراني وانفجرت بعد ان ركض نحوها وحملها احد اكراد قوج باشا فمزقته تمزيقاً وذلك في فناء أحد الجوامع الواقع في قلب الموصل. (٧٥)

من ناحية اخرى، فقد تميزت الآثار الادبية والتفسي التي ولدها كل من الحصار والانتصار بعرويتها ونزعتها القومية، وتبارت الشعراء في قصائدهم والتوصلة في اناشيدهم، والادباء في كتاباتهم... وكثرت الاوصاف والالقاب والتأجيات والاعمال. (٧٦)

ومن الآثار الأخرى التي سببها الانتصار داخلياً هو الاعتزاز بعروبة الولاية لفترة طويلة، إذ كانت الموصل رغم الانقسامات التي نوالدت فيها سياسياً واجتماعياً إلا أن ذلك لم يمنعها من أن تتفرض أو تتورق في وجه أي وال تركي غريب عنها فيكون مصيره القتل أو العزل أو الهروب. (٧٧)

والخلاصة فإن دفاع الموصل ضد نادرشاه تمجذ بعرويته ووطنيته، وأنه صد أكبر زحف إيراني على الشرق العربي وحافظ على وحدة أراضيه ومجتمعه واقتصاده ومستقبله.

٣- أثر فشل الحصار الإيراني للموصل على الامبراطورية العثمانية:
لقد قدم دفاع الموصل ضد نادرشاه مكاسب عديدة للامبراطورية العثمانية وإلى بلاطها في استنبول. . فعندما كانت قوات نادرشاه الضخمة محاصرة الموصل، كانت قد أرسلت قوات إيرانية أخرى عن طريق زاخو إلى جزيرة ابن عمر شمال الموصل وسيطرت على منافذ اناضوليا في إقليم الجزيرة (٧٨) بعد أن ارتكبت مذابح دموية مفرجة، (٧٩) وقد مهدت السبيل أمام نادرشاه لكي يخترقها نحو الأناضول بعد سيطرته على الموصل. . وعليه فقد حسم فشله أمام الموصل الأمور التالية بما يخص بلاد الأناضول، وفشله في تحقيقها:
■ تهديده لأقاليم الأناضول الشرقية وأهمها ديار بكر وقارص وأرضروم وأطماح المستمية لها.

- ٢- تهديده للمصالح العثمانية في البحر الأسود ومراقبته الاستراتيجية.
٣- فشله في السيطرة على مسالك اناضوليا التجارية، وأهمها الخط الاستراتيجي أرضروم - ديار بكر - الموصل - حلب - البحر المتوسط.
٤- فشله للوصول إلى أراضي أرمينيا عن طريق الموصل - أراوات.
٥- فشله في كبح جماح العلاقات بين الامبراطورية العثمانية وكرميا (بلاد القرم) من خلال سيطرته على منافذ اناضوليا الشرقية.
٦- تهديده للمجتمعات السكانية والقبائل ومراكز المدن الأناضولية، وفقد الموصل في دفاعها عن المزيد من الكوارث والمذابح التي كانت تنتظرهم.

أما من ناحية أخرى ■ حافظت الموصل في دفاعها عن حياة العاصمة العثمانية استنبول من خطر عقق تتمثله أكبر قوة إمبراطورية إيران. ويذكر

المؤرخ أولسن في هذا الصدد وبأن فشل نادرشاه في السيطرة على الموصل قد أنهى
امله في أن يمد حكمه من اندوس الى البسفور. ^(٨٠) في حين نعلم ان البلاط
العثماني لم يوازن قواه العسكرية بالنسبة الى الطرف الايراني حتى ايام الحصار. .
ولم تقف امام زحف ايران **أ** قوات عثمانية متفرقة على التخيوم وحميات
عسكرية صغيرة متركزة في مدن الاقاليم كان من السهل جداً على نادرشاه ان
يمزقها ويحترقها بعلم ان يسيطر على الموصل ويمجد طريقه مفتوحاً نحو العاصمة
اسطنبول. ^(٨١) وعليه فقد حسم فشله امام الموصل الامور التالية بما يخص
البلاط العثماني:

- ١ - فشل نادرشاه في السيطرة على الممتلكات العثمانية الشرقية.
- ٢ - فشل نادرشاه في السيطرة على الحدود الطبيعية بين الاناضول والاقاليم العربية
والتي تمثلها سلاسل جبال زاكروس - حكارى - طوروس.
- ٣ - فشل نادرشاه في تقديمه الى العاصمة اسطنبول، كما كان قد قرره بعد اسقاطه
للموصل وسيطرته على خط الموصل - ماردين - آمد الاستراتيجية الذي يصل
اسطنبول. ^(٨٢)
- ٤ - فشل نادرشاه في ضرب المصالح العثمانية عبر البحار، وقطع علاقاتها التجارية
مع الموانئ الهندية والافريقية من خلال سيطرته على العراق والخليج العربي.
- ٥ - فشل نادرشاه في ضرب استراتيجية العثمانيين في اوربا والبحر المتوسط من
خلال سيطرته على المشرق العربي وبلاد الشام.
- ٦ - فشل نادرشاه في فرض سيطرته على خطوط سير الحجيج والمتمثلة بكل من
الركيين العربيين للحج الى بيت الله الحرام وهما ركب الحاج الشامي وركب
الحاج المصري . . . وكانت الدولة العثمانية توليها اهتماماً خاصاً منذ بدايات
القرن السادس عشر. ^(٨٣) وبذلك خلع الحجاز من شرور نادرشاه، اذ
كانت اهم مطالبه هو السيطرة على خطوط سير الحجيج.

ويخلص المؤرخ أولسن في كتابه الى نتائج اخرى نترجم بعضها اضافة الى
نتائجنا اعلاه، يقول: «ان خطر نادرشاه كان يواجه شعب الموصل بصورة واضحة
في عام ١٧٤٣ م، وفي الحقيقة **ب** الباب العالي لم يكن قادراً على ارسال اي نوع
من المساعدة لهم، بل واجهوه بجهتهم الملتحبة. . . وقد اهزمت قوى مدينة
الموصل جيش اعظم امبراطورية منافسة». ^(٨٤) ويتابع قوله «لقد كانت احوال
سنة ١٧٤٣ م مهلقة بصورة اكبر بكثير من احوال سنة ١٧٣٠ م». ^(٨٥) وينقل

أولسن عن مصدر تركي قوله «ان انتصار الموصل عام ١٧٤٣ م قد حال دون
المجابهات الرئيسية المحتملة الوقوع بين العناصر المتنوعة للاصناف والانكشارية
والعلماء». (٨٦)

هذا وتعتبر أحداث الموصل من أبرز أحداث تاريخ الامبراطورية العثمانية
خلال القرن الثامن عشر، لأن الموصل خلصت العثمانيين وعاصمتهم ودولتهم
من خطر امبراطوري عثماني.

■ اثر فشل الحصار الايراني للموصل وانتصارها على اوضاع ايران:

يصف المؤرخ ستانفورد شو هذه الحرب الايرانية، بالحرب الدموية
المستعصية. ويقول «بان نادرشاه اخفق في غاياته ورجع مندحراً وقد فقد خسائر
جسيمة». (٨٧) لقد انتهى انتصار الموصل احلام نادرشاه في السيطرة والتوسع،
وامات بشكل نهائي كافة مطالبه الدينية والسياسية التي كان قد فرضها في شروطه
التعجيزية امام البلاط العثماني، واهمها ما يخص العراق واواضيه ومدنه
وموارده. ولم تغلر ايران مرة اخرى استراتيجياً ضد العراق على المستوى
السياسي أو الحربي أو الاقتصادي.

كان للهزيمة التي مني بها نادرشاه آثار واضحة في الافكار المتزمنة التي كان
يحملها والتخل عنها. كما يذكر المؤرخ ياسين الخطيب العمري (٨٨)، ورغم
ذلك فانه لا أجد أدلة تاريخية تطبيقية عن تحلي نادرشاه عن افكاره الدينية في حين
نرى ان افكاره السياسية والحربية في السيطرة والتوسع ضد العراق قد انتهت معه
في قبره.

يرى المؤرخ التركي «علي اميري» ان نادرشاه لم يستطع البتة من العودة الى
الموصل بعد فشله امامها للانتقام منها، أو الاخذ بثأره، وانه لم يكرر بعد ذلك
هجومه على العراق. (٨٩) ولنا ان نستنتج بعد هذا، ان انتصار الموصل وانحدار
نادرشاه كان له التأثير الواضح في احداث سياسة ايران العلوانية المزمنة ضد العراق
لمرحلة طويلة، ويقف المؤرخ أولسن محلاً في هذا المجال نوازع ايدولوجية
الدولة، (٩٠) دون ان يقف ملياً في استنتاجاته عند خبر تحركات ايران للسيطرة
على العراق جغرافياً واقتصادياً.

من ناحية اخرى، فقد سببت هزيمة نادرشاه من العراق آثاراً خطيرة في الكيان الايراني وبنته السكانية، ■ حدث العصيان في اماكن متعددة من دولته ضد حكمه، وبدأت القلاقل تسري من مدينة الى اخرى بعد ان اشعل فتيلها كل من التركمان والقاجاريين الذين وجدوا في تفهقره، ورجوعه حل نحو غريب بداية لنهاية العصر النادرشاهي كما يرى المؤرخ «سايكس». ^(٩١) واستطاع نادرشاه ان يخمّد تلك الاضطرابات المنتشرة في اقاليم دولته، وبدأ يوجه نظاره نحو الشمال عندما سمع باستعدادات العثمانيين وتحركاتهم العسكرية وذلك بعد ان مضى على حصار الموصل اكثر من سنتين ليلتحم كل من الطرفين في معارك متفرقة على اراضي ارمينية واذربيجان ^(٩٢) . . ولم يقد انتصار اوانتكاس اي من الجانبين في تحقيق اي نصر حاسم كالذي بلغه دفاع الموصل في العراق . . وقد خففت الدائرة المفروقة التي كان يدور فيها نادرشاه بمطالبه، واعترف بحدود كل من الدولتين وتبادل الطرفان السفراء والتمثيل الدبلوماسي.

اما من الناحية الاقتصادية ■ سبب فشل نادرشاه امام الموصل، الفشل الذريع في احتلال ايران للممالك التجارية التي تصل هذه المدينة ببحر قزوين، ■ ركز هذا الشاه جهوده وطاقاته في تطوير منافذ بحر قزوين. ^(٩٣) وبخبرنا «اولسن» عن النشاطات التي اداها الكاتب جون التين John Elton الذي بدأ عمله لنادرشاه في تموز ١٧٤٢ م وبعد فشل نادرشاه امام الموصل بدت اعمالها في منافذ قزوين اكبر كثافة، وذلك نتيجة للاسباب التي خلقها الفشل المذكور، فقد سدّ البحر المتوسط بوجه ايران بصورة كاملة، من ناحية اخرى ■ سيطرت البصرة على سيادتها، واثرت القبائل العربية المحيطة بالخليج العربي على جانبيه في حركته. ^(٩٤) وسبب حصار المنافذ بوجه ايران لكي تطور تجارتها عبر بحر قزوين والتعامل مع الشركات الروسية والتي ازدادت ضرورتها الاقتصادية ^(٩٥) . . في حين سبب فشل نادرشاه وانسحابه من العراق الى ان يعيد العراق تجارتها . . واستعاد العراق مدخولاته الاقتصادية وبدأ يحقق رسومه الكمركية ^(٩٦) بعد ان كانت تذهب الى جيوب ايران.

لقد كان نادرشاه طامعاً في السيطرة على الخليج العربي كسيطرته المفروضة على بحر قزوين، ولكنه انتهى فاشلاً . . وعادت البصرة لتسيطر على استراتيجيتها البحرية، وعادت الموصل بعد ان فتحت ابوابها لتسيطر على مسالكها التجارية الكبرى، ولم تحقق ايران نادرشاه اي نجاح في السيطرة على المنافذ والمسالك

العراقية، أو أي مكاسب اقتصادية من حملتها الكبرى على العراق، وسبب الفشل ضرب المصالح الإيرانية مع أوروبا.

ومن الأهمية بمكان أن نقارن ضمن هذه النتائج في سياسة إيران الاستراتيجية ضد العراق، فلقد كانت الأطماع الإيرانية تنصب في عهد الصفويين على قلب العراق وجبهته الشمالية، وبعد عصر نادرشاه امتداداً طبيعياً لذلك العهد الذي استلمت في السيطرة على شمال العراق ومنافذه ليمتد نحو البحر المتوسط. ولقد تغيرت هذه السياسة عقب انتهاء المرحلة النادرية، ■ توجهت أطماع كل من السلالتين اللتين حكمتا إيران بعد نادرشاه: العائلة الزندية (٩٧) (١٧٤٧-١٧٩٤)، والعائلة القاجارية (٩٨) (١٧٩٤-١٩٢٥) للسيطرة على المنافذ الجنوبية للعراق في كل من شط العرب والخليج العربي. ونستنتج بعد هذا كله أن إيران لم تستطع تحقيق مكاسبها العدوانية في العراق إلا في حالة ضعفه وتفككه، وهذا ذلك فإنها ملزمة على احترام سيادته ومنافذه وحدوده.

أما من ناحية نادرشاه نفسه، فكما يذكر أحد المصادر الإيرانية بأن فشله في العراق ورجوعه منه خائباً قد سبب احتلالاً في صحته، وبدأ على غير ما كان عليه بالمقارنة أثر رجوعه من الهند (٩٩). وبعد رجوعه انهكته قضايا بلاده الداخلية وانتهى عصره المضطرب بالدماء، وانتهت صفحته التاريخية المزعجة عندما اغتيل في ٢٠ حزيران ١٧٤٧ م / ١١ جمادي الثاني ١١٦٠ هـ أثناء انشغاله بتهدئة اضطرابات الأقاليم الذي ولد ونشأ فيه وهو إقليم خراسان الذي عصى عليه وقار ضد سياسته الحرقاء (١٠٠). «وبدا لاقت بربريته المتعطشة إلى الدماء والتي بدلت طاعة شعبه له نفوراً منه وفزعاً حثفاً الذي سلمت منه منذ مدة طويلة» (١٠١) وتشرح إحدى وثائق سانت البرت الفرنسية، وهي رسالة محررة في قصبة من مدينة أصبهان عن الفوضى الداخلية التي كانت تعيشها إيران في سنة ١٧٤٤ م، أي في السنة التالية على حصار الموصل «ومن سوء الأحوال الاقتصادية، واشتعال الانتفاضات في الأقاليم ووقوع الاصطدامات المسلحة. تقول الوثيقة ما نصه: «إن الانتفاضات تشتد دوماً داخل مملكة فارس... إن الفرس كلهم يرتعبون من رجل فارس كنادرشاه، ولا أحد في جانبه ما خلا العسكر، بينما جميع سكان هذه الامبراطورية الواسعة هم في حالة فقر مدقع، والمدن خربة ومقفرة، والأراضي غير مزروعة...».

استنتاجات واجتهادات في بحث تاريخ الحصار ١ - اقتصاد الحرب:

لقد توضح لنا من خلال نتائج الحصار وآثاره الداخلية والخارجية، الأهمية البالغة لفشل الحصار وانتصار الدفاع وأثرهما البالغ في مستقبل تاريخ منطقة الشرق الأدنى، إذ شكل ذلك الدفاع سداً منيعاً أحال دون تقدم نادرشاه والغزو الإيراني وكسر جيروته بل وكان بداية نهايته من طرف آخر. هذا من الناحية التاريخية... أما من الناحية الاقتصادية، فثمة ملاحظة تتوارد أمام خاطر مؤرخ الحصار، فقد عرفنا أن أحوال الموصل الاقتصادية لم تكن جيدة بأي حال من الأحوال قبل فرض نادرشاه حصاره عليها. وقد انقطعت صلات الموصل الاقتصادية بالأقاليم الأخرى منذ فترة طويلة، كما لم تصلها أية مساعدات اقتصادية من بغداد أو حلب أو ديار بكر أو من مقاطعات الجبال، وإن ما وردنا من العاصمة استنبول لم يكن كافياً بأي شكل من الأشكال لكي يقيها حل قيد الحياة حتى ولفترة قصيرة. ■ كل هذا يوضح وبصورة أكيدة بأن اهتماماً عظمياً قد أنجزت بدون أجر مقابل، رغم أن المعلومات التاريخية تشير بأن حكومة الموصل كانت لها اتفاقاتها الخاصة للعاملين قام بصرفها والتي الموصل، ونستنتج بأن فترة تكشف اقتصادي كان قد مورس حل درجة عالية من التنظيم والضبط في الاتفاق الفردي في المعيشة اليومية، أو أنه قد مورس مرحلياً لمواجهة حصار طويل الأمد قد يستمر شهراً عديدة، كما حدث في حصار الإيرانيين لبغداد سنة ١٧٣٣ م، أو توقعاً لمواجهة حرب اقتصادية ضارية... ومن هنا نستنتج، بأن عمليات تخزين كبيرة للمواد الغذائية قد نفذت ■ لم تواجه المواصلة أية مشاكل من الناحية الغذائية سوى مشكلة المياه التي نجح نادرشاه في خطتها لها وتحويله للشعبة الرئيسية من نهر دجلة عن الموصل وسكانها. ومن المؤكد ■ الحصار في الاستعدادات وفي حربه ونتائج آثاره، قد خلق مجالات للعمل والمهارة وازدادت مدخولات فوي المهن والحرف والصناع. ولم تردنا أية اشارة تاريخية عن ارتفاع الاسعار في السوق قبل بدء تطويق المدينة وفرض الحصار، ولو استثنينا فترة الحصار نفسها باعتبارها قد كانت فترة حرب عنيفة فإننا لم نجد أي اثر لظاهرة الغلاء بعد الحصار وانتهائه التام. إذ كانت مثل هذه الظاهرة قابلة للحلول خلال الفترة المعنية نظراً لانقطاع حركة التنقل والتجارة بواسطة نهر دجلة عبر الاكلاك والسفن الصغيرة مع ديار بكر شمالاً وبغداد جنوباً.

٧ - الخسائر البشرية :

ثمة ملاحظات أخرى حول خسائر كل من الطرفين المتحاربين بشرياً، اذ ربما يندهش القارئ عندما يعلم النسبة غير المطردة لذلك في كثيرها عند الإيرانيين وقتلتها عند المدافعين والتي تحققت حسابياً بنسبة شهيد هراتي واحد الى مائة قتيل إيراني من الاعداء . تعتبر الخسائر البشرية التي لحقت بجيش نادرشاه سبباً أساسياً في انسحاب نادرشاه نفسه الى الجانب الشرقي من النهر، ومسايرته بطلب عقد الصلح بعد توقف إطلاق النار بين الجانبين اثر الهزيمة الكبرى التي لحقت في المعركة النهائية الفاصلة، وان يرحل بعد ذلك عن الموصل بعد الحصار الدامي . اما في الجانب الآخر، فان المدافعين ورغم المصادر الموثوقة **■** اكدت بأن خسائرهم البشرية لم تتعد المائة شهيد . فان حرباً كالتي رأينا أحداثها الدامية ومشاهداتها العنيفة لا بد وان تعطي المؤرخ فرصة للاجتهاد من مجمل خسائر المدافعين البشرية كونها اكثر بقليل مما ذكرته المصادر، وخصوصاً من ضحايا الهجوم الإيراني المدفني المركز عند الضفة في شمال المدينة فقد احكمت السيطرة على الموقف ورأب صدع الثغرة في السور بيتاتها من الحجارة واشلاء اجساد الضحايا ومائتهم . وهناك ضحايا القصف المدفني الإيراني على المدينة المحاصرة ولايام طويلة ليل نهار . ومن الاهمية ان نورد في هذا المجال نصاً تاريخياً من رواية المؤرخ **■** امين الخطيب العمري لتعزيز وجهة النظر هذه والاجتهاد من ناحية الخسائر، فقد قال : «وتوالى الضرب من الطرفين ثمانية أيام ولياليها، واما القنابل فانها اشتبكت في الجمر مثل النجوم الزاهرات، متفضت في جو السماء، حوالي البلد . والقنابل التي القاهها - جيش نادرشاه - على البلد بتلك المدة بلغت خمسين الف قنبلة، فكم هدمت من دور، وكم دثرت بيوتاً لا يحصى لما عدد واهلكت انفساً كثيرة، ومع ذلك ما هابت قلوب الناس الغازين - المدافعين - بل كلما زاد عليهم شديد ضرب المدافع والقنابل ازدادوا شجاعة وثباتاً . ^(١٠٣)»

وربما كان العدد الذي ذكرته الوثائق الرسمية خاص من استشهد في المعارك التي كان يدور رحلها وجهاً لوجه مع الاعداء . او ان يكون المجلد الرسمي لخسائر المدافعين البشرية مائة بالمائة اذا ما علمنا بأن تأثيرات القصف على الموصل بخمسين الف قنبلة لم تكن قاتلة نظراً لما تمهزت به بيوت الموصل ومرافقها من ظواهر خلعت اهلها في تلك الايام الحرجة من تاريخهم وبمكنتنا استخلاص تلك الظواهر كالآتي :

١ - ان بيوت الموصل القديمة ومرافقها وبنائها وجوامعها . . كانت وحتى لعهد متأخر تشيد من حجر الصخر الثقيل أو المرمر الأزرق الصلب، ويمتاز البناء بقوة وصلابته ومهارة من يختص فيه .

٢ - يكاد لا يخلو بيت من بيوت الموصل القديمة من وجود سرداب أو أكثر فيه . . ويتميز بعمقه وقوة البناء الذي يتعالى فوقه . ويستعمل السرداب الموصل لقضاء فترة القيلولة في الاصباح القائضة وتخزين المواد . . وبدون شك فقد استعملت هذه السرايب بمثابة ملاجئ للمقاتل والشيوخ والنساء والاطفال، والتي حتمهم في احشائها من نيران قصف آلاف القنابل والقذائف والبارود المشتمل .

■ تميزت الموصل القديمة ببيوتها المتراسة التي تتواصل مع محلاتها العامة واسواقها وجوامعها ومدارسها ومرافق الحكومة الرسمية . . لاحظ الخريطة المرفقة عن المدينة لفهليكس جونز رقم ١١ - والتي تجتمع بزخما السكاني القوي الى الجانب الشرقي والجنوبي من المدينة . ومن خلال دراستنا للمحصار، وجدنا ان هجمة الاحداه الكبرى قد كانت خارج اسوار غرب وشمال المدينة، وكانت الارض المحيطة من الابنية والمنحصرة بين بيوت وابنية المدينة وسورها الشمالي، هي ساحة عمليات الدفاع والمقاومة والتصدي . . ومن هنا نذكر، بأن الابنية القليلة المتفرقة التي تواجدت على مقربة من السور الشمالي بصورة خاصة هي التي تعرضت لاسوأ الاضرار ومن ضمنها قلعة باش طابية مركز قيادة عمليات قوى الدفاع، ثم الكنائس التي كانت تقع في ذلك الجانب .

٣ - من المؤكد بأن الناس قد كانت على جانب كبير من الوعي في تنظيم استعداداتهم وشعورهم بأخطار القصف المدفعي، ■ جعلهم يأخذون الحطة والحذر، كما واستطاعوا ان يحموا معهم آلاف النازحين الذين تقاطروا على المدينة ودخلوها للاحتباء بها خشية من اخطار الموج اليراني العالي الذي كان يزحف نحو الموصل .

ملاحظات ونقادات

- ١ - من الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٥، المجلد، ج ١، ص ١٩٢، وانظر: (Longrigg, op. cit., P. 152).
- ٢ - المجلد، ج ١، ص ١٦٥، وانظر (Olson, op. cit., P. 177).
- ٣ - ولد الفاي محمد أمين باشا سنة ١١٣٢ هـ، وقد اختط سليمان صايغ بقوله: ان محمد أمين باشا تسلم رتبة الميرميرية وعمره ٢٣ عاماً. (كتابه م، ص، ج ١، ص ٢٩١).
- ٤ - المجلد، ج ١، ص ١٦٥، ايضاً راجع: (Olson, op. cit., P. 177) ومن الجليلي بالتنبؤ ان عماد رؤوف قد كتب سهواً ان السلطان محمود الثالث استقبل الولد الذي لولسته الموصل برئاسة أمين باشا. والصحيح ان السلطان محمود الاول كان الذي استقبل الولد، فمن المعلوم ان السلطان محمود الاول حكم للفترة ١٧٣٠ - ١٧٥٤ م، اما السلطان محمود الثاني فقد حكم للفترة ١٨٠٨ - ١٨٣٩ م. قلون (كتاب عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ١١٢).
- ٥ - Aspinwell, SP, Letter dated 20/11/1743.
- ٦ - Olson, op. cit., P. 177; and f.n. 83.
- ٧ - Aspinwell, Loc. cit.
- ٨ - انظر الملاحظة رقم (٣) اعلاه. وراجع (Olson, op. cit., P. 177) وانظر ما كتبه كيمب في اطروحة: (Kemp, op. cit., P. 313) اما نص فرمان لملك قربة (قرب قوش)، فقد نشر ترجمته العربية: عماد رؤوف في اطروحة انظر: ملحق رقم (٧)، ص ٥١٨ - ٥٢٢.
- ٩ - سالتامة الوصل، ص ٢٤. وراجع ملحق رقم (١١) في المنة، ص ٢٧٧. ايضاً: وقفة الماروخ (اولسن) حته (Olson, op. cit., P. 177).
- ١٠ - Olson, op. cit., P. 177.
- ١١ - Niebuhr, op. cit., 2/362; see also (Harry Luke, Mosul and its Minorities, London 1925, PP. 21-22).
- ١٢ - (الدر المكنون، نسخة المتحف البريطاني، ورقة 317b). وانظر: (Ives, op. cit., 323).
- ١٣ - من الجليلي، المصدر السابق، صفحات (١٠٣)، (١٢٠).
- ١٤ - المصدر نفسه، ص. وانظر: الشمامة، ص ٨٨، ملاحظة عقدها رقم (٢).
- ١٥ - ياسين الخطيب العمري، مخطوط (قصة العنوين في تراجم الحسن والحسين) - نسخة شخصية - ورقة 37٨.
- ١٦ - الشمامة، ص ٨٩، ملاحظة رقم (٢). وانظر الاصل عند: (تاريخ محمد ثريا، سجل عشاق، المجلد الثاني، استانبول ١٨٠٨ - ١٦، ص ٢٩٩).

- ١٧ - المصدر نفسه، ن ص. وانظر من الجليلي، م ص، ص ١١١.
- ١٨ - ثريا، م ص، ج ٢، ص ٢٠٩. وانظر: (Olson, op. cit., P. 169).
- 19 - Tarikh Subhi, fol. 232; also, (Olson, op. cit., P. 169).
- 20 - Kemp, op. cit., P. 5-7.
- 21 - Longrigg, op. cit., P. 157.
- 22 - Kemp, op. cit., P. 135.
- ٢٣ - ع المزاري، المصدر السابق، ج ٥، ص ٢١٢. وانظر: (تاريخ صهيوني).
- 24 - Tarikh Subhi, fol. 178.
- 25 - Olson, op. cit., P. 166; see also, (Kemp, op. cit., P. 122).
- وانظر (أميري، المنهل، الدر المكنون، الزبدة).
- 26 - Tarikh Subhi, fol. 55; (Hekmat, op. cit., P. 231).
- ٢٧ - الدر المكنون، نسخة باريس، ورقة 294a.
- ٢٨ - من الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٥ - ١١٦.
- ٢٩ - المصدر نفسه، ن ص.
- ٣٠ - من الجليلي، المصدر السابق، ص ١١٥ - ١٢٠.
- 31 - İslâm Ansiklopedisi, 9 Cilt, İstanbul 1964, P. 26.
- 32 - Longrigg, op. cit., P. 152.
- ٣٣ - للمزيد من التفاصيل انظر ترجمته بقلم سعيد الديوه جي « الملحق رقم (٤) في (الخبة، ص ٢٠٧ - ٢٠٩)، وراجع: (الروض النضر في ترجمة ابناء العصر لؤلؤه: هضام الدين عثمان العمري، تحقيق د. صلاح النعمي، ج ١، بغداد ١٩٧٤ ج ٧، ج ٧، بغداد ١٩٧٥)، وانظر: (المنهل، الشمامة، الزبدة، الدر المكنون، قبرة العيون، صالنامة الموصل، ديوان حسن عبدالباق، ثريا، سلك الدرر، صايغ، اولسن، كيديه). وأنها وترجمته في الشمامة.
- ٣٤ - راجع الملاحظات (٣١)، (٣٢)، (٣٣) الفصل الثالث من هذا البحث.
- 35 - Niebuhr, op. cit., 2/357.
- 36 - Olson, op. cit., P. 170.
- ٣٧ - سائمة للموصل، ص ٢١١. وانظر: (Olson, op. cit., P. 170).
- ٣٨ - المنهل، ج ١، ص ١٥٢. وانظر: (Kemp, op. cit., P. 316).
- - راجع ملاحظة رقم (١٤٨) الفصل الثالث.
- ٤٠ - راجع ملاحظة رقم (٢٤٧) الفصل الثالث، التي يؤكد فيها قول المؤرخ علي بن هاشم العمري في مخطوطته (روضة الاخبار في ذكر افراد الاخيار) - مكتبة المصنف اليطالي رقم Add. ٢٣٣١١ - ورقة ١٣٦.

٤١ - راجع ملاحظة رقم (٧٤٩) الفصل الثالث، التي يؤكدها قول الوثيقة الإيطالية الملحق
بها البحث، أن ٥٨٠٥ من أفراد العدو قد قتل بعد الهجوم. وانظر بقية المصادر
الأساسية (وثيقة الفاروقجي، المجلد، سلطنة الموصل).

■ - Olson, op. cit., P. 174.

43 - Ibid., P. 174, n. 68; see also: (ص ٢٨٦، ج ١، ص ٢٨٦)

٤٤ - سلطنة الموصل، ص ٣٦٧. وتذكر الوثيقة الإيطالية بأن الموصل سقطت ٤٠ شهيداً
(ملحق ١).

٤٥ - ملحمة الموصل، ص ٢٤، وانظر (لتر، المصدر السابق، ص ٣٠)، وتذكر خطوطه
رومية الأسماء بأن الإيرانيين استولوا على الموصل ٥٠ ألف قبيلة، ن، في حين تذكر
الوثيقة الإيطالية أن عدد القبائل كان ٧٠ ألف قبيلة (انظر الملحق ١).

٤٦ - نفس المؤلف، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٨ - ٨٩.

47 - John Stoye, The Siege of Vienna, London 1984, Chap.
"The Siege", PP. 150-167. (غير أساسي لموضوع هذا الكتاب)

■ - Albert Hourani, The Ottoman Background of the Modern
Middle East, "The third Carreras Arab Lecture of the Uni-
versity of Essex" 25th Nov. 1969, Longman for the University

٤٩ - عبد العزيز نوار، دلود باشا والي بغداد، القاهرة ١٩٦٨، ص ١٤٧.
٥٠ - ليمان فائق، تاريخ الممالك الكولة منذ في بغداد، ترجمه عن التركية
أرتشازي، بغداد ١٩٦١.

٥١ - انظر (ملاحظات من تاريخ الموصل) - خطوط مخصصة - بقلم د. داود الجليبي (مكتبة
الأوقاف العلمية بالموصل - رقم المخطوط ٤٣/٩)، ورقة 268.

٥٢ - هادي زويدي، حكم الممالك في العراق، بغداد ١٩٧٥، ص ١٧٤ - ١٨٣.

٥٣ - انظر اسم، فضائل تاريخي، ج ٢، استانبول ١٩٢٨، ص ١٠٢، أيضاً،
(مجلد ثرياء، سجل عثمان، سجن ذكره)، وراجع - بالعربية - خطوط (الدر للكتون،
نسخة باريس، ورقة 342b)، وكذلك الشماطة، ص ٤٦، ملاحظة بحفها رقم (٢).
٥٤ - انظر ملحق رقم (٢) في هذا البحث.

■ - Ives, op. cit., P. 322.

■ - J. Jackson, Journey from India, London 1799, P. 76.

57 - Ives, op. cit., P. 324.

■ - Niebuhr, op. cit., 2/317.

٥٩ - المجلد، ج ١، ص ١٤٢، وانظر: (Kemp, op. cit., fol. 318)

٦٠ - انظر ملحق رقم (٧) عند عماد رؤوف، المرجع السابق، ص ٥١٨ - ٥٢٢.

٦١ - راجع التفاصيل المحلية في كتاب (نفولا سيوفي، مجموع الكتابات المحررة على ائمة
مدينة الموصل، تحقيق سعيد الديوه جي، بغداد ١٩٥٦).

62 - Olson, op. cit., P. 173.

٦٢ - انظر نقولا سوري، المصدر السابق وتذييلاته وملاحقه بقلم محققه الديوه جي. وانظر: ما كتبه كيمب في هذا الجانب (Kemp, op. cit., sections) إضافة الى بحث الديوه جي الموسوم «مدارس الموصل في العهد العثماني» (مجلة سومر، المجلد ١٨، بغداد ١٩٦٢، والمجلد ١٩، بغداد ١٩٦٣).

64 - Ives, op. cit., P. 324.

٦٥ - لقد فصل الدكتور داود الجليلي مفهراً ما تبقى من آثار الموصل الادبية والعلمية التي كانت متفرقة في خزانات مشهورة عديدة بالموصل في كتابه الشهير (خطوط الموصل، بغداد ١٩٢٧) والذي استناد منه بصورة كبيرة فؤاد سزكين في فهرسه الذي ألفه بالالمانية. وقد جمعت خزانات الموصل المتفرقة مع أقرها النادرة والمهمة قبل سنوات وضممتها جميعها مكتبة الأوقاف العامة بالموصل، ونجرد اسمها السيد سالم عبدالرزاق احمد ليرتب فهرساً أصحاً لاحتوائها من المخطوطات. وطبعت مجلداته على مراحل تحت عنوان (فهرس مخطوطات مكتبة الأوقاف العامة في الموصل) وأهم الخزانين هي خزائن المحببات (الفهرس، ج ٣، بغداد ١٩٧٦)، وخزائن المدرسة الأمنية في جامع الباشا وخزائن المدرسة الراهبة والعثمانية، وخزائن مدرسة الحياط والمدرسة الاحمدية (الفهرس، ج ٤ - ٦، الموصل ١٩٧٧). علماً بأن مكتبات الغرب الشهيرة تحوي على مخطوطات نادرة من الموصل تشكل نتاج النهضة التي شهدتها خلال القرن الثامن عشر وأواخر المكتبات مكتبة المتحف البريطاني والمكتبة الوطنية ببريس ومكتبات برلين الألمانية، وانظر ما كتبه كل من صليح والديوه جي وروز وف وكيمب عن نهضة الموصل.

٦٦ - انظر موضوع رقم (٣)، الفصل الاول من هذا البحث.

67 - Longrigg, op. cit., P. 152.

٦٨ - محمد امين زكي، المصدر السابق، ص ٢٢٠.

69 - Olson, op. cit., P. 185, 187.

70 - Ibid., P. 185-86.

٧١ - حماد روز وف، المرجع السابق، ص ٢٢٨ - ٢٢٧ - ٢٢٣.

72 - Olson, op. cit., P. 180 n. 40.

٧٣ - راجع نصوص المراسلات الرسمية في ملاحق الملل، ج ١، ص ٣٢٥ - ٣٢٨.

٧٤ - هو التقرير الذي خطه بالتركية (بارهي الهندى)، وقد نقلته حرفياً (سألتة الموصل)، وقام د. داود الجليلي بترجمته الى العربية، وقام المحقق سعيد الديوه جي بنشره ضمن ملاحق كتاب (المنية، ملحق رقم (١٢) ص ٢٧٧ - ٢٩١)، ومن الجدير بالذكر ان هذا التقرير هو احد وثائق الحصار المهمة، وبعد من وثائق دراستنا هذه والذي اسميته بـ (وثيقة القاذوقجي).

٧٥ - خطوط البر المكتون، نسخة المتحف البريطاني، ورقة 119a.

٧٦ - تصفح العديد من هذه الأعمال المحلية الذي ذكرتها ضمن ملاحظات هذه الدراسة، إلى العديد من الملاحظات والمراجع التي كتبت خلال الفترة المعنية والتي تحتويها مكتبة الاوقاف العامة بالموصل والمكتبات الشهيرة في بغداد. إضافة إلى مصورات مكتبة المجمع العلمي العراقي.

٧٧ - انظر موضوع (الأثر الداخلي) من هذا الفصل.

٧٨ - انظر فقرة رقم (٢) موضوع (السيطرة الإيرانية على اطراف العراق ونحوه) الفصل الثالث.

٧٩ - م. ا. زكي، المصدر السابق، ص ٢٢٩. ومن المثير بالتصحيح ان هذا للزوخ يذكر بان نادرشاه قد ذهب بنفسه أثناء فترة حصاره للموصل وسيطر على منطقة جزيرة ابن عمر (كتابه، ن ص) ولم يجد مصدراً تاريخياً أساسياً قد ذكر ذلك، ان نادرشاه بقي في مكانه أثناء الحصار، ومشهداً قبضته على الموصل بنفسه، ولكنه كان قد ارسل قوات عسكرية إيرانية للسيطرة على تلك الاطراف ضمن ارسالياته العديدة لأكثر الأماكن المهمة من العراق وذلك قبيل وصوله الموصل. ويشارك كل من سليمان صايغ وعبد رزق الرأي الذي ذكره محمد أمين زكي. انظر مقارناً (ص صايغ، المصدر السابق، ج ١، ص ٢٨٥)، ايضاً (عبد رزق وف، المرجع السابق، ص ١١٠).

■ - Olson, op. cit., P. 185.

٨١ - انظر تفاصيل جغرافية السلك الاستراتيجي (ملحق رقم ١ بهذه الدراسة).

٨٢ - الملاحقة نفسها اعلاه.

٨٣ - تفاصيل وأهمية من كل من الركنين العربيين عند:

(H.A.R. Gibb, and H. Bowen, Islamic Society and the West, vol. 1, Oxford 1963, P. 196); ■ (Tarih Subhi, vol. 2, fol. ■ and Hekmat, op. cit., P. 224).

84 - Olson, op. cit., P. 187.

85 - Ibid.

■ - Ibid.

87 - Shaw, op. cit., vol. 1, P. 246.

٨٨ - خطوط الدركمكون، نسخة باريس، ورقة 248a.

٨٩ - اميري، المصدر السابق، ص ٢٩٥.

■ - Olson, op. cit., PP. ■

91 - Sykes, op. cit., vol. 2, P. 348.

92 - Longrigg, op. cit., P. 161.

(وانظر التعليقات على بعض الأحداث التاريخية، والاعتماد والرد السياسي بين كل من الدولتين خلال سنة ١٧٤٤ م، استانبول اسينول) ■ dated (Aspinwell, SP, ■ 24th, March 1744).

93 - Olson, op. cit., P. 187. (عن مانوي)

94 - Loc. cit. (عن مانوي أيضاً)

95 - Loc. cit. (عن مانوي أيضاً)

96 - Ibid., P. 188.

97 - C.E. Bosworth, The Islamic Dynasties, "The Zands",
Edinburgh 1967, PP. 177-79.

98 - Ibid., "The Qajars", PP. 179-80.

٩٩ - غلامحسين مقتدر، المصادر السابق، ص ١٠٧.

١٠٠ - يذكر محمد امين زكي في كتابه عن تاريخ الاكراد بقوله ان نادرشاه قد اغتول بتاريخ ٧٢
أو ١١ حزيران ١٧٤٧ وراجع (كتاب المذكور سابقاً، ص ٧٣٠)، وقارن ذلك مع المصادر
المعتمدة عن نادرشاه (ملاحظة رقم ■ موضوع من هو نادرشاه؟ الفصل الثاني من
هذا البحث).

101 - Lockhart, op. cit., P. 176; ■ also (Hanway, Olson,
Longrigg, and Sykes).

102 - Longrigg, op. cit., P. 154.

للاستزادة عن تاريخ العراق ونادرشاه انظر:

جعفر خياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج ١، ط ١،

والطبع سنة ١٩٧١.

ايضاً : كتاب عبدالعزیز نوار، تاريخ العراق الحديث، القاهرة ١٩٦٨.

١٠٣ - المنهل، ج ١، ص ١٥٤ - ١٥٥.

الخلاصة

حاولت في الفصول المتقدمة من هذه الدراسة، وما أضفته عليها من ملاحق ان اقدم بحثاً تركيبياً في تاريخ العراق الحديث، شغل موضوعه الاساسي الحصار الذي فرضه الامبراطور الايراني نادرشاه على الموصل سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م، بعد زحفه مع جيوشه الجوارية على العراق، ضمن احدى حملة ايرانية كبرى واجهها العراق خلال عصوره التاريخية. ولقد رأينا، كيف تطورت العلاقات السياسية المحتملة بين العثمانيين والفرس لتكون ساحة العراق الجغرافية الكبرى حقول معارك وتناحر وصراخاً طويل الامد، نظراً لما امتاز به العراق نفسه من ميزات تاريخية وجغرافية.

لقد توضح لنا، كيف نشأ تاريخ العراق الحديث لأول مرة، بعد ان طوى عصوره الوسيطة وخرج من يد الفرس ليضع يده الاتراك العثمانيون الذين شددوا قبضتهم عليه لفترات طويلة حتى اتحصلا السيطرة المركزية عليه. وقد سبب ذلك تولد الحكومات المحلية، والادارات الاقليمية على ولايات المشرق العربي، وكان من ضمنها بغداد والموصل وذلك خلال بدايات القرن الثامن عشر. ان تطور العلاقات السياسية للعراق خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر، كانت مرتبطة بحكم ذلك التطور مع حركة **النهضة** التاريخية للصراع الامبراطوري بين كل من العثمانيين والفرس، وما رافق ذلك من قرارات الحرب والسلم والمفاوضات، ثم الخطوط العريضة لأيدلوجية كل من البلاطين المتنافسين المتناحرين. ولكن الاهم من كل ذلك ان تطور تلك العلاقات السياسية للعراق الحديث، **التي** ارتبطت احداثها التاريخية المبرزة بحركة الفعل التاريخي العراقي نفسه كما تراعى لنا ذلك جلياً من خلال مسببات الاحداث المباشرة وغير المباشرة على العراق نفسه، ثم من خلال رجال تلك الاحداث، والساحة الجغرافية للعراق التي كانت مسرحاً عملياً لها. وبعد ذلك كله، ما نتج عنها من آثار حافلة ونتائج كبيرة التصقت بشخصية العراق، واثرت في كيانه الاقليمي من الناحية السياسية والاقتصادية والانثروبولوجية.

لقد كان حصار الموصل - كما رأينا - خاتمة لتلك السلسلة الطويلة من الاحداث المهمة التي عاشها العراق خلال النصف الاول من القرن الثامن عشر، والتي تعد من اهم الفجوات الزمنية في تاريخ العراق الحديث، نظراً لضخامة الوقائع التاريخية التي سجلت خلالها، وحفلت بها ارض العراق ومدنه ومسالكه، وعاشها اهله وجيرانه على التخوم المرتبطة به.. تلك الوقائع التي قاد اليها تعاظم الاطماع الايرانية على العراق والسيطرة على مدنه ومرافقه ومسالكه وبخاصة اهلان العصر النادرى الافشاري الذي يغطي كلاً من العقدين الزمنيين الثالث والرابع من النصف الاول من القرن الثامن عشر. وليس من المغالاة في شيء اذا قلنا بان فشل نادرشاه في حصاره للموصل، ورحيله خامساً جولاته الاخيرة على ارض العراق قد حرمة السيطرة على العراق والشرق العربي والتوجه من خلالها ليودي بحياة العاصمة العثمانية، كما وانهى ذلك الفصل الذريع عصره الحربي والحديثي لايران وانهى اطماعه في العراق.

لقد نجح لنا ايضاً من خلال هذا البحث، كم دفع العراق واهله من تضحيات كبرى خلال الفترات التي مررنا بها، وما كان لتلك العلاقات السياسية والحربية من آثار جسيمة على الاقتصاد والمجتمع والثقافة، وعلى مجمل الاحداث التاريخية التي توالتت بعد ذلك، اضافة الى تأثيرات احداث العراق التاريخية على منطقة الشرق العربي في كل من بلاد الشام والحجاز، نظراً للنوازع الطبيعية والسكانية والجغرافية... التي تربط هذه المنطقة واقاليها العربية بعضهاً آخر، ولكن من الناحية الرسمية أو شبه الرسمية فقد ارتبطت هذه الاقاليم ارتباطاً تقليدياً بالعاصمة العثمانية اسطنبول، بحكم الفهم الديني، اذ كانت العائلة العثمانية قد استقطبت ولاء **الله** الشعوب الاسلامية منذ بداية القرن السادس عشر عندما اطح السلطان العثماني سليم الاول بأخيه خليفة عباسي في القاهرة سنة ٩٢٢-٩٢٣ هـ / ١٥١٧ م، ونصب نفسه مكانه.. وبانتهاء آخر ادوار الامبراطورية العباسية، انتقل الولاء الى العثمانيين اثر احتواء امبراطوريتهم لكامل منطقة الشرق العربي وشمال افريقيا عدا سلطنة المغرب. وعليه فان العراق لم يحش متقوقاً على نفسه، وان الاحداث التاريخية الداخلية التي يعيشها، انما كانت لها تأثيراتها الخارجية بعيدة المدى.

لقد توضح ■ ايضاً جانب أو أكثر من طبيعة الاحداث التاريخية التي تمحورت
بها هذه الفترة، وقد غلبت عليها صفتان أساسيتان:

١ - التركيبة التراكيبية:

التي تعني تقاسم حدة الاحداث التاريخية وجسامة تأثيراتها التي ينهها حدث
تاريخي عظيم، والذي تقفل الحقة التاريخية باسمه.

٢ - المفارقات والمفارقات:

والتي تعني ان سجل الحقة التاريخية يحوي العديد من الاحداث والوقائع
الكبيرة المختلفة في مسياتها ونتائجها ثم ظروفها سواء كانت طبيعية أم اجتماعية
أم سياسية أم اقتصادية ..

هذا ما استطعت ان اخرج به بعد دراستي لمذونات تاريخ العراق الحديث
ونعالي مع حقائقه على الوجه الذي تقدم في تحليل ابعاد حصار الموصل ونتائجه ..
ان هذا الحصار، يمثل تجربة تاريخية عراقية فريدة من نوعها، نظراً للقيمة الوطنية
التي تحملت بها، والفصول الدراماتيكية التي تمثلت فيها، مما يجعلها تجربة تاريخية
خالدة على مدى الزمن .. وانها ستبقى في حاجة لمن يستوعبها ويتدارسها ويبحث
في جوانبها، واضفاء ما هو مجهول من حقائقها التاريخية المخفية أو التي لا تزال
بميدة عن الانظار، شأنها شأن أي حقة تاريخية من حياة العراق الحديث، غنية
بالفعل وردود الفعل المؤثرة.

هذه هي فلسفة المضمون التاريخي الذي انطوت من خلاله حقائق هذا
البحث. اما من ناحية التعامل مع تلك الحقائق التاريخية التي تؤلف صفحاتها
اساساً لبناء الماضي المتأخر من التاريخ الطويل لهذه البلاد، فانها بحاجة الى
المختص الذي باستطاعته الوقوف ملياً على صيرورتها وروابطها ومتغيراتها، ثم
رجالها وشخصياتها ومسرحها سواء كان في المدن أو اللواحق من البوادي
والبطائح والجبال .. أو المسالك والتخوم. ثم ربط تلك الاحداث بمؤثراتها
المختلفة سياسية كانت أم حربية، اقتصادية أم دينية، اجتماعية أم سكانية ..
ويقتضي جعلها حقائق مسلم بها، الوصول لها وعماكاها مع مجمل ظروفها
واقعها وعدم سحبها، بل ان تجريدها يفقدها روحها وشخصيتها وفعاليتها. ان

نظامي العلمي في التعامل مع تاريخ يتصف بمثل ما تقدم، بفرض على من
يشغل فيه، فهم مسببات الاحداث المباشرة وغير المباشرة، ثم استنتاجها
بموضوعية واعلاء الاسئلة على المعالما، وتحليل مختلف جوانبها للوقوف على نتائجها
الهامة ضمن حلقاتها الزمنية واكتساب الدروس المفيدة منها وتوظيف ذلك في
عملية الحاضر شرط الا يفقد المؤرخ في تعامله مع النصوص وفهمه لتراكيبها
الاعتبارات المنهجية في البحث.

افضلة الى كل ذلك، فان البحث في تاريخ غني في مصادره، كبير في احداثه
وشخصيته ومؤثراته مثل تاريخ العراق الحديث يقتضي الاختصار على فترة معينة
وهيئة منه بفرض اشباع دراستها، ويستوجب الامر، التفصيل في معالجة كل
حدث من احداثها على طرف، وربط الاحداث جميعا على درجة من الاتساق
والكتابة الفاضلة... والخروج بموضوع واضح في حقائقه موحد في معلوماته، مفيد
في نتائجه.

من ناحية اخرى، فان دراسة اي منطقة محددة وهامة من العراق اينما وقعت،
او البحث في تاريخ اي مدينة من مدنها التي اثرت في حياتها لا يعني ذلك المغالاة في
شيء، لو الاهتمام الجزئي بطرف على حساب الطرف او الاطراف الاخرى... اما
يعني التاريخ المحلي بعد ذاته (The Local History) بوان دراسة مثل هذا التاريخ
وتطبيقاته [] يعني تجارب الحاضر، وترسيخ علاقة المجتمع العراقي بالارض
الواحدة الموحدة، اينما وقعت جغرافية تلك الارض او النهر او المدينة او الاقليم او
القرية النائية او المسلك التجاري او الصحن الحربي... لان ذلك يعني معرفة
الشيء الكثير عن طبيعة [] وجغرافيتها واقتصادها وخططها العمرانية، اضافة
الى معرفة طيات توارثها المثيرة، وما نزل فيها من حوادث مريرة ومنتعة تمثلها
ههود مختلفة اصطفت بالانحطاط والظلمات منذ سقوط بغداد بيد هولاكو سنة
٦٥٦ هـ / ١٢٥٨ م، وان كنا نجد نزراً من النور والحركة والقوة التي بدت
علاماته خلال كل من القرن الثامن عشر، او الاعمال التي اداها ملحدت باشا
خلال القرن التاسع عشر.

ولا اريد ان استطرد اكثر، ولكن يستوجب علي ان اقف على ناحية اخرى الا
وهي استخدام المصادر والمراجع في باب البحث في فصول تاريخ العراق
الحديث، اذ يقتضي امر من يدخل في ضمار هذا البحث ان يستوف النصيب

الكامل بل المتوفر من مصادر هذا التاريخ . ان هذه المصادر قد تنوعت مع تنوع
احواله وظروفه ، وهذا ما يجعل العمل من خلالها شاقاً ومتعباً ، اذ لا تزال العديد
من الملاحظات التاريخية والادبية مخنجة عن الانظار سواء كانت وثائق وارشفات ام
خطوطات وكتباً قديمة ، اضافة الى الاعمال التي كتبها الاجانب وبألفاظ غريبة قد
يكون اغلبها فريد الحصول في اصله المطبوع قديماً والمتواجد في مكتبات اقص
بعيدة . وقد تشابه النصوص والمعلومات حيناً بين مصدر وآخر ، او قد تختلف حيناً
آخر ، وهذا يستدعي من الدارس ان يقارن بينها ويقاس الوقائع ، ويستحصل
الثابت ، ويقرر الصواب ويثبت نقداً ، ويثبت الالتباس والمتشابه امانة لبعثه
وللتاريخ الذي يكتب فيه . ان الصيغة العلمية المتبعة هو جمع مثل هذه الملاحظات
الخاصة على نحو خاص وابعادها عن المضمون لكي يستفيد منها ذوو الخبرة
والاختصاص في اعمالهم العلمية .

انني اذ انجزت هذا البحث التركيبي الذي يحس ثمره انقلب وجهه متفرقة من
الدراسة والاغتراب . . . املاً ان اكون قد وفقت فيه من جميع النواحي . وقد افدت
من خلاله وطني الحبيب ، ورجال دولته ، وعلمائه ومؤرخيه المختصين من عرب
ومستشرقين اضافة الى قراء العربية من المثقفين . . كما يقيني ان هذا البحث ما هو
الا محاولة قد يكتنفها الخطأ والتقصير ، وربما استفيد المؤرخ الذي سيأتي من بعدي
للقلم بحثاً أكثر استقصاءً وافادة واستنتاجاً وصواباً . . مع تكرار شكري الخالص
لكل من ساعدني في كتابتي هذا الكتاب ، والى الذين ساعدوا في نشره وجعله في
متناول القراء .

الملاحق

WV

تحقيق وترجمة وثيقة يولية باللغة الإيطالية عن حصار الموصل واقتحامها

مقدمة:

تعتبر الوثيقة الإيطالية التي ادرج انك نصها الاصيل المصنوع باللغة الإيطالية، ثم نصاً مترجماً لذلك النص باللغة الانكليزية، ثم نصاً مصعرباً لها عن النص الانكليزي المترجم من اهم واندر وايزر المصنوع الذي تم اكتشافها مؤخراً، وهي ملحقة بأحدى رسائل استانبول اسينول نائب السفير البريطاني لدى البلاط العثماني في العاصمة اسطنبول خلال السنوات الأولى من العقد الرابع للقرن الثامن عشر.

ان هذه الوثيقة النادرة قد ارسلت من اسطنبول الى الحكومة البريطانية مرفقة بالرسالة الدبلوماسية السرية المؤرخة ٧٠ نوفمبر (تشرين الثاني) / ١٧٤٢ م. ^(١) وعليه فان هذه الوثيقة تعد من اقرب المصادر السياسية الحية والرسمية عن حصار الموصل وتفاصيله، فبعد كسبت بعد انتهاء امد الحصار مباشرة، وانما ارسلت الى الحكومة البريطانية بعد شهر واحد فقط من انتهاء امد الحصار، لذا رأينا بأن الموصل فتحت ابوابها منكسرة يوم ٢٧ تشرين الاول ١٧٤٣ م. ^(٢)

يقول استانبول اسينول في رسالته الدبلوماسية السرية والمؤرخة اعلاه في ٢٠ نوفمبر، والتي ارفقت معها هذه الوثيقة بأنه «في العاشر (من شهر نوفمبر) اطلقت المدافع نيرانها في اسطنبول» ابغوا بها يناء الناسمة الكبرى» ^(٣) لقد ذكر اسينول ذلك بعد قوله بان اقتحام الموصل حلل الايرانيين قد شفي خليل الحكومة العثمانية، وردت روحها اليها بعد ان كان المأزق شديداً والمعضلة كبيرة... وبمجي اخبار الاقتحامات بعد انقضاء الموصل انفسها تثيرت الاشياء

والتي جردت بشكل واضح في العاصمة، وساد الارتياح، وهم الرضا بعدما بلغ
الأمتهاء والسخط على الفرص درجة كبيرة. (٤) ونهي اسبينول رسالته
الدبلوماسية وهو مخاطب حكومته البريطانية التي ارسلت اليها الوثيقة (٥) بـ
«توماس برلهام» دوق نيوكاسل، وهو وزير الخارجية والحربية البريطانية (٦)
قائلاً «انني فخور ان ارسل لسموكم العالي تقدير البلاط العثماني نفسه الذي
يعطيه هذا الحدث التاريخي، والذي ارسل الي البارحة على نحو مميز من ترجمان
البلاط العثماني». (٧) ويبدو هنا واضحا لنا ان هذه الوثيقة النادرة قد اُرسلت
باللغة الايطالية وهي مضمونة الى «السكرتير» (٨) وهو اسبينول نفسه نائب السفير
البريطاني، وقام اسبينول بأرسالها نفسها الى حكومته، علماً بأن اسبينول كان هو
القائم بشؤون بريطانيا لدى الحكومة العثمانية وذلك في غياب السفير ويتوضح
من رسائل اخرى لاسبينول كتبها سنة ١٧٤٧، انه كان يشعر بالغبن من قبل
حكومته، نتيجة الاحوال الشخصية والمادية التي كان يعيشها. (٩)

اما مسألة لغة هذه الوثيقة، ولماذا كتبت بالاطالية؟، فلم استطع ان اجد
تعليلاً لذلك، ولكن من اكبر الاحتمالات ان ترجمان البلاط العثماني كان يجيد
اللغة الايطالية منها اجادته للانكليزية، او انها ارسلت بالاطالية على نحو خاص
وذلك لاهتبارات سياسية او دبلوماسية لها اسباب وظروف خاصة في التعامل
الدولي.

الاهمية الدولية للوثيقة :

ان ما يزيد من اهمية هذه الوثيقة كونها لسان حال البلاط العثماني نفسه في
تقريره الدولي هذا، وليست كتابة نائب السفير ممثل اعمال بريطانيا والذي اعطت
وسائله العديد من التفاصيل عن مؤثرات الحصار الخارجية وعلى الاخص في
العاصمة اسطنبول ثم أثره السياسية الشخصية التي كان يدفع بها الى حكومته
على نحو متواصل بحكم مركزه الدبلوماسي . . . إضافة الى كل ذلك فان اسبينول
قد نقل حرفياً ورسمياً ما قد حدث، عندما ورده تقرير البلاط العثماني وهو - اي
البلاط - المسؤول الاول عن مضمون هذا التقرير، والذي تمثله هذه الوثيقة التي
بين ايدينا. (١٠) وتصدق رواية الوثيقة نظراً لما ورد فيها من ان اخبارها قد نقلت

رسمياً عن التفويض الرسمي لصاحب شأن الحدث والى الموصل نفسه، حينما ارسل
بتفويضه الرسمي وكان يحدث فيه سيده السلطان العثماني محمود الاول عما حدث
تحريراً، لا سيما وانه مسؤول عما ورد فيه امام اكبر سلطة في الامبراطورية التي
كان يمثلها السلطان العثماني نفسه.

من طرف آخر، فان الوثيقة المعنية تعتبر وثيقة دولية تبودلت بين حكومتين
كبريين وليست وثيقة دبلوماسية كتبها سفير دولة الى حكومته، وصلت هذه
الوثيقة الدولية الى يدي نائب سفير بريطانيا على نحو مميز - كما يذكر هو نفسه -
وذلك اشارة الى اهمية كل من حصار وانتصار الموصل على نادرشاه، ومدى ذلك
على المستوى الدولي. . . اضافة الى ان انتصار الموصل كان مبعثاً لافتخار البلاط
العثماني به، وتمجيد اعماله والازدهاء بانجازه امام الدول الكبرى كبريطانيا،
والتي كانت بطبيعة الحال تصلها تباعاً بحكم اهتماماتها في المنطقة ومصالحها اقليمياً
المجانية الحربية، واستعدادات نادرشاه العسكرية عبر الرسائل أو الشفراء في نقل
المعلومات تلك ويبدو واضحاً ان اهتمام بريطانيا ~~السلطة~~ والاحداث التي كانت
تجرى عليها كان كبيراً جداً، وهنا يتوضح لنا ان الحدث الذي مثله حصار الموصل
كان على درجة من الخطورة الدولية التي لو جاءت نتائجه معاكسة، واستطاع
نادرشاه من اسقاط الموصل واقتحامها، فان لمرأ عاصفاً كان سيحدث لا محالة في
تهديد أمن العالم السياسي والاقتصادي عصر ذاك، نظراً لما كانت تنطوي عليه
استراتيجية العراق العظمى والمسالك التي تربط الشرق بالغرب عبر الموصل ذاتها
صاحبة القضية وهوود الصراع المتأجج والحار حرباً وحصاراً، والبارد رسداً
واهتماماً دولياً.

من هنا نعلم، بأن وثيقة سياسية دولية كهذه التي نتادرسها تمثل لنا مدى
الاهمية التي كانت بريطانيا نفسها توليها لاحداث المنطقة ابان تلك الفترة الزمنية
من القرن الثامن عشر، وان اطلاق وزارة الخارجية والحكومة البريطانية على
ما حدث في الموصل كما شرحت الوثيقة المومي اليها يلقى ضوءاً ساطعاً لما قاد اليه
الحصار والانتصار من نتائج كانت تأثيراتها الدوابة على العالم بأسره آنذاك،
وخصوصاً علاقات الشرق بالغرب، والمصالح الاقتصادية للعالم.

ان هذه الوثيقة تبين مدى اهتمام بريطانيا في الشرق الاذن والعراق بشكل
خاص ثم مدى رغبتها للابقاء على الحاجات الاقتصادية للعالم والاضاع الدولية
منه لما هو عليه الحال لو وقعت المنطقة في القبضة الروسية، أو مزقتها السطوة

الأميرالية الثغلة والسياسة الممجيبة لتأثيرها. ويحدثنا المؤرخ البريطاني
(اندرسون) بأنه خلال النصف الأول من القرن الثامن عشر، كانت فرنسا هي
القوة الأوربية الوحيدة المهتمة بالشؤون السياسية لمنطقة الشرق على نحو
كبير. (١٠) أما بريطانيا، فقد كانت تلهو بها كبيرة ومزهرة عبر المنطقة حتى سنة
١٧٣٠، ولكن بعد ذلك بدأت تتوضح اهتماماتها السياسية، وبصورة كبيرة غير
مباشرة وخصوصاً في شرق البحر المتوسط واستمر السفير البريطاني لدى استانبول
يخلص صلاحياته مثلاً لمعظم الأعمال لشركة الشرق عن حكومته. (١١)
ولود أن أوضح بأن المترجم عن النص الإيطالي قد أبهى في الانكليزية
مصطلح Piazza الإيطالي والذي يعني المدينة المسورة، وهو (الموصل).

« la Piazza con numero infinito di Bombe, con
 « tirando di giorno & di notte, eoc gl' assediati ha-
 « vevano pena di schivar le palle di urate dal
 « fracasso delle bombe, per favorirli con indicibile
 « coraggio alla difesa, con gittar continuo fuoco
 « contra gl' Aggregoristi, che dove il fuoco d'arme
 « le parti otto giorni giorno notte, & la bombe
 « gittate contra la Piazza furono contate sen-
 « a settanta mila, oltre delle continue fucile
 « battute. Dopo di che fece lui tagliar il Fiume
 « Tigri nella vicinanza del luogo Cora Sarai
 « nominato, & uditto nella seconda settimana
 « & stringendo lui con forza delle truppe continua-
 « mente gl' assediati, quelli niente più si di cor-
 « raggio, tanto lo, come anche il governatore di
 « Aleppo Sua Ecc. ^{la} Husein Pasca, con esemplar
 « militare incoraggiamento incoraggiamento la
 « guarnigione, & attendendo con assiduità al ri-
 « paro delle parti ^{del} nominato dal Canonic Monico,
 « quale havendo formato della Mina, & apparecchiata
 « fra otto giorni ogni sorta di munizioni, & per in-
 « palmarlo 1700 Scale, che trasportare sulle spalle
 « dei suoi soldati, per l'espalto, & traggittato con
 « tutte le sue Truppe al Tigri, per applicar le
 « dette Scale alla muraglia, & nel mentre diade
 « fuoco alle Mine, le due delle quali, per una

Providence

Provvidenza divina, volute indurlo sottoverano molto
numero delle loro truppe, le restanti Mine anche
a tutta forza minima operationes; ciò non ostante,
" il loro dui le sue truppe all'oppatto, & ad applicare
le scale. Ma gl'Aggrediti furono così bene intenti
a ributtarli con granate, bombe, & schioppettate,
" facendo continua ferage degl'insistenti nemici
durando giorno di Venerdì, pergrates di 7 ore
" combinate le furate il combattimento; poi full'otto
" ore, rinviò alla nostra per gratia particolare del
" giusto Dio, d'esser superiori & vincitori, havendo pas-
" sati a filo d'espada 5400 Nemici; & le restanti Truppe
" ormai più oser capaci di contrastar più all'eroico Cor-
" rugio dell'valorosi nostri Soldati, furono sferzate, &
" fuggate, a ricoverarsi al loro campo, senza oser
" rivarsi più delle nostri che quaranta persone in
" tutto, nell'intero tempo di questi Aggredis & comba-
" timento. In sostanza ogni truma che fece dal
" principio il perfido Nemico, in tutto rinuscirono
" vances le sue fortitudo, si che divenuto disposto
" finalmente con gravi confusione & dispersione delle
" sue Truppe, non avendo capace di sopistare più in
" questi contorni, ripassolo pretilloivamente il fiume
" Dizale, si ricoverò verso il suo floma. Il che,
" dovendosi attribuir alla gratia speciale di Dio, &
" all'Agosta Fortuna del Nostro Invincibile Monarca
" siamo obligati alle continue preghiere, accio si degni la
" Divina Misericordia, premiare li suoi Suppli Triomphi.

(نقص الوثيقة المرفوعة إلى الحكومة المصرية عن الأصل)

The Sig. Secretary

In charge of British Affairs in La Porte (Istanbul).

As I am wholly convinced of the satisfaction you will feel in hearing the ambitious Nadir's impious, fraudulent deeds, intrigues and plots, have been avenged, I have the honour to forward to you the translation of the (report) lately sent to the Sublime Porta (Albah'el-ali) by Hussein Pasha, son of Abdul Jalil, the present governor of Mosul, who writes: "On Saturday the 1st of last month (Rijab) the above-mentioned Nadir Shah arrived at Mosul with a big army and encamped near the Piazza the place known as Prophet Jona's Village. After staying there for some days, on the second of last month (Sh'aban) he himself went round the Piazza in order to examine its location, and his batteries and dug trenches to lay siege to the Piazza, his troops had moved closer. On the 4th of the month he began to shell the Piazza from twelve sides using heavy cannons, and on Friday the 5th, at 10 o'clock he ordered bombardment of the Piazza from twelve sides with infinite number of shells, continuing day and night, so that the besieged could hardly avoid the shrapnel from the shells, yet persevering in the defence with incomparable courage, they kept firing at the attackers. The firing continued from both sides for eight days and eight nights, and up to seventy thousand shells were fired against the Piazza, not to mention the continuous rifle fire. After that he had the river Tigris dammed at a place named Qara Sarai and let it overflow under the favourable conditions of the flood: He pressed upon the besieged more and more closely with his troops, but they were not disheartened. The governor of Aleppo, Sir Hussein Pasha, and all the other leaders of the horde, proving to be brave soldiers, kept encouraging the garrison, and they took assiduous care that the damages caused by the enemy's cannon were re-

paired. For eight days the attackers had been laying mines, and preparing other weapons, and also 1700 ladders suitable for the attack, which were carried by the soldiers. The enemy troops crossed the Tigris, in order to scale the walls using the ladders, and in meantime they set light ■ the mines, two of which, by God's will, exploded in the wrong direction, killing many of their own soldiers: the rest of the mines had a minimal effect. nevertheless he roused ■ troops to attack and to begin the assault on the walls. But the besieged were very skilful in repelling them with grenades, bombs and shots, and they slaughtered many of their haughty enemies. Throughout Friday, for ■ whole hours, the two sides ■ locked in battle, when, by the special grace of the just God, our troops ■ victorious, having put to the sword 5400 enemies. The surviving troops, unable to oppose the heroic courage of ■ brave soldiers were forced to flee, and withdraw to their own camp.

Only forty of ■ own soldiers died during the whole siege and battle. In conclusion, all the perfidious enemy's plots turned out to be ■ complete failure, and therefore in despair, faced with the huge confusion and losses of his troops, he was unable to remain in the neighbourhood any longer, and crossed the river Dizzle again in great haste, and turned towards the refuge of his ■ country. The above events ■ due to the special grace of God, and to the august fortune of our invincible monarch: we are bound to pray continuously, that the Divine Lord may graciously render eternal his Imperial Triumphs.

(النص المعرّب للوثيقة)

القسطنطينية ٢٠ تشرين الثاني ١٧٤٣

سيادة السكرتير^(١٢) - القائم بالشؤون البريطانية لدى الباب

العلي

بما انني واثق كل الثقة للارتياح الذي سيفغرك لدى سماعك بأنه قد تم الثار
على الخطط والمؤامرات الماكرة والافعال الكافرة لنادرشاه الطموح. لي الشرف ان
اقدم لكم ترجمة التقرير الذي ارسل مؤخراً الى الباب العالي من قبل حسين
باشا^(١٣) ابن^(١٤) عبد الجليل الحاكم الحالي للموصل، والذي كتب يقول: في
يوم السبت الموافق ٢٥ من شهر رجب الماضي، وصل نادرشاه^(١٥) المذكور
اعلاه على رأس جيش كبير^(١٦) الى الموصل، وعسكر مع جيوشه بالقرب من
المدينة المسورة، قريباً من المكان الذي يعرف بقرية النبي يونس،^(١٧) وبعد
مكوثه هناك بضعة ايام، قام هو نفسه في اليوم الثاني من شهر شعبان الماضي
فطاف حول (الموصل) المدينة المسورة بقصد الاطلاع على موقعها، ثم نصب
بطارياته، وحفر المتاريس، وبدأ حصارها عندما اقتربت جيوشه منها. في اليوم
الرابع من الشهر نفسه، شرع نادرشاه بقصف الموصل المسورة من اثني عشر جانباً
مستعملاً مدافعه الثقيلة، وفي الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الثامن من
الشهر نفسه امر نادرشاه بقذف المدينة من اثني عشر جانباً^(١٨) بعدد لا متناه من
القنابل، وبصورة متواصلة ليلاً ونهاراً حتى لم يستطع المحاصرون تجنب الشظايا
المتطايرة من فعل القنابل، وعلى الرغم من ذلك، فقد احتفظ المحاصرون في
دفاعهم بشجاعة لا توصف، كما واستمروا في اطلاق النار على المهاجمين.^(١٩)
لقد دام تبادل اطلاق النار من كلا الجانبين ثمانية ايام وثمان ليال وبلغ عدد
القنابل التي القيت على الموصل سبعين الف قبلة هذا باستثناء اثممار رصاص
البنادق المستمر. عمل نادرشاه بعد ذلك على حجز مياه نهر دجلة^(٢٠) قرب
الموضع المسمى بـ (قره سراي)^(٢١) مستفيداً من الاحوال المواتية التي سببها
الفيضان.^(٢٢) وشدد نادرشاه مع قواته الحصار اكثر فأكثر، ولكن المحاصرين لم
يضبط عزمهم اما والي حلب (السير)^(٢٣) حسين باشا القازوقجي^(٢٤) وجميع
قادة المحاصرين^(٢٥) الذين اثبتوا انهم جنود بواسل، فقد استمروا بشجاعتهم

حامية القلعة، ^(٢٦) كما انهم واظبوا على اصلاح الاضرار التي سببها القصف المدفعي ^(٢٧) للعدو. كان المهاجمون وعلى مدى ثمانية ايام يزرعون الالغام ^(٢٨) ويحضرون اسلحة اخرى بما في ذلك ١٧٠٠ سلم مناسبة للهجوم والتي حملها الجنود. وقد عبرت قوات العدو نهر دجلة حتى يتسلقوا الاسوار باستعمال السلم، وبنفس الوقت اشعلوا النار في الالغام « والتي بارادة الله، ^(٢٩) انفجر اثنان منها في اتجاههم مما سبب قتل عدد كبير من جنودهم، اما بقية الالغام فكان تأثيرها قليلاً. ^(٣٠) وعلى الرغم من ذلك فقد اثار نادرشاه حماس جنوده للبدء بالهجوم واكتساح اسوار مدينة (الموصل)، ولكن المحاصرين كانوا في غاية المهارة في رددهم العدو مستعملين القنابل اليدوية، والمتفجرات والرصاص، كما انهم ذبحوا عدداً لا يحصى من اعدائهم المتفطرسين، ودامت المعركة عتمة بين الجانبين لمدة سبع ساعات كاملة من نهار يوم الجمعة عندما احرزت قواتنا انتصاراتها وذلك بنعمة خاصة من الله العادل، بعد ان قتلوا بحد السيف ٥٤٠٠ مقاتل من الاعداء، وقد اجبرت الجيوش المتبقية على الانسحاب الى مخيماتها لعدم قدرتها على الصمود امام شجاعة جنودنا البواسل. لقد استشهد من جنودنا اربعون مقاتلاً فقط طوال مدة الحصار والمعركة. وخلاصة القول: ان جميع خطط الاعداء الكفرة قد باءت بالفشل الذريع، وبسبب خيبة امل نادرشاه ومواجهته لفوضى عظيمة وفقدانه الكثير من قواته، فلم يكن قادراً ان يبق في المنطقة المحيطة مدة اطول فعبر نهر دجلة مرة اخرى على عجل واتجه صوب بلاده متخذاً منها مأوى ان الحوادث المذكورة اعلاه تعزى الى فضل نعمة الله الخاصة، والحظ السامي لمولانا ^(٣١) الذي لا يقهر. ويتوجب علينا ان نقيم الصلوات المتواصلة داعين الجلالة الالهية ان تديم انتصارات السلطان خالدة على مدى الزمن.

ملاحظات ملحق رقم (١)

١ - Aspinwall, SP, Letter dated 20 November 1743.

٢ - انظر موضوع (اصدء الانتصار)، الفصل الرابع من هذا البحث.

3 - Aspinwall, Loc. cit.

4 - Loc. cit.

■ - هو توماس بيلهام - هولس (Thomas Pelham-Holles) دوق نيوكاسل، ولد في ٢١ تموز سنة ١٦٩٣ م، وتخرج في مدرسة وست - منستر، وجامعة كيمبرج. وقد اعتقب (جون بيلهام) في دوقته لنيوكاسل التي لعبت دوراً كبيراً في سياسة بريطانيا خلال القرن الثامن عشر وعلى الأخص، أثناء حكم الملك جورج الثاني الذي خلف العرش بعد الملك (آن). لقد تولى توماس بيلهام - دوق نيوكاسل - الذي أرسلت إليه الوثيقة صلة مناصب كبرى في الامبراطورية، اذ عين وزيراً للدفاع والحربية، ثم وزيراً للخارجية، ثم وزيراً للمالية بعد ان حصل على لقب (الوزير الاول) في الدولة. ومن خلال عهده لدوقية نيوكاسل استطاعت بريطانيا ان تحدد من تحالفاتها السياسية وفوقها الاستعماري. ان بريطانيا تعتبر توماس بيلهام احد ابرز رجالها السياسيين خلال القرن الثامن عشر، وقد كتبت العديد من الكتابات، وعن سيطرة دوقية نيوكاسل على السياسة البريطانية في عهده لها. توفي بيلهام في ١٧ تشرين الثاني ١٧٦٨. انظر عنه:

DICTIONARY of National Biography, Ed. by Sidney Lee, vol. XLIV., London 1895, PP. 257-261. ■ also, (Reed Browning, The Duke of Newcastle, London 1975.

6 - Aspinwall, Loc. cit.

٧ - انظر الوثيقة - النص الانكليزي والنص العربي -، ويبدأ ملف تركيا عن رسائل وشغرات وكتابات اسبينول الدبلوماسية في دائرة الوثائق الرسمية البريطانية برسالته الاولى المؤرخة في ١١ كانون الثاني ١٧٤٢، وينتهي بأخر رسالة مؤرخة في ٢٤ كانون الثاني ١٧٤٧ م. أي ان فترة بقاء اساتنوب اسبينول نائباً لسفير بريطانيا لدى البلاط العثماني في اسطنبول كانت ست سنوات.

٨ - يظهر هذا من مذكرته التي رفعها الى (توماس بيلهام) دوق نيوكاسل يشكو له فيها قلة راتبه ويطلبه بتعويضات. مما كان قد صرفه أثناء اقامته في العاصمة العثمانية. انظر:

(Aspinwall, SP, Letter dated 13 March 1747).

■ - (انظر النص الانكليزي او النص العربي المترجمين لاحقاً).

10 - M.S. Anderson, Europe in the Eighteenth Century 1713-1783, 2nd Ed., London 1979, P. 284.

11 - Ibid., P. 284, 269n.

وانظر تفاصيل العلاقات السياسية الاوربية مع الامبراطورية العثمانية عند:
(Lavender Cassels, The Struggle for the Ottoman Empire,
1717-1740, London 1968).

- ١٢ - هو المستر (استانبول اسبينول) نائب السفير البريطاني لدى الباب العالي.
- ١٣ - هو الوزير الحاج حسين باشا الجليلي والي الموصل. انظر موضوع (وقفنا عند بطل الحصار) في الفصل الرابع من هذا البحث.
- ١٤ - (ابن) جاءت مكتوبة في الاصل الايطالي (اوغلو) التركية ومعناها الابن.
- ١٥ - انظر الموضوع العاشر (تطويق الموصل وبدأ الحصار العالي) في الفصل الثالث من هذا البحث، وملاحظة رقم (١٦٣).
- ١٦ - بلغ عدد هذا الجيش الابرائي الكبير اكثر من ثلاثمائة الف مقاتل. انظر التفاصيل في الموضوع الثاني (تركيبه الجيش الايرانية وعدتها الاستراتيجية) في الفصل الثالث من هذا البحث.
- ١٧ - قرية النبي يونس هي القرية التي تمخط بجامع النبي يونس العربي الذي يقوم على رابية عالية مقابل الموصل في الجهة الشرقية من نهر دجلة، وقدمى هذه الرابية بـ (تل التوبة) والذي تقوم عنده آثار السور العظيم للعاصمة نينوى الاشورية. لقد بني هذا الجامع بعد الفتح الاسلامي للموصل سنة ٦٢٧ م / ١٦ هـ، وكان الضريح نحوه كنيسة قديمة صغيرة. ولقد جدد بناء هذا الجامع في القرن الرابع الهجري من قبل الاميرة العربية جميلة بنت ناصر الدين الحمداني ولوقفت له العديد. . وتطور في القرن السادس الهجري تطوراً كبيراً ليشمل على بيوت ومقاصير ومطاعم وسقايات. . ولقد تعرض الجامع المذكور واحيائه الجاورة لغزو نادرشاه الايراني سنة ١٧٤٣ م، اثناء حصار الموصل فهبت محتوياته واتلفت ستائر الضريح. . فجدد والي الموصل الحاج حسين باشا آثاله وسجاده بعد رحيل نادرشاه. ويقوم هذا الجامع متصباً هذا اليوم في الموصل الشرقية الحديثة. انظر ما كتبه عنه (سعيد الديوبه جي، جوامع الموصل، ص ٧٣-١٠٧)، وانظر (باعتقوت الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٠٤)، وانظر ما كتبه ياسين العمري في مخطوطته (المذكر المكنون، نسخة باريس، ن و)، ايضاً (JAOS, op. cit., P. 111).
- ١٨ - نهاية الورقة الاولى من اصل الوثيقة الايطالي.
- - انظر الموضوع الحادي عشر في الفصل الثالث من هذا البحث.
- ٢٠ - انظر الموضوع الثاني عشر (الحرب الاقتصادية)، الفصل الثالث من هذا البحث.
- ٢١ - قره سراي هو قصر الامارة الاتاكية الذي بني شرق الموصل مطلقاً على نهر دجلة وذلك في القرن السادس الهجري. . ولا تزال آثار هذه القلعة العربية باقية لحد هذا اليوم. ومعنى قره سراي التركية هو (القصر الاسود).
- ٢٢ - هنا توضح الوثيقة، اذ لم تحدث أية زيادة في مناسيب نهر دجلة ايام الحصار ولو حدثت اية زيادة فلان نادرشاه ما كان بمقدوره من نصب جسرين على دجلة، ولم يكن باستطاعته اجتياز النهر مع قواته الضخمة ومدافعه وآلياته وفرضه الحرب والحصار العالي. . من ناحية اخرى، فان المؤرخ ياسين العمري يذكر بأنه لم تحدث اية زيادة في مناسيب نهر

دجلة خلال ذلك العام. انظر (الدور المكتون، نفس النسخة والورقة). وثالثاً، فإن الحصار قد وقعت أحداثه في فترة ايلول - تشرين اول اي خريف سنة ١٧٤٣ م، وخلال هذا الفصل من السنة تنخفض فيه عادة مناسيب نهر دجلة، على عكس ما هو الحال خلال ايام فصل الربيع. هكذا نعلم ان المقصود - هنا - بالفيضان هو السابق لذلك العام بما تركه من بقاء. . وان ما قصده الوثيقة به «الاحوال المواتية التي سببها الفيضان»، انه كان قليلاً، أي ان منسوب الماء كان قليلاً.

٢٣ - هكذا وردت كلمة (السبر) في اصل الوثيقة الايطالي نفسه.

٢٤ - هو والي حلب الذي تم تعيينه بأموراً للموصل من قبل السلطة المركزية في استانبول، وقد شارك مع قواته المحلية وحرسه الخاص في دفاع الموصل، كما يتوضح ذلك من صفحات الفصل الثالث من هذا البحث.

٢٥ - يعني بقادة المحاصرين هم قادة الدفاع ويقف على رأسهم بطل الدفاع والي الموصل ثم المحافظ الوزير القازوقجي ثم اخو الوالي عبدالفتاح بيك وولدا الوالي مراد بيك ومحمد امين بيك ورجالات الجيش الكبار وهم اخوات الانكشارية ثم قوج باشا قائد اكراد الصوران.

٢٦ - يقصد فصائل الدفاع التي اشتركت في العمليات.

٢٧ - انظر موضوع (الثغرة وعلاجها) في الفصل الثالث من هذا البحث.

٢٨ - استطاع العدو ان يزرع اربعة الغمام طويلة داخل اتفاق كما وصفها صاحب (الدور المكتون). انظر الموضوع الرابع عشر (محاولة تضجير اسوار الموصل والافتحام الايراني) في الفصل الثالث من هذا البحث.

٢٩ - نهاية الورقة الثانية من اصل الوثيقة الايطالي.

٣٠ - اتعمد مفعول اللغتين الآخرين بفعل وجود الآبار المحفورة في الخندق المثلث حول الاسوار. انظر (نفس الموضوع السابق).

٣١ - هو السلطان محمود الاول ابن السلطان الغازي مصطفى الثاني. ولد سنة ١٦٩٦ م / ١١٠٨ هـ، ونصب على عرش الامبراطورية خلال احداث العاصمة الداخلية الخطيرة بعد مقتل السلطان احمد الثالث وذلك سنة ١٧٣٠ م / ١١٤٣ هـ، واستطاع ان يحسم جميع الاضطرابات السياسية التي رافقت حركة عصيان بطرونة السياسية وشهد عهده تفاقم حدة الصراع السياسي والحربي والايديولوجي مع ايران نادرشاه في الجبهة الشرقية التي مثلها العراق واقاليم شرق الاناضول. . وواجه تحالف الروس مع النمسا ضد دولته، وحللت الروس حل كرميا، وحلقت امبراطوريته انتصارات كبيرة على النمسا، واسترداد بلغراد ثم عقدت لمعاهدة بلغراد، وبهذه الامبراطورية لسياستها السلمية بعد ان فرضت سيادتها الدولية واحادت هيبتها السياسية من جديد وخصوصاً مع النمسا وروسيا. اما على خطتها الشرقية فان حصار وانصار الموصل يمثل قمة انتصار حققها ضد ايران خلال عهد هذا السلطان بعد انتكاسات وانتكاسات عديدة مع ايران نادرشاه وحمل الاخص تلك التي انتهى فيها كل من الوزير الاعظم طوخال مشكان باشا والوزير

الكبير عبدالله باشا الكوبرلي والامر الذي يدعو اليه تساؤل المؤرخ في دراسته له وحصار الموصل، والحملة الايرانية الكبرى على العراق من قبل نادرشاه خلال عهد هذا السلطان هو ما الذي جعله يقف مكتوف الايدي دون ان يبب مسرعاً لدرء اخطار نادرشاه الزاحفة على العراق والشرق العربي واقاليم اناضوليا؟؟ ولماذا بقي حبيس بلاطه مع رجالات امبراطوريته يعاني القلق ويخشى من حدة الملقق واخبار حصار الموصل الخائض تصله يوماً بعد آخر؟؟ حتى يتنسم خبر انتصار الموصل ليحتفل بذلك احتفالاً كبيراً ويطلق المدافع اطلاقاًها... لقد دام حكم هذا السلطان حتى وفاته سنة ١٧٥٤م / ١١٦٨ هـ، ليخلفه على العرش اخوه السلطان عثمان الثالث، اذ انه لم ينجب ولداً، انظر:

(Creasy, op. cit., PP. 350-79); (Shaw, op. cit., vol. 1, PP. 240-46).

وانظر (مادة - محمود الاول - في الانسكلوبيديا التركية، وانظر الفصل الثامن من هذا البحث).

٣٢ - انتهاء الوثيقة في ورقتها

ملحق رقم (٢)

مسالك الموصل الاستراتيجية وخطوطها الاقليمية العراقية

استناداً على خرائط عديدة ومصادر جغرافية وميدانية وتاريخية، ادرج ادناه المسالك الاستراتيجية التي كانت تصل الشرق بالغرب عبر الموصل خلال العصور الحديثة في التاريخ والتي تزامنت في ديمومتها وحركتها الفاعلة والنشطة مع تواصل الحضارات ومنذ عصور سحيقة في القدم حتى فتح قناة السويس سنة ١٨٦٩ م، اذ فتر نشاط المسالك الاقليمية التي تربط الشرق بالغرب، في حين بقيت المسالك العمودية على حيويتها، ومحتظة بنقاطها ومحاورها ومراكزها المدنية، وقد استخدمت هذه المسالك اقتصادياً وعسكرياً وسكانياً..

المسالك البرية:

١ - المسلك الاول:

تحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي:

الموصل - حميدات - اسكي موصل - ربيعة - تل كوجك - نصيبين - ماردين - ديار بكر - سيفريك - جبرغر - حسن المنصور - مرعش - غازي هيتاب - تل حمدون - ادنه - جولك - اركل - فره بينار - اسماعيل - قونية - آق شهر - اسكي شهر - ازنيق - ازमित - استانبول.

يعتبر هذا الخط الهام من الخطوط العمودية، اما استراتيجياً فقد كان ولا يزال يربط العراق بأوروبا عبر استانبول، وتقع مراكزه الاقليمية العراقية على الامتدادات الغربية لنهر دجلة ثم يخترق سلاسل جبال طوروس وغرب اناضوليا. (انظر مسلك رقم ١ في الرسم التوضيحي).

٢ - المسلك الثاني:

تحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي:

الموصل - نينوى - بعورية - فلليل - سميل - زاخو - (عبور دجلة) نحو مديان -

«سنكيف - ماردين - سنيوه رك - ديار بكر - ارغنى - خربوت - بالو - مازكرد - ارغسروم وياطوم (على البحر الاسود).
يعتبر هذا الخط الهام ايضاً من الخطوط العمودية، ويربط العراق استراتيجياً بالبحر الاسود وموانئه، وتقع مراكزه الاقليمية العراقية على الامتدادات الشرقية لنهر دجلة ويخترق جزيرة ابن عمر العربية الاصل ونحوها الجبلية، والعديد من روافد وقنوات دجلة كما انه يتصل بمسالك اخرى خارج العراق نحو استانبول عبر سيواس - طوسيا - ازميت (انظر مسلك رقم ٣ في الرسم التوضيحي).

٣ - المسلك الثالث:

وهو من المسالك الاقليمية لاقليم الموصل وتتحدد نقاطه على النحو التالي:
الموصل - نينوى - بعوره - نلكيف - باطناية - تلسقف - القوش - جبل القوش - دهوك - الجبل الابيض. ويمتد منه الخط المعروف اليوم الذي يصل المعنادة عبر زاويته - بامرني في عمر جبلي.
يعتبر هذا الخط من الخطوط المحلية، وهو خط عمودي لأغراض التجارة الاقليمية (انظر مسلك رقم ٣ في الرسم التوضيحي).

٤ - المسلك الرابع :

تتحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي:

الموصل - نينوى - عبور وادي الخوسر - خربسات - جروان - عين سفي - مرقد الشيخ عدي بن مسافر - (جبل باعلرا) - موسكان - زاوية - بامرني - العمادية - منفذ كاس ماسي الجبلي - جبال حكارى - وان - سامزهد - ارارات - اريقان (العاصمة الارمنية) - دله باغ - تفليس - ترانس قوقاسيا .. ويمتد الخط منها نحو موسكو ثم بيمبرورغ.

يعتبر هذا الخط من الخطوط العمودية الهامة، والذي يربط العراق بأرمينية وقوقاسيا وترانس قوقاسيا ثم روسيا، وتقع معظم نقاطه الاقليمية في جبال العراق الشاهقة كما وانه ذو اهمية كبيرة من الناحية الاقليمية لانه يشد الجبال بالسهول وعلى الاخص سهل الموصل، اضافة الى كونه يجتاز العديد من القنوات المائية والقرى والمراكز المتفرقة، وهو ذو تعرجات كثيرة. (انظر مسلك رقم ٣ في الرسم التوضيحي).

٥ - المسلك الخامس :

وهو من المسالك الاقليمية للموصل، وتتحدد نقاطه على النحو التالي :
الموصل - نينوى - تكوكلي - طوزاوه - جبل باعشيقا - عبور نهر الخازر - برده
وش - عقره - زيبار، ويتفرق في التخوم العالية من جبال شمال العراق .
يعتبر هذا المسلك من الخطوط المحلية، وهو شبه عمودي، واستعمل
لاغراض التجارة المحلية، وكان فعالاً جداً خلال القرن الثامن عشر بحكم
تأثيرات افارة بهدينان العباسية التي كانت تزاوّل سلطاتها على المناطق الجبلية بين
كل من خط المسلك الرابع والمسلك الخامس (انظر مسلك رقم ٥ في الرسم
التوضيحي).

٦ - المسلك السادس :

تتحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي :
الموصل - نينوى - برطلي (فرع نحو كرمليس) - الحمدانية - الكلك (عبور نهر
الخازر) - عبور نهر الزاب الكبير - اربيل - قرية رشوان - وادي بره برووش -
بابجيجيك - نجم باباك - (عبر سهل حرير) - خلفان - منطقة زك زاك - راوندوز -
دير كالا - دير بند - رابات - مفصل كاليه شين الجبلي - (عبور نهر ليفان) - ساوج
بولاق - (المساحة اليوم مدينة مهاباد) - مراغه - تبريز (عاصمة اذربيجان) - نحو
اردبيل ومنها الى بحر قزوين .
يعتبر هذا المسلك الاستراتيجي من المسالك الاقليمية، ويتميز بطوله وتعرجانه
ومنحنياته الجبلية، وكثرة قصباته ونقاطه وخصوصاً المراكز الاقليمية داخل
كرمستان العراق، ثم عبوره للعديد من الروافد والينابيع والقنوات والاخاديد،
وهو المسلك الذي يرتبط بالمسلك الاستراتيجي العراقي عند اربيل (انظر
مسلك رقم ٦ في الرسم التوضيحي).

٧ - المسلك السابع :

وهو مسلك شمال العراق الاستراتيجي الذي تتحدد نقاطه على النحو التالي :
الموصل - نينوى - برطلي - الحمدانية - الكلك وعبور كل من الخازر والزاب
الكبير - اربيل - التون كوسرى (عبور نهر الزاب الصغير) - كركوك - نبل -
طاوروق - طوزخورماتو - كفري - قره تبه - دلي عباس - بغداد الشرقية .

يعتبر هذا المسلك الهام من المسالك العمودية التي اثرت في تاريخ العراق، كان هذا الخط شرياناً برياً للرقعة الشمالية التي تربط بغداد بأوروبا عبر الموصل ويسمى (طريق شهرزور القديم)، وقد بقي هذا المسلك فعالاً على امتداد آلاف السنين حتى بدايات القرن العشرين والمعقود الاخيرة حيث قلت اهميته الكبرى بالاعتماد على مسلك غرب النهر، ويتميز طريق شهرزور القديم بمروره بمراكز مدنية كبيرة وفروعه الكثيرة نحو العديد من الاماكن والمنازل الحامة واهم تلك الفروع هي:

- ١ - خط اربيل - كويسنجق - رانية - منجه سر - قلعة دز - سره دشت - ساقز (الايروانية) - نحو بيجار - زانجان - قزوین - طهران ... ويتصل هذا الخط افقياً بالموصل (انظر مسلك رقم ٧ في الرسم التوضيحي).
- ٢ - خط كركوك - ججمال - جارمو - السليمانية - اربات - حلبجة - ثم (يدخل الاراضي الايرانية) ليصل سنا (سونانديج) - همدان - قم ... وهو خط شبه افقي في اتصاله بالموصل (انظر الرسم التوضيحي عن منفذ حلبجة).
- ٣ - خط ديبالى - المقدادية - جلولا - خانقين - قصر شيرين - زهاب - ساروبى زهاب - كرنند - كرمنشاه. يلتقي هذا الخط مع طريق شهرزور القديم عند ديبالى وهو من مسالك بغداد الشرقية (انظر الرسم التوضيحي عنه).
- ٤ - خط ديبالى - بلدروز - مندلي - سومار - عيلام - خرم آباد - اصفهان ... يلتقي هذا الخط ايضاً مع المسلك الاستراتيجي عند ديبالى، وهو اضعف واقل اهمية في الجغرافية التاريخية منه لما كان عليه الخط الذي سبقه والمتصل بكرمنشاه، ويعد هذا الخط ايضاً من مسالك بغداد الشرقية. (انظر الرسم التوضيحي عنه).

٨ - المسلك الثامن:

وهو مسلك اقليمي ذات اهمية قليلة تتحدد نقاطه على النحو التالي: الموصل - نينوى - بارجمه - السلامة - النمرود - دهر ماربهنام (قرية الخضر والبساطليه) - (عبور نهر الزاب الكبير) الكوير - ديكه - التون كوبرى (لومباشرة نحو كركوك) (انظر الرسم التوضيحي، مسلك رقم ٨)، ويعتبر من المسالك الافقية.

٩ - المسلك التاسع:

وهو مسلك اقليمي يربط الموصل ببغداد على امتداد شرق النهر في نقاط تتحدد على النحو التالي:

الموصل - نينوى - ياربجه - السلامة - النمرود - (عبور نهر الزاب الكبير) الكوبر -
محمور - جومشين - (عبور الزاب الصغير) الحويجه (يتفرع عندها خط نحو كركوك
شرقا) - ثم يمتد الخط النازل لبغداد الى الدور - سامراء - دلتاوة - الخالص -
بغداد.

يتميز هذا المسلك كونه خطأ عمودياً مباشراً، ولكنه ليست له اهمية كبيرة كونه
يخترق جبال حرين القفراء والخالية من مراكز التوطن، وعليه فان الاهمية اكبر
باستعمال فرع هذا المسلك الذي يصل الحويجه - كركوك والانصال بالمسلك
الاستراتيجي للتخلص من مرتفعات حرين (انظر مسلك رقم ١١ في الرسم
التوضيحي).

١٠ - المسلك العاشر:

وهو مسلك اقليمي يربط الموصل ببغداد على امتداد غرب نهر دجلة في نقاط
تحدد على النحو التالي:

الموصل - حمام العليل (= دير الفيلارة) - تل حسونه - الشورة - الكيارة - الهوايش -
جرناف - شرقاط - تلول الباج - بيتجي - وهدة الخانوكه - تكريت - الدجيل -
الكاظمية - بغداد الغربية (= الكرخ).

يتميز هذا المسلك بخطه العمودي، وهو من الخطوط الاقليمية، ويعتبر اكثر
اهمية من المسلك الاقليمي التاسع المعادي لشرق النهر، ولكنه اقل اهمية من
المسلك الاستراتيجي السابع (= طريق شهرزور القديم)، وذلك خلال تضاعف
العصور الحديثة من تاريخ العراق. وازدادت اهمية المسلك العاشر خلال هذا
القرن واصبح هو الخط الاستراتيجي اليوم. واعتقد ان ازدياد اهمية هذا المسلك
خلال تاريخنا المعاصر تعود اسبابه الى:

١ - انشاء سكة حديد برلين - بغداد عبر اسطنبول - طوروس - الموصل نزولاً الى
بغداد غرب نهر دجلة مساعد على اقامة محطات ومراكز له.

٢ - انه كان المسلك الرئيسي الذي اخترقته قوات الاحتلال البريطاني في اكمال
سيطرتها على العراق واحتلال الموصل سنة ١٩١٨ م.

٣ - ازدياد التوطن السكاني وتركز السيطرة الحكومية جعله اكثر اماناً من عمليات
السلب والنهب التي كانت تتعرض لها القوافل المارة فيه وخصوصاً في فلولاته
وغلولاته.

وعليه فقد تطورت الحركة في هذا المسلك وبشكل فعال، ويتميز بانسباط
ارضه واستقامته، لذا فهو اقصر المسالك التي تربط الموصل - بغداد (انظر الرسم
التوضيحي: مسلك رقم ١٠).

١١ - المسلك الحادي عشر :

وهو مسلك اقليمي تتحدد نقاطه على النحو التالي :
الموصل - تل عبطه - معبد الحضر - وادي الاحمر - وادي الثرثار ثم صحراء (بادية
الجزيرة) الخالية من مراكز الاستيطان حتى - عنه .
وهو خط شبه عمودي ليست له اهمية خاصة ، ولكنه يلتقي مع مسلك
بغداد - حلب الصحراوي ، كما انه حلقة وصل الموصل بنهر الفرات ، وهو غير
مطروق من قبل القوافل ولكنه نظرقه وتستعمله القبائل البدوية الرحل (مسلك
رقم ١١ الرسم التوضيحي) .

١٢ - المسلك الثاني عشر :

وهو خط صحراوي خال من المراكز المهمة يربط الموصل بالبعاث وتطرقه
بعض القوافل الآتية من دير الزور أو الرقة وهو مسلك افقي .

١٣ - المسلك الثالث عشر :

وهو مسلك استراتيجي تتحدد نقاطه الاقليمية والخارجية على النحو التالي :
الموصل - وادي العقاب المتصل بحاوي الكنيسة (شمالي الموصل) - بوماريا -
تلعفر - ام الشبايط - كوكمك - سنجار - وردية - الحسكة - خور الحابور - دير
الزور - الرقة - عبور نهر الفرات - حلب ثم البحر المتوسط .
يعتبر هذا المسلك الافقي ذا اهمية استراتيجية خارجية في ربطه العراق بالبحر
المتوسط والشرق بالغرب عبر الموصل ، ويتميز بانبساطه وخصوصاً بعد تركه جبل
سنجار وراه ، اضافة الى ان هذا المسلك هو حلقة الوصل الطبيعية بين كل من
الموصل - حلب وبلاد الشام من خلال العلاقات الاقتصادية والارتباطات
السكانية ونزوح القبائل الرعوية على خطوط هذا المسلك الهام . اضافة الى كونه
حلقة وصل بين نهر دجلة ونهر الفرات . . (انظر مسلك رقم ١٣ في الرسم
التوضيحي) .

المسلك النهرى :

وهو شريان العراق الازلي الذي يربط اناضوليا عن طريق نهر دجلة بالخليج
العربي والبحر العربي والمحيط الهندي . (راجع عنه توضيحنا له سلفاً انظر الفصل
الثاني «استراتيجية الموصل الجغرافية والاقتصادية والبشرية» موضوع «الملاحه
النهرية» وانظر النقاط والوقفات في هذا المسلك النهرى بين الموصل - بغداد) .

مصادر ومراجع الملحق الثاني

احتملت في كتابي للملحق اعلاه والخاص بمسالك شمال العراق الاستراتيجية على المصادر والمراجع ادناه:

- ١ - ياقوت الحموي، معجم البلدان...، تحقيق، ومنتقد، المجلدات الستة، ليزك ١٨٦٦.
- ٢ - اولياء جلبي، محمد ظلي بن درويش، سياحته، اربع مجلدات، اسطنبول ١٣١٤.
- ٣ - ياسين الخطيب العمري، منية الادباء، سبق ذكره، موضوع (في ذكر ما للموصل من القرى والحصون)، ص ١٢٧ - ١٦٨.
- ٤ - محمد اشرف، مكمل ومفصل جغرافياي عمومي اطلاسي، اسطنبول ١٣٢٤.
- ٥ - احمد رشيد، خريطة لي ورسمل مكمل تاريخ عثمان، جزءان، اسطنبول ١٣٢٧.
- 6 - Thomas Howel, A Journal of His Passage from India by a route partly unfrequented through Armenia and Natolia or Asia Minor, London 1789.
- 7 - Walter B. Harris, From Batum to Baghdad, London (MCCCCXCVI).
- 8 - J. Buckingham, Travels in Mesopotamia, London 1827.
- 9 - A. Dupre, Voyage en Perse, Paris 1817.
- 10 - Col. Chesney, The Expedition for the Survey Rivers Euphrates and Tigris, vol. I, London 1850.
- 11 - Ives, A Voyage from England to India, London 1760, (MDCCLXXIII).
- 12 - Augustus H. Keane, Asia Ethnological-Appendix-ed. by: Sir Richard Temple, London 1882.
- 13 - Lord Warkwarth, Notes from A Diary in Asiatic Turkey, London 1898.
- (في الكتاب اعلاه، تفاصيل عن الممرات الجبلية والقنوات المائية للمسالك الراجع)
- 14 - E. Bretschneider, Medieval Researches in Eastern Asiatic Sources, vol. II, London, n.d.
- 15 - C. Niebuhr, op. cit., vol. 2, PP. 239-322.
- 16 - C. Rich, op. cit., vol. 2, PP. 301-69.
- 17 - Dr. M.R. Al-Feel, The Historical Geography of Iraq, between the Mongolian and Ottoman Conquests 1258-1534, I, Nejeff 1965.

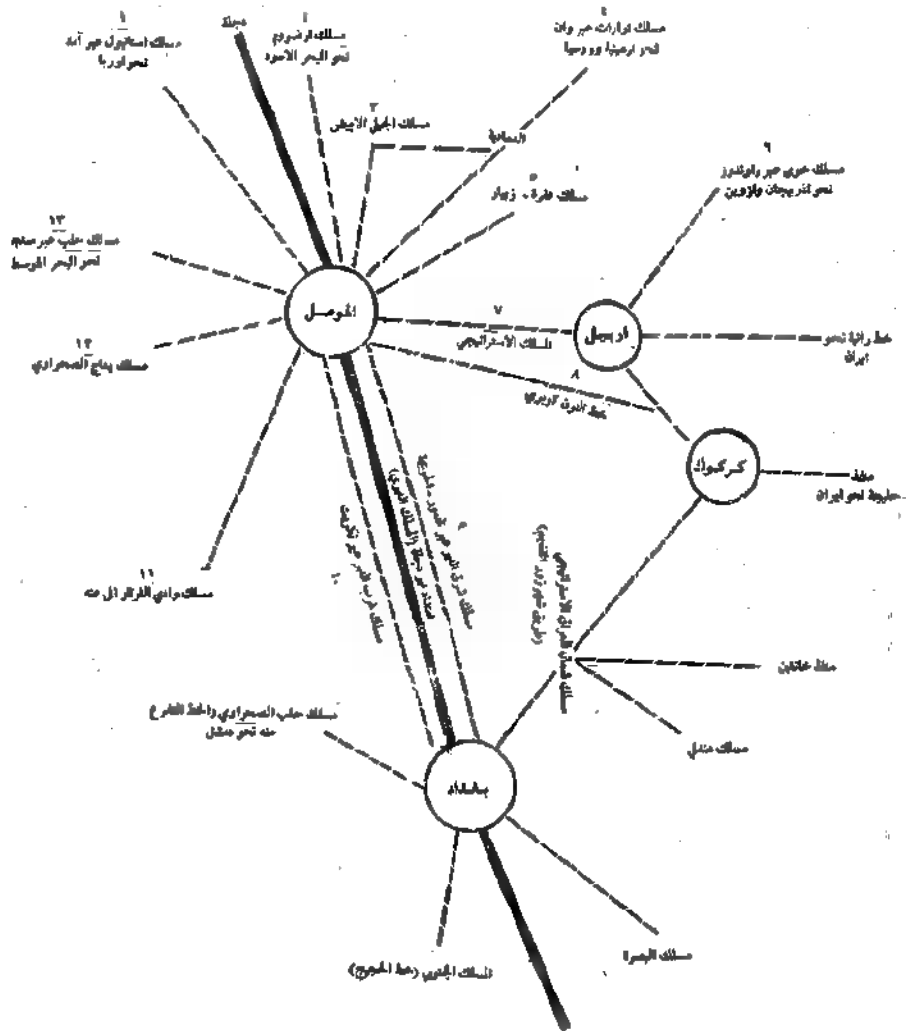
- 18 - J. Otter, op. cit., vol. 2, P. 112.
19 - J. Jackson, op. cit., PP. 29-86.
20 - J.M. Kinneir, op. cit., Chap. 3, 4, 5, and 6.
21 - P. Kemp, op. cit., fol. 70-96.
- ٢٢ - دومينيكوا التزا، المصدر السابق، ص ١٧ - ٢٩.
- 23 - Pitcher, op. cit., Map No. (XXV), and Map No. (XXXII)
24 - J. Ussher, op. cit., the last Chap.
25 - R. Pococke, A Description of the East, London 1743.
26 - Sir R.K. Porter, Travels in Georgia, Persia, Armenia, Ancient Babylonia, London 1822.
- ان معلومات الكتاب الجغرافية تختص بتفاصيل منافذ العراق الوسطى نحو إيران، وعلى
الاخص المسلك الاستراتيجي للعراق رقم (٧)، وخط خانقين. (راجع الجزء الثاني منه).
- 27 - (JAOS), op. cit., vol. No. 2, 1851.
28 - Sir M. Sykes, Through five Turkish Provinces, London 1900.
- ٢٩ - R. Olson, op. cit., Chap. No. 1 "The Geographical and Strategic Importance of the Eastern Provinces and Mosul..."
- وانظر خارطة (اولسن) المرفقة بكتابه ضمن الفصل الاول المذكور اعلاه «الاهمية الاستراتيجية والجغرافية للاقليم الشرفي والموصل»
- 30 - Binder, Au Kurdistan, en Mesopotamie ■ en Perse, Paris 1887.
31 - E. Herzfeld, Archaeologische Reise ■ Euphrat ■ Tigris Gebiet, vol. III, Berlin 1920.
32 - J. Bell, Travels from St. Petersburg in Russia to Diverse Parts of Asia, London 1764.
- (راجع في جزئه الثاني ما يخص اتصال العراق ببطرسبورغ في روسيا عبر المسلك الرابع،
الموصل - ارباب - ارمينية).
- 33 - The Geographical Journal, vol. 118, 1952.
34 - W.G. Moore, The Penguin Encyclopedia of PLACES, ■ ■ ■ tain 1978.
35 - Guy LeStrange, The Lands of the Eastern Caliphate, London 1905; or the ■ ■ ■ copy ——— New York ■ ■ ■ .
- ٣٦ - صديق الملوحي، اماك، جازان او امارة العنابية، الموصل ١٩٥٢.
- 37 - G.L. Bell, SYRIA The Desert The Sown, London 1919.

■ - Encyclopedia of Islam, Ist. and ■ ed.

39 - Islam Ansiklopedisi, Istanbul (in Progress).

■ - The New Encyclopedia Britannica, vol. V, London 1974.

٤١ - سيار الجميل، دراسة في السيطرة العثمانية على الموصل وإقليم الجزيرة سنة ١٥١٦ م
وبدايات الصراع العثماني - الإيراني . . . مجلة (بين النهرين) عدد ٣٠، الموصل ١٩٨٠.



فيكون من جنرال بالسلوك الاستراتيجي للعراق

ملحق رقم (١٣)

(الانذار الايرانسي الاول لحكومة الموصل)

لقد نص الانذار الايرانسي الاول لحكومة الموصل الذي حرمه الاميراطور
ناخوشاه الى الموصل بعد اسقاطه اربيل، وقد كتبه مستشاره الذهبي ملا باشي علي
اكبر بأمر مولاه ووجهه الى مفتي الموصل السيد يحيى افندي الفخري سنة
١٧٤٣ م / ١١٥٦ هـ .

بسم الله العلي الاعلى الموصل الى مدارج العل
هذا كتاب منا الى العالم النبيل والتميز الجليل، يحيى المفتي احياه الله كما
يشتهي ويتمنى، وصاته من كل طارق ويلوى، والى قاطبة قاطني الموصل،
حفظهم الله من الصيب والوابل، كي يفظهم من رقعة الخلة، وستة العثرة،
ويزيل عنهم الوحشة والدمعة، فليستمعوا وليصمتوا استماع قبول واذعان وايقان
واتقان، هسى ان ينجوا ويفرحوا. لا تلقوا وراء ظهوركم القاء تحت وطغيان،
تحزنوا وتندموا.

واعلموا اخواني المؤمنين، اننا جند الله خلقنا من رحمته وغضبه، فالشرى ثم
البشرى لمن اتبعنا ومواتنا، والنلري ثم النلري على من خالفنا وعصانا، او ليس
لكم في آثار الماضين تبصرة ومعتبرا، الا فتذكروا اخبار الهند والسند والترك في
انموذج وصل اليكم وقائعهم وملاحمهم ووقائع جيرانكم من اهل كركوك وما
والاها، كيف تمتوا فتمتموا ثم اطاعوا فنجوا فهم ذور الخط في جلباب امن وامان
وشفقة ودعة وامتنان، ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة، «واتقوا فتنة لا تصيب
الذين ظلموا منكم خاصة» لا تقدرين على الدفاع، فلا تعرضوا اعماركم
للاقطاع بالقاء شبه من جهلة لا الخبر يعرفون من الشر، ولا الخير من الاثر فكما
قال عز من قائل «وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان» .
وورد في الحديث الشريف «ان من فرج كربة عن اخيه المؤمن فرج الله عنه سبعين
كربة، ومن رأى اخاه في حفرة (فاتجاه) انجاه الله من النار» . وديت اليكم كتابي
وصحيفتي مع السيدين النجيين الفخيمين قاضي كركوك وحسن افندي وصحبته
محمد افندي ومصطفى اخا يوصلونه اليكم ويرشدونكم الى الصواب،
وعلموكم من العقاب، فعليكم ان تنظروا اليه بعين الانصاف، متجنبين عن
التمت والاعتساف، واستقبلوا السلطان العادل الكامل الرزوف والحقان
الاعظم العطوف ادام الله عز جلاله على مفارق العالمين، تفرحوا وتسروا، فان

همته العلية العالية معروفة بالتشفق والاستعطاف، وما له مباحضة ولا معاندة
لسلطانكم السلطان ابن السلطان والحقان ابن الحقان ثاني اسكندر ذي القرنين
خادم الحرمين الشريفين السلطان الغازي محمود خان ادام الله ظلال جلاله طمعاً
في ملكه ورعيته، بل همته العلية الشاهنشاهية مصروفة بحفظ ملكه ورعيته أكثر
من اهتمامه بملك نفسه، لكن صارت بينهما شبهات دينية شرعية، وعقد مليّة
يسهل الله حلها ويقي الله المسلمين شرها، فلا تعرضوا أنفسكم لتزول نيران
غضبه وشدة بطشه وسخطه، انما علينا البلاغ وعليكم الحساب فعلينا انمام المحجة
الغراء، وعليكم سلوك المحجة البيضاء، وليبلغ الشاهد منكم المستمع لكتابنا
الغائب.

والسلام على من اتبع الهدى.

(مصادر هذه الوثيقة)

- ١ - النص الخطي الذي كتبه المؤرخ محمد امين الخطيب العمري على حاشية مؤلفه (منهل
الاولياء)، والذي نشره محققه سعيد الديوبه جي في ملحق خاص. انظر (المنهل...،
ج ١، ص ٣٢٥ - ٣٢٦)، وانظر نسخة مخطوطة اخرى من (المنهل...، في مكتبة المتحف
البريطاني رقم ٢٤٢٩ O٢).
- ٢ - سالتامة الموصل، الصادرة سنة ١٣٠٨ هـ / ١٣٠٦ رومي، ص ٢٦٢ - ٢٦٣.
- ٣ - سليمان صالح، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٢٨٠.
- ٤ - عماد رؤوف، الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي)، ملحق رقم (٥)، ص
٥١١ - ٥١٣. ومن الجدير بالذكر، ان د. رؤوف اعتمد على صورة هذه الوثيقة ضمن
مجموع مخطوط، تحتفظ به مكتبة الدراسات العليا بكلية الآداب في جامعة بغداد تحت رقم
(٤٤).
- ٥ - وهناك صورة اخرى من هذه الوثيقة، ضمن مجموع خطي آخر تحتفظ به مكتبة يحيى باشا
الجليلي في الموصل.
- ٦ - لما عن مفتي الموصل السيد يحيى الفتدي الفخري والذي ارسل اليه الكتاب، فراجع عنه
وترجمته: (المنهل، ج ١، ص ٣٢٥)، (المرادي، سلك الدرر، ج ٤، ص ٢٣٣)،
(مخطوط الدرر المكنون)، (الشماعة، ص ١١٣ - ١١٤).

ملحق رقم (٤)

(جواب حكومة الموصل على الانذار الايراني الاول)

اذناه نفي جواب حكومة الموصل الذي حرره والي الموصل الوزير الحاج حسين باشا الجليلي بمشاركة المحافظ الوزير حسين باشا القازوقجي . . رداً على كتاب نادرشاه، وقد ارسل الجواب السيد يحيى افندي الفخري - مفتي الموصل - الى ملا باشي علي اكبر، المستشار الديني لنادرشاه:

بسم الله وما اعتصمنا الا بالله، ومن لاذ بكهف كفايته كفاه وحاه
هذا كتاب فصلت آياته وتحدثت معجزاته وظهرت شرايده دعوته وبيناته ظهور
نار القرى ليلاً على علم بل هو اشهر، كجلود صخر حطه السيل من عل الى ملا
باشي علي اكبر، اجري الله بذياب صمصام قهره من انف وعونته قطرات الشرور
المتصاعدة الى صماغ دماغه من ابخرة النخوة والغرور، واخذ شرايات تلك
النية الفاسدة بصرص الدمدمة الالهية كما اهلكت عاد بالدبور.
وهل كتابكم المرسول الى العامة المشتغل بزعمكم على الطامة، فلا تفسركم
الحياة الدنيا ولا يفرنكم بالله الغرور، مفتخرين به بانكم جند الله مخلوقون من
الغضب «ثبت يدي ابي لهب وقلب، ما اغنى عنه ماله وما كسبه»، فاجابوا حين
قرئ على رؤوس الاشهاد، وشاسوا ما انطوى عليه من الابراق والارعاد،
واحاطوا بما اودعتموه من الانذار والايعاد. نعوذ بالله السميع العليم من
الشيطان الرجيم وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر ومن بيننا
وبينك حجاب فاعمل فرنا عاملون، فالعياذ بالله، امن بعد ايماننا وطاعتنا
لسلطاننا والمقاتلة دون اموالنا والمكافحة عن اولادنا وعيالنا يهلنا منكم شفاشق
اللسان ويرونا سحر البيان ووسوسة الشيطان وكثرة الهذيان.

قام الحمام على البازي يهدده واستصرخت بالسود البر اضيحه
يا من يسد فم الافعي باضيحه يكنيه ما قد يلاقي منه اضيحه

فما وعيدكم عندنا إلا كصيرير باب، أو كما طن في لوح الهجير ذباب، افرايتم ان
القصاب يهوله كثرة الغنم، أو الاسد الغشمشم يدهشه تراكم النعم، تتكرونا
بما فعلتم بالسند والهند مع اولئك العلوج، وما سطوتم على الترك بقية يا جوج
وما جوج، وتدهشونا بما فتحتم من قلعتي كركوك واربيل، وترعبونا بأمثال هاتيك

الاباطيل مكللا مستظلمون، ثم كلا سوف تعلمون. افتتاع بالقراع، ونحن الاسود
النصارى، والسماح الكواصر العادية، اسياقتنا صليقة، وسطوتنا ثقيلة، وطلوتنا
وزينة، ولوتينا كالحديد متينة، وبلدتنا بعدد الله حصينة.

انا جبل يحتله من نجيره منيع يرد الطرف وهو كليل
ستر العرش مسببول علينا، ونحن الله فاطرة الينا، يحول لا تقدرون علينا
وذلك بعناية الله ووفور عددنا واعدادنا، موصود بصيانتنا واعدادنا، من طرف
سلاطين باهر السطوات، عظيم الهمة والخطوات، كهف الاسلام والمسلمين،
حامي حوزة الدين، حافظ بيضة الايمان والمؤمنين، سلطان البحرين وخاقان
البحرين وخدام الحرمين الشريفين، ذو السطوات الخاقانية التي لا تبارى،
والعزمات القانية التي تجاري، سلطان سلاطين الافاق، والقاهر بأمر الله
لاعدائه على الاطلاق، قهرمان الماء والطين، ظل الله تعالى في الارضين، فسوف
بعدنا بجنود لا قبل لكم بها، فترجعون على الاعقاب ناكسون، ويخرجكم منها
اذلة وانتم صاغرون. فكيف تهددوننا وانتم لعظمة شوكة الميثانية تصرفون،
وما تخفوننا وكانكم لذلك محققون، وبما تدرله تشهدون، وسيعلم الذين ظلموا
اي منقلب ينقلبون. فيا لله العجب، كيف منا الطاعة تؤملون، والدخول في ريقة
الخيانة تطلبون، ونحن ابا عن جد بأنعام سلطانتنا المظفر متقلبون، وبفواضل
احسانه متسربلون.

ورثناهم عن آباء صدق ونورثها اذا متنا البتة

مع انا من خاصة اهل السنة والجماعة، فلا سمعاً لكم ولا طاعة، واملاً
بالشهادة والسعادة هذه الساعة.

ردى حياض الردى يا نفس وانركي حياض غير الردى للشاء والنعم

فما بيننا الا ما صنع الحداد، من سيف حداد، ورمح حداد، ويفعل الله جل
شانه ما اراد.

حرر عن لسان خادم اعيان الدولة العثمانية الحاج حسين باشا الوزير
الجليل والي مدينة الموصل المحروسة. وحسين الوزير والي حلب المشهور
ومحافظ البلدة المحروسة. وكلفة وجوه البلد وعوامها والسلام.

(مصادر الوثيقة)

- ١ - النص الخطي الذي كتبه المؤرخ محمد امين الخطيب العمري في كتابه (المجلد) -
ذكره، وحل حاشيته، وقد حقق هذا الجواب ايضا حقق المجلد الذي جى في ملحق رقم
(٢)، ج ١، ص ٣٢٩ - ٣٧٨. ويحضر هذا النص من اوثق النصوص لهذه الوثيقة.
- ٢ - وانظر (سلسلة الموصل، الصادرة في سنة ١٣٠٨ هـ / ١٣٠٦ رومي، ص ٢٦٤ - ٢٦٦).
- ٣ - من صالح، تاريخ الموصل، ج ١، ص ٢٨٣، الذي اعتمد في تفسيره كتابه لبعض
الفقرات من هذا الجواب على خطوط (المجلد).
- ٤ - عماد رؤوف، الموصل في العهد العثماني... ملحق رقم (٦) في تحقيقه لهذا الجواب،
معتدلاً على النسخة الخطية في مجموع مكتبة الدراسات العليا التابعة لكلية الآداب في
جامعة بغداد تحت رقم (٤٤). وهناك بعض الفقرات مخلوطة أو ناقصة في جواب هذه
الوثيقة التي حققها د. رؤوف، مقارنة لما يبدو عليه نص المجلد والسلسلة الرسمية.

1. The first part of the document is a list of names and addresses, which appears to be a directory or a list of contacts. The names are written in a cursive script, and the addresses are listed below them.

[illegible]

**ملحق رقم (٥)
(الخرائط)**

ملاحظة: حقوق نشر الخرائط ادناه محفوظة لمؤلف الكتاب فقط.

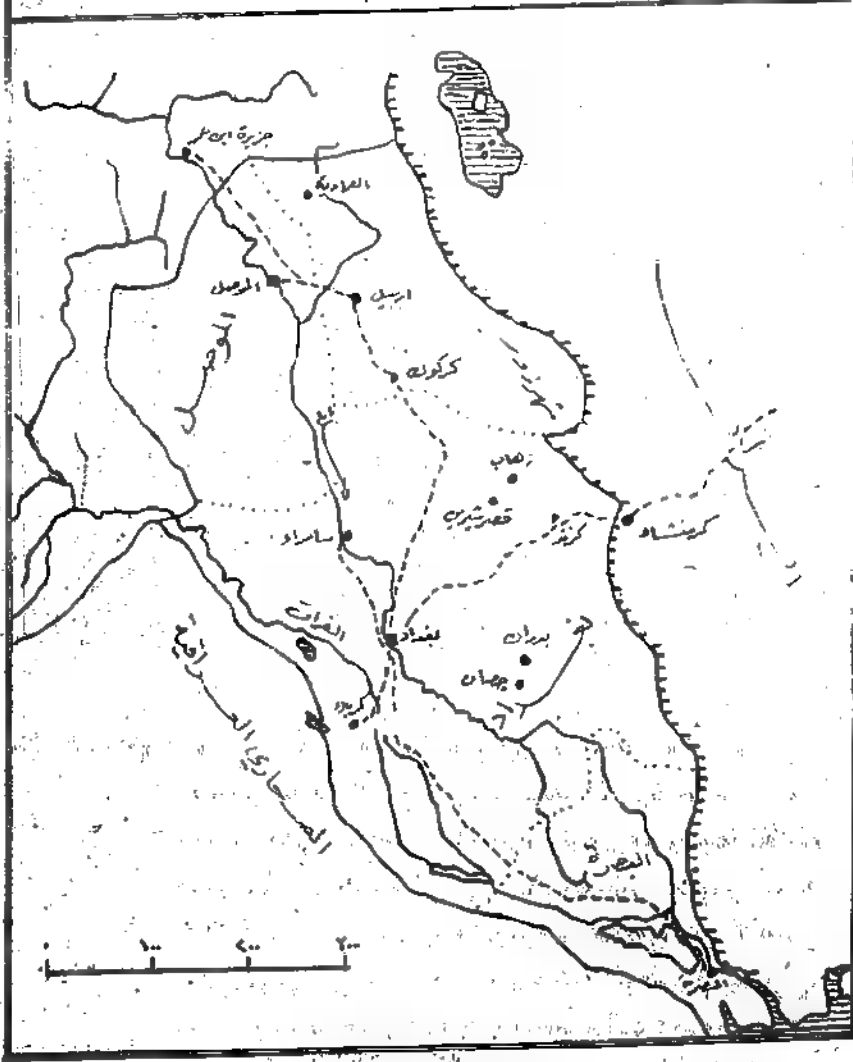
الخارطة رقم (١) ١ توضح هذه الخارطة حدود الولايات العثمانية في الشرق العربي (= العراق وبلاد الشام)، والاقاليم الاستراتيجية هي: ١ / الموصل ٢ / بغداد ٣ / البصرة ٤ / ديار بكر ٥ / حلب ٦ / ادره ٧ / طرابلس الشام ٨ / الشام (= دمشق) ٩ / بيروت معتمداً في رسمها على خارطة دونالد بيتجر المرقمة: XXXII في اطروحة الموسومة:

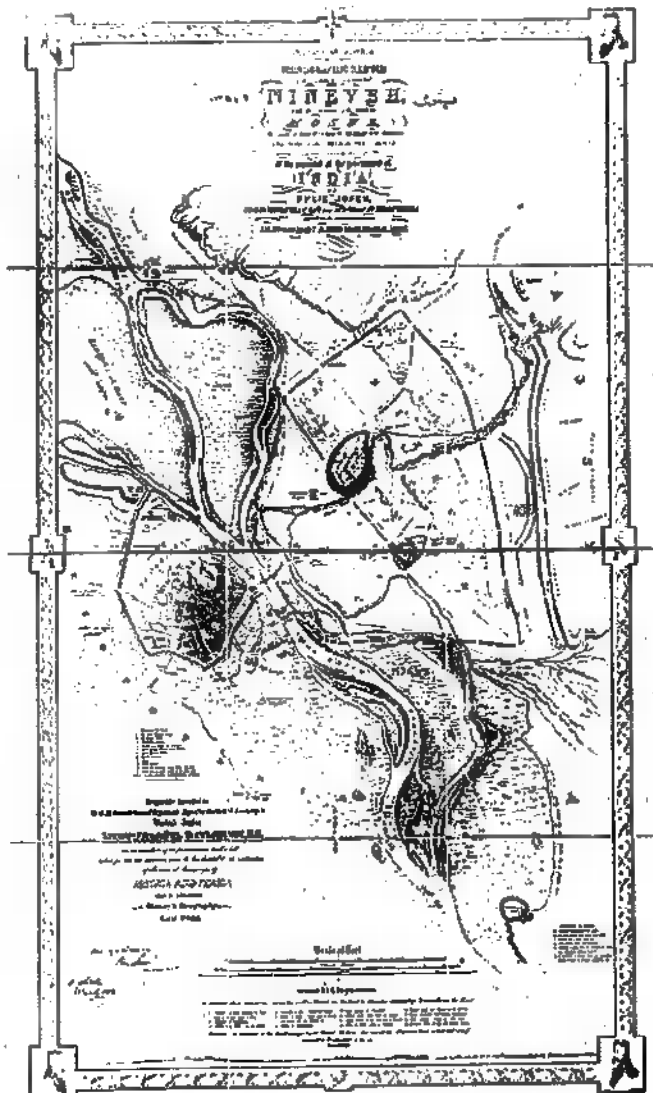
An Historical Geography of the Ottoman Empire, Leiden Brill, 1972.

الخارطة رقم (٢): توضح هذه الخارطة مسالك نادرشاه الحربية داخل العراق
اثناء الحملة الايرانية الكبرى عليه سنة ١٧٤٣ م، وهي
الخطوط الاستراتيجية التي اخترقها نادرشاه بجيشه، والتي
تقوم عليها اهم المدن العراقية، ومراكز الاسنيطان
والنجارة. كما تتوضح ايضاً، الحدود الشرقية العراقية القديمة
التي تفصل العراق عن ايران، اضافة الى وضوح الحدود
الاقليمية الادارية - الداخلية في العراق. والخارطة من عمل
المؤلف، وقد استندت في تحديدها على اطروحة (دونالد
بيتجر) السابق ذكرها اعلاه. واعتمدت في تخطيط ورسم
مسالك نادرشاه الحربية على المصادر التاريخية، وقد توخيت
ان اقدمها بالانكليزية لتكون الفائدة منها اعم واشمل لجميع
قوي الاختصاص والاهتمام.

مسالك نادر شاه في حملته على العراق

١٧٤٣ م





خارطة رقم (5) من قبل المجلس الجغرافي (طوبوغرافية دجلة عند الموصل)

الخارطة رقم (٤): توضح هذه الخارطة المحلية لمركز مدينة الموصل القديمة سور المدينة وابوابها، والمناطق المظللة التي تعرضنا في الحديث عن الحصار ومنها كل من القلعة الداخلية، وقلعة باش طابية وقلعة قره سراي، ثم جسر الموصل والمراكز السكنية، ونهر دجلة وتفرعاته. وهي صورة طبق الاصل الذي رسمه الرحالة (فيلكس جونز) عام ١٨٥٦ م، وقد منحتني اياها مكتبة المتحف البريطاني (قسم الخرائط). وتعد هذه الخارطة من اهم الخرائط المحلية لمركز مدينة الموصل القديمة، والتي رسمت خلال القرن التاسع عشر.



خارطة الموصل برسم (فيلكس جونز) سنة 1856 م - من مكتبة المتحف البريطاني -
خارطة رقم (4)

TV8

مصادر البحث

(الوثائق)

- 1 - E. de St. Albert, "LETTERS FROM BAGHDAD", Eighteenth Century-Archives National, (Paris).
- 2 - State Papers 97-TURKEY, Letters from Mr. Stanhope Aspinwall The Duke of Newcastle, vol. 24-32 (Public Record Office in London).
- ٣ - الوثيقة الإيطالية عن حصار الموصل والمرقة بهذا البحث.

(المخطوطات)

- ١ - البصري، خليل وعبدالله الفخري، ارجوزة في حصار الموصل، مكتبة (استات بيلوتك) برلين، تحت رقم ٩٨٠٢.
- ٢ - التركمان، اسكندر بك منشىء عالم اراى عباسي (مخطوط بالفارسية) خصه مؤلفه للشاه عباس الاول، المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم ١٣٤٨ Supp.
- ٣ - الجليلي، د. داؤد، صفحات من تاريخ الموصل، مخطوطة ملخصة، مكتبة الاوقاف العامة بالموصل، تحت رقم ٩/٤٣.
- ٤ - الجليلي، يحيى، سراج الملوك ومنهج السلوك، مكتبة المتحف البريطاني في لندن، تحت رقم Add ٢٣٣٠٦.
- ٥ - العمري، علي بن ياسين، روضة الاخبار في ذكر افراد الاخبار، مكتبة المتحف البريطاني في لندن، تحت رقم Add. ٢٣٣١١.
- ٦ - العمري، محمد امين الخطيب، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحديباء، مكتبة المتحف البريطاني في لندن، تحت رقم Or. ٢٤٢٩.
- ٧ - العمري، ياسين الخطيب، الدر المكنون في الآثار الماضية من القرون، نسخة المكتبة الوطنية بباريس، تحت رقم ٤٩٤٩ عريبات.
- ٨ - العمري، ياسين الخطيب، الدر المكنون في الآثار الماضية من القرون، نسخة مكتبة المتحف البريطاني في لندن، تحت رقم Add. ٢٣٣١٢.
- ٩ - العمري، ياسين الخطيب، قرة العينين في تراجم الحسن والحسين - نسخة شخصية -.
- ١٠ - مجموع شعري تحويه مكتبة الاوقاف العامة بالموصل تحت رقم ٥٠/٩.

١١ - مخطوط بالتركية عن حصار نادرشاه للموصل غير معروف اسم مؤلفه في مكتبة المتحف
البريطاني

Account of the Siege of Mosul by Nadir Shah, (British Mus.
Library) Add. 7867.

وعنوان هذه الوثيقة المخطوطة بالتركية:

«تاريخ وقعة نادرشاه در آمدنش بر سر كر كوك و اربيل و موصل».

١٢ - الموصل، يونس، قصيدة - بالتركية - ضمن مجموع في مكتبة يعقوب سر كيس بغداد.

(المصادر الموسوعية)

١ - الإنسكلوبيديك

- 1 - An Encyclopedia of World History, Compiled and Edited by W.L. Langer, Fifth Edition, London 1972.
- - Enciclopedia Italiana, Di s. M. IL RE D' ITALIA, Rome 1933.
- 3 - Islam Ansiklopedesi, 11 vols. in Progress. Istanbul 1941.
- 4 - The Encyclopaedia of Islam, Edited by Th. Houtsma, T.W. Arnold, R. Basset, ■ R. Hartman.. 4 vols. and supplement Leiden and London 1913-38.
- - The Encyclopaedia of Islam, New ed. Edited by H.A.R. Gibb, J.H. Kramers, E. Levi-Provencal, J. Schacht, B. Lewis, C. Pellat, ■ V. Menage; in Progress, Leiden and London 1954.
- 6 - The New Encyclopaedia Britannica, vol. V, London 1974.
- 7 - The Penguin Encyclopaedia of Places, Compiled by W.C. Moore, ■■■■■ 1978 (Copyright).

■ - الموسوعات التاريخية

- 1 - Cambridge History of Iran, Edited by W.B. Fisher, Cambridge 1962
- 2 - Cambridge History of Islam, Edited by P.M. Holt, B. Lewis, and A.K. Lambton, Cambridge 1968.
- - The New Cambridge Modern History, vol. VI Edited by J.S. Bromley, Camb. 1970; vol. VII Edited by J.O. Lindsay, Camb. 1957; vol. VIII Edited by A. Goodwin, Camb. 1961
- - Verancsics ve ■■■■ 'don naklen Lefavre, Les Magyars Pendant la domination Ottoman ■ Hongrie 1526-1722, Paris 1902.

٣ - التقارير والمذكرات الرسمية

1 - IRAQ, (Survey book), London 1944.

■ - The **MIAW** East, (A Political and Economic Survey), 2nd ed., Preface by Elizabeth Monroe, **Iranian** 1954.

٣ - سالنامه در موصل ولايتي، سنة ١٣١٠ هـ / ١٣٠٨ رومي.

سالنامه در موصل ولايتي، سنة ١٣١٢ هـ / ١٣١٠ رومي.

٤ - التقرير المراتبي الرسمي لسنوات عديدة.

٤ - المعاجم والفهارس

١ - باقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق ومستفاد، المجلدات الستة، ليزر.

■ - W. Ahlwardt, Verzeichniss der arabischen Handschriften der Konigl. Bibliothek zu Berlin 1887-1899.

3 - DICTIONARY of National Biography, Edited by Sidney Lee, vol. XLIV., London 1895.

■ - J. W. Redhouse, A Turkish and English Lexicon, Constanti-nople 1921.

٥ - د. دلزاد الجلي، مخطوطات الموصل، بغداد ١٩٢٧.

٦ - سالم عبدالرزاق احمد، فهرس مخطوطات مكتبة الاوقاف العامة في الموصل، ج ٢، بغداد

١٩٧٦، ج ٤ - ٦، الموصل ١٩٧٧.

(المصادر العربية والمعرّبة)

- ١ - البليسي « شرف الدين، الشرفنامه، تعريب محمد علي حوني، القاهرة ١٩٥٨.
- ٢ - خياط، جعفر، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ط ١، ١٩٧١.
- ٣ - الدحلوجي، صديق، الزيدية، الموصل ١٩٤٩.
- ٤ - الدحلوجي، صديق، امارة يهلينان أو امارة العمادية، الموصل ١٩٥٢.
- ٥ - الديوه جي، سعيد، جوامع الموصل في مختلف العصور، الموصل ١٩٦٣.
- ٦ - الديوه جي، سعيد، الموصل ام الربيعين، بغداد ١٩٦٥.
- ٧ - رؤوف، حماد عبدالسلام، الموصل في العهد العثماني (فترة الحكم المحلي)، النجف ١٩٧٥.
- ٨ - زكي، محمد امين، تاريخ الكرد والكرديستان، ترجمة عن الكردية، محمد علي حوني، القاهرة ١٩٣٦. (نسا الاصل طبع بالكردية في بغداد سنة ١٩٣١).
- ٩ - السويلي، الشيخ عبدالرحمن، تاريخ بغداد أو حديقة الزوراء في سيرة الوزراء تحقيق د. صفاء خلوصي، بغداد ١٩٦٢. حقق القسم الآخر منه محمد بهجة الاثري: فرائح العصبيات...، بغداد، ١٩٨١.
- ١٠ - سيوفي، نقولا، مجموع الكتابات المحورة على ابنة مدينة الموصل، حققه ونشره واصلف عليه، سعيد الديوه جي، بغداد ١٩٥٦.
- ١١ - صايغ، القس سليمان، تاريخ الموصل، الجزء الاول، القاهرة ١٩٢٧.
- ١٢ - عبدالباقي، حسن، ديوان حسن عبدالباقي « تحقيق ونشر، د. صديق الجليلي، الموصل ١٩٦٦، (ذيّله المحقق بمحققين مهين).
- ١٣ - العزاوي، عباس، تاريخ المراقبين احتلالين، الاجزاء الكاملة، بغداد.
- ١٤ - العمري، عصام الدين عثمان، الروض النضر في ترجمة ادباء العصر، تحقيق د. سليم النعيمي، ج ١، بغداد ١٩٧٤، ج ٢، ٣، بغداد ١٩٧٥.
- ١٥ - العمري، محمد امين الخطيب، منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحديباء، تحقيق ونشر سعيد الديوه جي، ج ١، الموصل ١٩٦٧.
- ١٦ - العمري، ياسين افندي الخطيب، منية الادباء في تاريخ الموصل الحديباء، تحقيق سعيد الديوه جي، الموصل ١٩٥٣.
- ١٧ - العمري، ياسون افندي الخطيب، غاية المرام في تاريخ محاسن بغداد دار السلام، نشر دار البصري ١٩٦٧.

- ١٨ - المصري، ياسون الفتحي الخطيب، زينة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية، انتخب الزينة، د. دلاؤد الجلمي، وحفظها عماد عبدالسلام رؤوف، النجف ١٩٧٤.
- ١٩ - الفلاحي، محمد بن مصطفى، شمامة العنبر والزهر المعنبر، تحقيق د. سليم النعيمي، بغداد ١٩٧٧.
- ٢٠ - فليبي، سليمان، تاريخ الممالك الكولة مند في بغداد، ترجمه عن التركية محمد نجيب أرمنازي، بغداد ١٩٦١.
- ٢١ - فائق، سليمان، (تاريخ بغداد)، عنوانه الاصيل، مرآة الزوراء في تاريخ الزوراء، ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس، بغداد ١٩٦٢.
- ٢٢ - القادري، فتح الله، (ملحمة الموصل)، وهي ارجوزة اطلق عليها هذا العنوان عمقتها المؤرخ سعيد الدين يحيى، الموصل ١٩٦٥.
- ٢٣ - الكركوكلي، رسول حاوي، دوحه الزوراء في تاريخ بغداد الزوراء، ترجمه عن التركية موسى كاظم نورس، بيروت —.
- ٢٤ - لترا، دومينيكوا، (الموصل في الجبل الثامن عشر حسب مذكرات دومينيكوا لترا)، فصول ترجمها واطلق عليها هذا العنوان د. روفاتيل بيدايو، الموصل ١٩٥٣.
- ٢٥ - لونكريك، ستيفن همبلي، اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث، النسخة العربية التي ترجمها جعفر خياط، بغداد ١٩٦٢.
- ٢٦ - المرادي، محمد خليل، سلك الدرر في اعيان القرن الثاني عشر، ٤ اجزاء، القاهرة ١٢٩١.
- - المنشي البغدادي، محمد بن احمد، رحلته التي ترجمها عن الفارسية عباس العزاوي، بغداد ١٩٤٨.
- ٢٨ - نوار، عبدالعزيز سليمان، دلاؤد باشا والي بغداد، القاهرة ١٩٦٨.
- ٢٩ - نوار، عبدالعزيز سليمان، تاريخ العراق الحديث، القاهرة ١٩٦٨.
- ٣٠ - نورس، ملاء موسى كاظم، حكم الممالك في العراق، بغداد ١٩٧٥.

(المصادر التركية)

- ١- اشرف، محمد، مكمل ومفصل جغرافياي عمومي اطلاسي، اسطنبول ١٣٢٧.
- ٢- اميري، علي، تذكرة شعراء آمد، مطبعة أمدي ١٣٢٧.
- ٣- بجوي، ابراهيم، تاريخ...، اسطنبول ١٢٨٣.
- ٤- ثريا، محمد، تاريخ محمد ثريا (سجل عثماني)، استانبول ١٨٠٨ - ١٨١٦.
- ٥- رشيد، احمد، خريطة لي ورسيل مكمل تاريخ عثماني، جزءان، اسطنبول ١٣٢٧.
- ٦- سالنامه الموصل، استانبول ١٣٠٨ هـ / ١٨٩١ م، كتبها حسين توفيق الفندي.
- ٧- خوجه، سعلالدين، تاج التواريخ، جزءان، استانبول ١٨٦٧ - ١٨٦٣ م.
- ٨- راسم، احمد، عثمانلي تاريخي، الجزء الثاني، استانبول ١٣٢٨ هـ.
- ٩- سلحدار، فندقل محمد اخا، سلحدار تاريخي، تحقيق، احمد رافق، اسطنبول ١٩٢٨.
- ١٠- صبيحي، محمد الفندي، (سامي شاكور صبيحي)، تاريخ صبيحي، اسطنبول ١٧٨٣ - ١٧٨٤.
- ١١- فرسدون بياي، منشآت السلاطين، جزءان، اسطنبول ١٢٨٦ - ١٢٨٧ هـ / ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م.
- ١٢- كاتب جلبي، فذلكه تاريخ، اسطنبول ١٢٨٦ - ١٢٨٧ هـ / ١٨٦٩ - ١٨٧٠ م.
- 13 - Kenan, Yusuf, Yavus Sultan Selim ve ittihad-islam siyaseti, Istanbul n.d.
- ١٤- محمد ظلي بن درويش، اولياء جلبي سياحنامه سي، ٤ اجزاء، اسطنبول ١٣١٤ هـ.
- ١٥- نعيم، مصطفى، تاريخ...، ٦ اجزاء، اسطنبول ١٢٨٠ هـ / ١٨٦٣ - ١٨٦٤ م.
- 16 - Uzuncarsili, Ismail, Osmanli Tarihi, Vol. 4, Pts. 1 and 2, Ankara 1956.

(المصادر الايرانية)

- ١- الاسترآبادي، ميرزا مهدي خان، جهانكشاي نادري، باهتمام سيد عبدالله انوار، طهران ١٣٤١، جاب بهمن.
- ٢- بلزاركاد، د. بهاءالدين، كرونو لوري تاريخ ايران، طهران ١٣٤٥.
- ٣- سردادور، ابوتراب، تاريخ نظامي وسياسي، دوران نادرشاه افشار، تهران د.ت.
- ٤- شاه بابا، نامة احمد، بنام سلطان مصطفى ثالث عثماني، تعليق ونحشية، غلام جيلاني جلالي، افغانستان - كابل ١٣٤٦ ش (دولتي مطبعي).
- ٥- شفق، د. رضا زاده، نادرشاه، سلسلة انتشارات انجمن اكارنل (٣٩) لا اسفندماه ١٣٣٩، جاب تابان.

- ٦ - فلسفي، نصرالله، جنك جالديران، جاب دنشكه، طهران ١٣٣٢.
- ٧ - مقتدر، غلامحسين، نادرشاه، تهران ١٣٣٩ شمسي، جاب اول.
- ٨ - نوائي، د. عبدالحسين، شاه طهماسب صفوي، ايران ١٣٥٠.
- ٩ - نوائي، د. عبدالحسين، شاه اسمعيل صفوي، اسناد ومكتبات تاريخي هراة، بلايا داشتهاي تفصيل، جاب شد، ١٣٦٧ هـ.

الدوريات

- 1 - ARABICA, Special vol. 1962. Artical by Robert Mantran titled "Baghdad a epoqe Ottoman".
- 2 - English Historical Review, vol. XXX 1915. Artical by A.H. Lybyer "The Ottoman Turks and the Routes of Oriental Trade".
- - Journal of the American Oriental Society (JAOS), Second vol., York-London 1851: also No. 87, 1967.
- - Studies in the Economic History of the Middle East, London 1970, Artical by Halil titled "The Ottoman Economic Mind and Aspect of Ottoman Economy".
- - The Geogjaphical Journal, vol. 118, Part I, March 1952.
- ٦ - مجلة سومر العراقية، ابحاث عملية عن الموصل
العدد ٣ سنة ١٩٤٧ سعيد الديوه جي (سور الموصل).
العدد ١٠ سنة ١٩٥٤ سعيد الديوه جي (قلعة الموصل في مختلف العصور).
العدد ١٢ سنة ١٩٥٦ سعيد الديوه جي (جسر الموصل في مختلف العصور).
٧ - مجلة بين النهرين العراقية
سيار الجميل، دراسة في السيطرة العثمانية على الموصل واقليم الجزيرة سنة ١٥١٢ م
وبدايات الصراع العثماني - الايراني (الصفوي) في عهد السلطان سليم
الاول، العددان (٣٠) و(٣١) سنة ١٩٨٠.
د. بطرس حداد، حملة نادرشاه على العراق سنة ١١٤٥ هـ في وثيقة سرية، العدد ٣٣،
سنة ١٩٨١.
٨ - جريدة «الموصل» في عددها الصادر ب ١ نيسان ١٩٩٩، مقالة رشيد الخطيب، والواقعة
المشهورة ببلدنا الموصل بواقعة طهماسب.

المراجع المساعدة

(بالعربية)

- ١ - اسحق، روفائيل بابو، تاريخ نصارى العراق، بغداد ١٩٤٨.
- ٢ - انيس، د. محمد، الدولة العثمانية والشرق العربي، مصر د. ت.
- ٣ - الجليلي، د. محمد صديق، الاصطفاي في حمام الجليل، الموصل ١٩٦٥.
- ٤ - الحصري، ساطع، البلاد العربية والدولة العثمانية، بيروت ١٩٦٥.
- ٥ - الحياط، احمد ابن، ترجمة الاولياء في الموصل الخديباء، تحقيق، سعيد النجود جي، الموصل ١٩٦٦.
- ٦ - رافق، عبدالكريم، العرب والعثمانيون ١٥١٦ - ١٩١٦، دمشق ١٩٧٤.
- ٧ - زكي، محمد امين، تاريخ السليمانية، ترجمه عن الكردية، الملا جميل الروزياني، بغداد ١٩٥١.
- ٨ - سركيس، يعقوب نعم، مباحث عراقية في التاريخ والآثار...، بغداد ١٩٥٣ - ١٩٥٤.
- ٩ - العزاوي، عباس، تاريخ الادب العربي في العراق، ج ٢، بغداد ١٩٦٢.
- ١٠ - هواد، كوركيس، اثر قديم في العراق (دير الربان هرمزد)، الموصل ١٩٣٤.
- ١١ - غرابيه، عبدالكريم، مقدمة تاريخ العرب الحديث، دمشق ١٩٦٠.
- ١٢ - الغلامي، رؤوف، العلم الساسي في ترجمة الشيخ محمد الغلامي، الموصل ١٩٤٢.
- ١٣ - غنيمة، يوسف رزق الله، نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق، بغداد ١٩٢٢.
- ١٤ - فريد، محمد، تاريخ الدولة العلية العثمانية، القاهرة ١٩١٢.
- ١٥ - نصري، بطرس، ذخيرة الازهار في تواريخ الشارقة والمخاربة السريان، الموصل ١٩١٣.
- ١٦ - نظمي زاده، مرتضى، كلشن خلفاء، ترجمة موسى نورس، بغداد ١٩٧٢.

(بالتركية والفارسية)

- ١٧ - مهران، محمد شفيق، تاريخ نادرشاهي، نشر واعتماد رضا شعباني، جاب شد ١٣٦٩ (بالفارسية).
- ١٨ - جودت، احمد، تاريخ جودت، اسطنبول ١٣٠٢. (بالتركية).
- ١٩ - عيتابلي، احمد حاصم، تاريخ حاصم، اسطنبول د. . (بالتركية).
- ٢٠ - مهدي، عبدالرضا هوشنك، تاريخ روابط خلوجي ايران، مهران ١٣٦٩ (بالفارسية).
- ٢١ - نوري ياشا، مصطفى، نتائج الوقوعات، المجلد ٣، اسطنبول ١٢٩٤. (بالتركية).
- 22 - Ortuna, Yilmaz, Resimlerle, Turkiye Tarihi, Istanbul 1970. (بالتركية الحديثة).
- 23 - Olivier, G.A., Voyage [REDACTED] l'Empire Ottoman, l'Egypt et la Perse, Paris 1801. (بالفرنسية).

• للمؤلف ولزملائه من المؤرخين العراقيين كتابات في تاريخ العراق الحديث صدرت بعد تأليف هذا الكتاب اذ لم تذكر في هذه القائمة، وعليه وجب التنويه.

(المصادر الغربية)

- 1 - Al-Feel, M.R., The Historical Geography of Iraq, Between the Mongolian and Ottoman Conquests 1258-1534, vol. I, Ne-jef 1965. (Ph. D. thesis).
- 2 - Allen, W.E.D., Problems of Turkish Power in the sixteenth century, London 1963.
- 3 - Anderson, M.S., A General History of Europe, Europe in the Eighteenth Century 1713-1783, 2nd Edition, London 1979.
- 4 - Arfa, Hassan, The Kurds, London 1966.
- 5 - Arrian, F.I. Xenophon, The Campaigns of Alexander, Tran. by Aubrey De Selincourt, Introduction and Notes by J.R. Hamilton, Reprinted in Britain 1978.
- 6 - Babinger, Franz, Mehmed The Conqueror and his Time, Ed. by W.C. Hickman, Princeton University 1978.
(مترجم عن الألمانية)
- 7 - Bell, Gertrude L., Syria The Desert The Sown, London 1919.
- 8 - Bell, J., Travels from St. Petersburge in Russia to Diverse Parts of Asia, London 1920.
- 9 - Binder, Au Kurdistan, Mesopotamia et Perse, Paris 1887. (نص فرنسي)
- 10 - Bosworth, C.E., The Islamic Dynasties, Edinburgh 1967.
- 11 - Bretschneider, E., Researches from Eastern Asiatic Sources, London n.d.
- 12 - Buckingham, J.S., Travels in Mesopotamia, London 1827.
- 13 - Barbir, Karl K., Ottoman Rule in Persia 1708-1758, Princeton University, New Jersey 1980.
- 14 - Bradford, E., The Great Siege (MALTA 1565), Britain 1979.
- 15 - Brosset, Histoire de la Georgia, n.d.
- 16 - Browning, Reed, The Duke of Newcastle, London 1975.
- 17 - Cassels, Lavender, The Struggle for the Ottoman Empire 1717-1740, London 1966.
- 18 - Chesney, Col., The Expedition for the Survey Rivers Euphrates and Tigris, Two vols., London 1850.

19 - Creasy, E.S., History of the Ottoman Turks, Reprinted in Beirut 1961.

20 - Dupre, A., Voyage en Perse, Paris 1819. (نص فرنسي)

21 - Durand, Mortimer, Nadir Shah, London 1819.

22 - Fraser, J., The History of Nadir Shah, London 1742.

23 - Gibb, H.A.R. and Bowen, H., Islamic Society and the West, Two Parts, Oxford 1963.

24 - Hanway, J., The Revolutions of Persia Containing the History of the Celebrated Usurper Nadir Kouli, London 1753.

25 - Harris, W.B., From Batum to Baghdad, London MDCCXCVI.

26 - Hay, W.R., Two Years in Kurdistan, London 1921.

27 - Hazin, Shaik A., Ta'rikh-i-Ahwal, Ed. and Trans. by Bel-four, London 1831.

28 - Herzfeld, E., Archaeologische Reise in Euphrat und Tigris Gebiet, Berlin 1920. (نص ألماني)

29 - Hikmat, M.A., Essai sur l'Histoire des Relations Irano-Ottomanes de 1722-47, Paris 1937. (نص فرنسي)

30 - Hourani, A., The Ottoman Background of Modern Middle East, University of Illinois 1969.

31 - Howel, Th., A Journal of the Passage from India by a route partly unfrequented through Armenia and Asia Minor, London 1789.

32 - Inalcik, H., The Ottoman Empire, Conquest, Organization and Economy, (Collected Studies), London 1978.

33 - Ives, E., A Voyage from England to India, London 1760.

34 - Jackson, J., Journey from India, London 1799.

35 - Jones, W., History of the life of Nadir Shah, King of Persia, London 1773.

36 - ———, Histoire de Nadir Chah, London 1770. (نص فرنسي)

37 - Keane, A.H., Asia with Ethnological-Appendix-ed. by Sir R. Temple, London 1882.

38 - Kinneir, J.M., A Geographical momoir of ■ Persian Empire, London 1813.

■ - Kemp, P., Mosul ■ Mosuli Historians ■ The Jalili era 1726-1834, -Ph. D. ■ from ■ University-(Oxford New Bodilian Library). (اطروحة دكتوراه غير منشورة)

41 - Kinross, Lord, The Ottoman Centurries, The Rise and Fall of ■ Turkish Empire, London 1977.

42 - Lach, D.F., Asia in ■ Making of Europe, London 1955.

■ - Lamouche, S., Histoire de la Turquie, Paris 1934.

(نص فرنسي)

44 - Layard, A.H., Nineveh and ■ Remains, Ed. I, London 1849.

45 - Le Strange, G., The Lands of the Eastern Caliphate, London 1905; The new copy, New York 1966.

■ - Lockhart, L., ■ Shah, London 1938.

47 - Longrigg, S.H., Four Centuries of Modern Iraq, Oxford 1925.

48 - Lorimar, Gazetteer ■ the Arab Gulf, I (Historical Part), I.B. Holand 1970.

■ - Luke, H. Ch., Mosul and its Minorities, London 1925.

50 - Mantran, R., l'Empire Ottoman ■ le Commerce A siatique, paris n.d. (نص فرنسي)

51 - Marsh, The Tenesean in Persia and Kurdistan, Philadelphia 1869.

52 - Merriman, R.B., Suleiman ■ The Magnificent 1520-1566, Harvard 1944.

53 - Muir, W., The Mameluke, or Slave Dynasty of Egypt 1260-1571, Amsterdam 1968.

54 - Niebuhr, C., Reisebeschreibung nach Arabian und andern Umliegende, Landern 1908. (وهناك نص فرنسي مترجم عن الالمانية)

■ - Olson, R.W., The Siege of Mosul and Ottoman-Persian ■ 1718-1743, Indiana University 1975.

- 56 - Otter, J., Voyage en Turquie et en Perse avec une relation des expéditions de Tahmas Kouli-Khan, 2 vols., Paris 1748.
(نص فرنسي)
- 57 - Parry, V.J. and others, A History of The Ottoman Empire To 1730, Ed. by M.A. Cook, Cambridge University 1976.
- 58 - Pitcher, D.E., An Historical Geography of the Ottoman Empire from earliest times to the end of the sixteenth century, Leiden E.J. Brill 1972.
- 59 - Pococke, R., A Description of the East, London 1743.
- 60 - Porter, Sir R.K., Travels in Georgia, Persia, Armenia, Ancient Babylonia, London 1822.
- 61 - Rich, C.J., Narrative of a Residence in Koordistan, London 1830.
- 62 - Runciman, S., The Fall of Constantinople 1453, Cambridge 1965.
- 63 - Purgstall, Von Hammer, Geschichte der Osmanischen Reiches, Wien 1828. (نص في الألمانية القديمة)
- 64 - Savory, R., Iran under the Safavids, Cambridge 1980.
- 65 - Shaw, S.J., History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, vol. I (Empire of the Gazis), Cambridge 1976.
- 66 - Shay, M.L., The Ottoman Empire from 1720-1734, New York 1978.
- 67 - Stoye, J., The Siege of Vienna, London 1964.
- 68 - Sykes, Sir P., A History of Persia, London 1930.
- 69 - Toynbee, A.J., A Study of History, vol. I, Oxford 1934.
- 70 - Tveritinova, Kniga Zakonov Sultana Selima I, Moskva 1969. (نص روسي)
- 71 - Ussher, J., London to Pesopolis, including Wanderings in Daghestan, Georgia, Arminia and Persia, London 1865.
- 72 - Warkwarth, Notes form A Diary in Asiatic Turkuy, London 1898.

THE SIEGE OF MOSUL BY NADIR SHAH IN 1743 A.D.

**An Historical Study in Political Relations of
Modern Iraq during the first half of the Eight-
eenth Century.**

By

SAYYAR K. AL-JAMIL

DEPT OF HISTORY

COLLEGE OF ARTS, UNIV. OF MOSUL

IRAQ

ARABIC TEXT

YAA

الفهرست

الصفحات

٥	الإهداء
٧	تذكير وعرفان
٩-١٢	المحتويات
١٧-٢١	المقدمة
٢٢-٢٣	مدخل منهجي
٢٣-٥٧	نقد المصادر وتحليلها
٥٨-٦٠	هوامش وملاحظات

الفصل الأول

٦١-٨٣	مقدمة في الجغرافية التاريخية لنشوء العراق الحديث
٨٤-٩١	هوامش وتعليقات

الفصل الثاني

	مقدمات حصار الموصل :
٩٢-١٢٠	صفحات في تاريخ تطور العلاقات الدبلوماسية للعراق الحديث
١٢٠-١٢٢	ملاحظات ونقادات

الفصل الثالث

	الحملة الإيرانية الكبرى على العراق وحصار نادر شاه للموصل
١٢٣-١٢٦	سنة ١١٥٦ هـ / ١٧٤٣ م
١٢٧-١٩٢	ملاحظات وثقافات

الفصل الرابع

١٩٣-٢١٨	نتائج الحصار وآثاره : الدروس التاريخية
٢١٩-٢٢٤	ملاحظات ونقادات

٢٢٥-٢٢٩	الخاتمة
---------	---------

الملاحق

- ملحق رقم (١) تحقيق وترجمة وثيقة دولية باللغة الإيطالية
عن حصار الموصل ٢٢٣-٢٤٧
- ملحق رقم (٢) مسالك الموصل الاستراتيجية وخطوطها
الأقليمية العراقية ٢٤٨-٢٥٦
- (دايكروم جغرافي بالمسالك الاستراتيجية
للـعراق) ٢٥٧
- ملحق رقم (٣) الانذار الإيراني الأول لحكومة الموصل ٢٥٩-٢٦٠
- ملحق رقم (٤) جواب حكومة الموصل على الانذار الإيراني
الأول ٢٦١-٢٦٣
- ملحق رقم (٥) الخرائط ٢٦٥-٢٦٣
- مصادر البحث ٢٧٤-٢٨٧

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق
ببغداد ١٩٧٥ لسنة ١٩٩٠